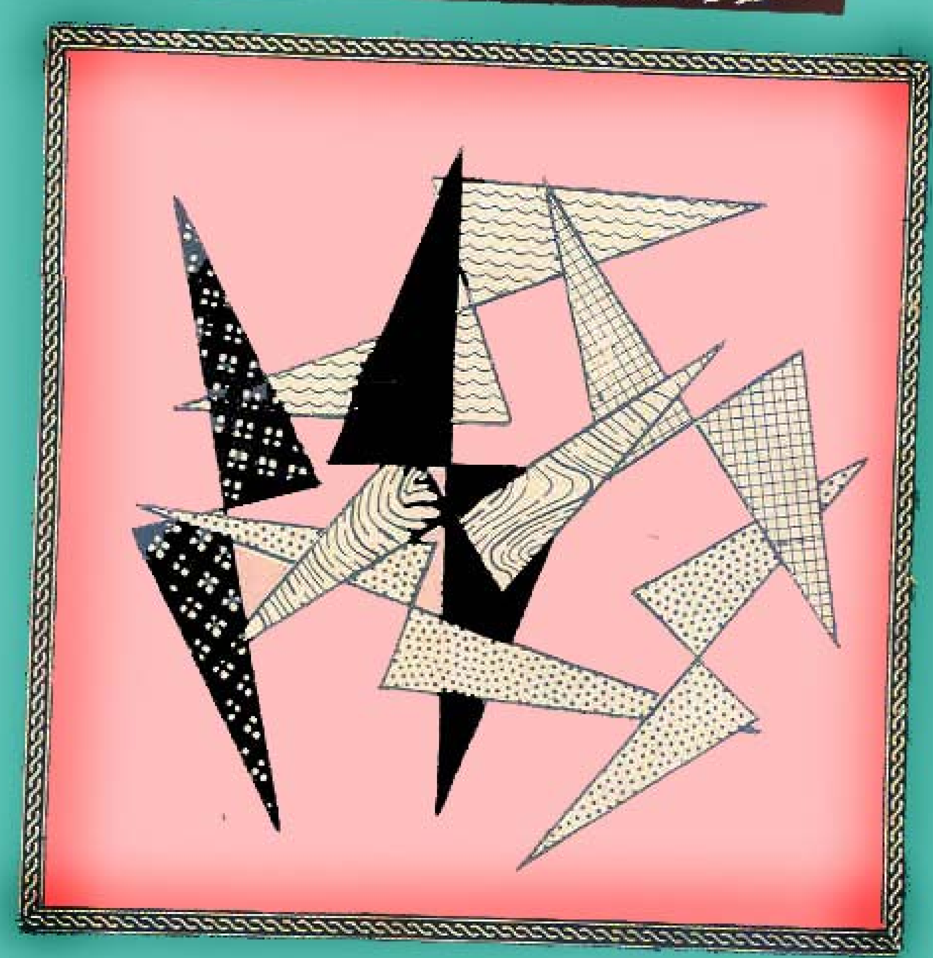


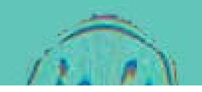
مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

شارك في هذا العدد الأساتيذ:

عبد الله كنون
الرحالي الفاروقي
محمد المنوني
محمد بن تاويت
مصطفى جواد
تقي الدين الهلالي
محمد السائح
انور الجندي
محمد عزيز الحبابي
ابو بكر القادري
سعيد اعراب
زكي المحاسني
عبد السلام الهراس
عبد القادر زمامة
حسن السائح
الراجي التهامي الهاشمي
عبد اللطيف خالص
مبارك ربيع
احمد معنينو
محمد بن عبد العزيز الدباغ
محمد احميداش
علال الهاشمي الفيلالي
محمد احمد اشماعو
المدني الحمراوي
محمد بنعبد الله



العدد الاول
السنة الثانية عشرة
شعبان 1388
نوفمبر 1968



مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الأول
السنة الثانية عشرة
شعبان 1388
نوفمبر 1968
ثمن العدد
درهمان

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط





صادق الحب يملي صادق الكلم ....

ما زال صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده يواصل اعماله الاصلاحية ، ويرسم مشاريعه الناجحة ، ويسير على نهج سلفي قويم فى جميع المجالات ، وشتى الميادين ... يذكي خمود جيله بحرارة دمة ، ويضيء وميض وطنه بوميض روحه ، ويعمل على تنشئة الجيل المغربي الجديد نشاة اسلامية صحيحة قوامها دين متين ، وخلق صحيح ، ورأي جميع .

وقد كان لعملية الكتاتيب القرآنية الالزامية التي أعلن عنها سيد البلاد لتعليم ابناء المسلمين لغة ابائهم ، ومبادىء دينهم وما تفرع عن أصوله من شتى العلوم والفنون ، فى خطابه الرائع الجامع صدى بعيد فى جميع الاوساط فى الداخل والخارج ، وذكر جميل فى نفوس المؤمنين المخلصين ستظل عباراته الهادية وتوجيهاته السديدة على تراخي الحقب ، وتطاول الازمان انوط بالقلب ، وأعلق بالذاكرة .

فالصحافة تحدثت فى الداخل والخارج فى اعجاب واكبار عن هذه الخطوات الاصلاحية الثابتة ، والجهود المباركة المثمرة التي تزكيها الارض وتباركها السماء ، وقد أعرب عن ذلك السفير الباكستاني الجديد السيد أكبر طيب جي ، لدى تقديم أوراق اعتماده الى صاحب الجلالة فى الايام الاخيرة حيث تحدث سيادته عن النهضة الروحية التي يحمل لواءها جلالة الملك ، فاثنى على حملة افتتاح الكتاتيب القرآنية ، مؤكدا ان الشعب الباكستاني ورئيسه قد نظرا باعجاب الى هذه المبادرة الحميدة ...

ان جلالة الملك قد أحدث حفظه الله ، فى ايمان صادق ، ووعي فطن ، هذه الكتاتيب القرآنية للاطفال الذين هم فى سن الخامسة الى السابعة لتعليمهم لغة آبائهم ، وتلقينهم مبادىء دينهم من القرآن الحكيم ، وتوجيههم سبيلا سويا يصلح احوالهم فى الحال والمآل .

فلا غرو اذا استقبل الشعب المغربي في اهتبال عظيم ، ونشوة غامرة هذه المبادرة التي اعلنها صاحب الجلالة في عزم صادق ، وارادة مصممة ، فبدأ حفظه الله بفلذة كبده وولي عهده سمو الامير المحبوب سيدي محمد ، فادخله مع أبناء شعبه الكتاب القرآني ليكون له ، في غابر الازمان ، نبراسا مضيئا في دروب الحياة ، وبذلك أعطى حفظه الله من نفسه الاسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، لانه اقدر من غيره على توجيه أبنائه وارشادهم باللغة والقدوة والنفوذ ، ولانه ، رعاه الله من زعماء الاصلاح ، وقادة التوجيه السليم ، ومن أفهم الناس لمعنى الدين ، وروح العصر ، ومقتضى الحال ، وهذا لعمري من طلائع الفوز لهذه الامة ، ودلائل الثقة ، وبشائر الامل .

فدور هذا الكتاب ـ كان وما يزال ـ اعادة الاعتبار لتلك القيم الانسانية الخالدة والتخلي عن ذلك التغاضي لهذه القيم الذي أوجدته سياسة التعليم في عهود الاستعمار ورواسبه ... ؟!

ان هذه السياسة التعليمية الرشيدة التي رسمها سيد البلاد لا تدع هذا الجيل الضائع حائر الفكر ، مضطرب العاطفة ، موزع القلب ، ممزق النفس بين الدعوات والتيارات الملحدة وغيرها يلقى من الاضطراب النفسي ، والبلبلة الفكرية والروحية والثقافية ما يصده عن اصلاح شؤونه ، وذكر الله ، وعن الصلاة .

فهو توجيه قرآني حري بأن يكون للجيل الصاعد اقوم لحياته ، وأبهج لنفسه ، وأسعد لروحه ، وأكثر نفعا له في الحياة ، وأجدى افادة لتربية ذاته ، ونماء مواهبه ومعارفه .

اننا بهذه السياسة التعليمية الرشيدة نعمل على احباط مخططات الملحدين المارقين ، الرامية الى افساد عقيدة الامة ، ووأد أخلاقها وتدمير حياتها باشاعة ما شذ من أفكار ، وما انحرف من تصورات ، وما تحلل من أخلاق ، وما عم من جهالة فاشية، وضلالة غاشية أدت الى الابتعاد عن تعاليم الكتاب وتوجيهاته المحكمة ، لقد استطاع هذا الكتاب المبين الخالد المحفوظ أن يحدث فيما مضى أكبر ثورة نفسية واجتماعية غيرت وجه التاريخ ، فأنشأت أمة من العدم ، قوتها من ضعف ، وهدتها من ضلالة ، وجمعتها من شتات ، فاصبح لها بفضل هذا القرآن كيان واحد ، وتشريع يحتكم اليه ، وأخلاق توجه سلوكها وأعمالها وجهة الخير ، ورسالة عالمية تدعو الناس اليها ...

*

ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها ، وان محيي هذه الامة ومجددها هو جلالة الملك الذي يعلم حفظه الله أنه لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها ، فهو يعمل على ان تسير هذه الامة على هدي الاسلام ، وتقتدي بسلفها الصالح ، وتحيي تاريخها التليد ، وتعيش ناشئتها في صلة متينة مع ماضيها المشرق ، بجانب حاضرها الملح ومستقبلها النزوع ، ويكون لها من الحضارة الصناعية مزيدا من الانتاج ويسر العيش ، ومن روحانية الاسلام قوة الدفع ومتين التماسك ..

لقد اتخذ صاحب الجلالة أمير المومنين من هذه السنة المباركة سنة القرآن احتفالا بذكراه الرابعة عشرة ، وتقديسا لمقامه العظيم حتى يعود فضلها وخيرها على هذا البلد الامين ، ويستعيد المسلمون في أذهانهم وقلوبهم كل الاصول والمبادىء

القويمة التي أتى بها هذا الكتاب المقدس الذي أحيى ما اندرس من اخلاق ، وأعاد ما انطمس من مبادىء ...

وما كاد العام يتجرم ، والسنة تنصرم ، حتى توجها حفظه الله ورعاه بهذه العملية الايجابية الالزامية التي ابتهج لها الناس ، واثلجت قلوبهم ، وأفعمت نفوسهم أملا ورجاء .

ان ايمان صاحب الجلالة بالله ، وتشبثه بالمثل العليا ، وبالمبادىء الاسلامية السامية واصولها العامة واعتصامه بكتاب الله تعالى هو الذي أملى عليه ذلكم الخطاب الملكي الرائع الذي يساير الزمن ، ويطبع التطور ، ويستجيب لداعي الحاجة، فقد دل على أنه حفظه الله ورعاه يعرف مشاكل أمته ، وما تعانيه من أزمات نفسية ، وما يقاسيه شباب اليوم الذي غشيه ظلام الغرب ، ولفه ليله الاليل من اضطرابات اخلاقية ، وعقد نفسية ، وأمراض اجتماعية تركته كالعبد الذليل الخاضع الاسير لشهواته ونزواته لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه .. !

ان حب صاحب الجلالة الملك المعظم لشعبه المخلص ، وتفانيه في اسعاده وهدايته هو الذي أملى عليه في خطابه الجامع تلك التوجيهات السديدة ، والآيات البينات والحكم البالغات ... انه حب نابع من الايمان القوى ، واليقين الصادق العميق الذي يشع من نفسه حفظه الله فيفيض عنه النور والخير والبركات ويعيد سيرة الآباء والاجداد فيهب من نفحته كل وسنان ، وينتعش كل ذابل .. فان صادق الحب يملي صادق الكلم .

دعوض الحق

عيد الاستقلال

احتفل الشعب المغربي النبيل في شهر نوفمبر الماضي بالاعياد المجيدة التي توجت بالفوز والظفر جهاد العرش ، ونضال الشعب في ميدان المعركة المقدسة التي خاضا غمارها، فتكللت جهودهما بالنجاح والفلاح ، والنصر المؤزر المبين .

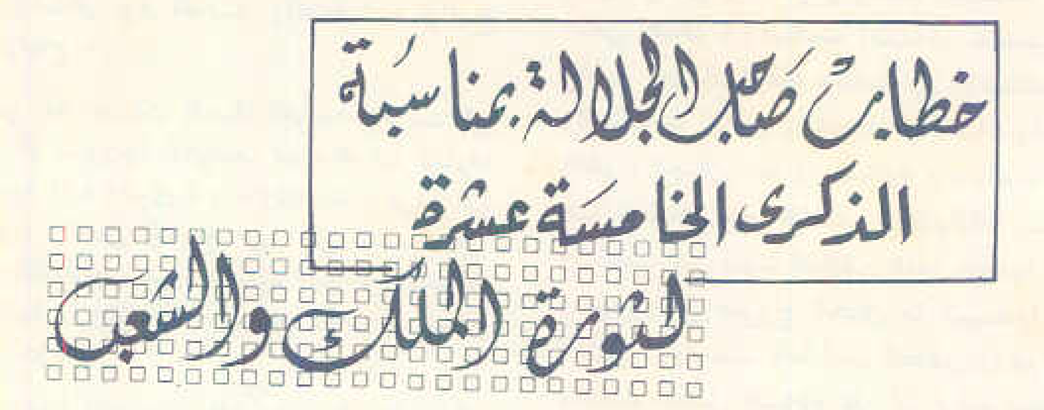
وتخليدا لهذه الذكرى الوطنية ، وتمجيدا للاعياد الثلاثة، واحتفالا بعيد الاستقلال فقد استعرض مولانا الامام جلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده في يوم 17 نوفمبر ، يوم الفتح الاكبر ، وامام ضيوف الدول الصديقة والشقيقة ، القوات المسلحة الملكية، وجيشنا الظافر الذي أدى استعراضه الرائع في نظام محكم بديع ، موقظ للشعور ، حافز للهمم ، هاد الى استقرار مطمئن ...

أليس يوم 16 نوفمبر كان حدا فاصلا بين القوى الظالمة التي تألبت على الشعب، وبين الايمان الراسخ الذي قذف الرعب الذاعر في قلوب الاعداء ، فلم تقم لهم بعـــده شوكة ، فبدد شملهم ، وفرق وحدتهم ، وفل جموعهم ، وأزهق باطلهم الذي مهما طال أمده ، واشتدت وطأته ، فهو — دائما — أمام الحق الا بلج ، والعزم الصـــادق ، والايمان بالله خائر القوى ، واهي العزيمة ، مهدد البنيان ...

فقد اعلنها جلالة المرحوم مولانا محمد الخامس سقى الله بالرضوان ضريحه وعضده الايمن مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده حربا عوانا لا هوادة فيها ولا لين ضد الغاصب الكافر وأوقدوها نارا حامية أرغمته على الاعتراف بالحق المبـــين ، والاستقلال المشروع ، الذي زفه صاحب الجلالة المرحوم مولانا محمد الخامس الى شعبه الوفي يوم 16 نوفمبر في قولته الشهيرة : التي أصبحت مثلا شرودا وبات الجيل بعد الجيل يرويها .. وهي :

((الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور .. ان عهـــد الحجـــر والحماية قد تقلص سلطانه ، وانهد بنيانه وان عهد الاستقلال والكرامة قد بزغ نجمه، واشرق نوره ، وعز وجوده .. ؟!

ومنذ ذلك اليوم الاغر الابلج ، والشعب المغربي الناهض يسير في مواكب النصر والحرية وراء متبوعه الاعظم ، وقائده المظفر ، مزهوا بجهاده الظافر ، فخورا برائده الملهم الذي يعمل في جهد دائب ، وعمل موصول على اسعاد أمته ، وانعاش آماليها وأمانيها ، واحلالها مقاما كريما يليق وتاريخها الامجد ، وسناءها الاسنع ، وعزهـــا التليـــــد ..



شهدت بلادنا خلال عطلة الصيف الماضي احداثا هامة بارزة ، واحتفالات شائقة رائعة كان لها ابلغ الاثر الطيب في البلاد ، وصدى بعيد داخل الوطن وخارجه .....

وكانت مجلتنا اذ ذاك محتجبة عن الصدور في عطلتها السنوية المعتادة ، فلم تسجل على صفحاتها تلك الاحداث التي زخرت بها بلادنا خلال الصيف الماضي كدأبها في اعدادها السالفة ، ولعل هذا مما يشفع لها ، كغيرها من المجلات التي تصدر شهريا ، في عدم متابعة الاحداث في ميقاتها بتتابع وانتظام ، وبالسرعة المطلوبة ...

ولئن مر بنا اثناء هذه العطلة يوم حافل من اعز ايامنا واخلدها ، يوم ذكرى ثورة الملك والشعب واحتفلت الامة باسرها به ايما احتفال واظهرت من البهجة والغبطة والوان المسرات في مهرجان رائع هزت الدنيا به اعطافها ، واختال المغرب ، فان هذه الذكرى ما تزال — الى اليوم — حية نابضة في قلوبنا وافئدتنا ، منعشة لآمالنا وامانينا ، نسير دوما على هديها مسترشدين ونستضيء بمعناها ومغازيها مستلهمين ....

اليست هذه الذكرى الخالدة اطاحت بالاستعمار ، وقوضت اركانه ، وزعزعت دعائمه ، واتى الله بنيانه من القواعد ، فحققت للاجيال المقبلة نعمة الحرية والكرامة والمساواة ، فاضطلع الملك والشعب بمسؤولية الاستقلال واعبائه بفضل جهاد الرائد العظيم الذي حمل المصباح والقائد الماهر الذي رفع العلم جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس اكرم الله مثواه ، وبرد بالرحمة ثراه ، واجزل له المثوبة والاجر .

اليس في يوم عشري غشت من عام 1953 توشجت أواصر المحبة المتينة ، وتوطدت وشائج الحب والوفاء بين ملك ملهم ، وعاهل محنك موفق وبين شعب واع القى مقاليد أموره بيد العرش ، وتفانى حبا في الجالس عليه ، فجاهدا في الله حق جهاده ، وكتب لهما النصر المؤزر الذي اعاد الى البلاد حريتها السليبة ، واستقلالها الناجز ، وكرامتها المغصوبة ، وخلصها من آصار العبودية والاستغلال ، وحررها من اغلال الظلم والعدوان ، واثقال البغي والطغيان .

وقد القى صاحب الجلالة والمهابة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ، بهذه المناسبة خطابا ساميا على امواج الاذاعة وشاشة التلفزة بمحضر صاحب السمو الملكي الامير الجليل مولاي عبد الله وصاحبات السمو الاميرات الجليلات للا عائشة وللا مليكة وللا نزهة ، كما حضرها اعضاء الحكومة والشخصيات السامية .

ويسرنا ان نقدم الى قرائنا الكرام نص الخطاب الملكي السامي الذي القاه صاحب الجلالة بهذه المناسبة تخليدا لهذه الذكرى وتمجيدا لثورة الملك والشعب ، وتزيينا لهذه المجلة ، بما فاه به جلالته من آيات بينات ، وحكم بالغات :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

كثيرا ما تنتقل الشعوب والامم الطامحة الحية من طور الى طور وتتحول من حال الى حال ومن لون الى لون مالوف من الحياة الى لون آخر غير معهود ولا معتاد وهي في انتقالها هذا وتحولها كثيرا ما تضطرب بين ظروف متفاوتة متباينة تختلف شدة ورخاء وقسوة ولينا فتخيم الجهامة والقتامة عليها حقبا وازمانا ثم تنقشع السحب وتتقلص الاشباح المرعبة فيخلف التفاؤل حينئذ والاستبشار اليأس

المطبق والتشاؤم المظلم ويحل محل لواعج القلق والخوف والاشفاق برد الدعة والطمانينة وثلج الرضى والارتياح .

وما من أمة تعشقت الحياة الكريمة وصبت الى المجد الاثيل الا تعاورتها الحوادث ضاحكة لها تارة، ومقطبة عابسة تارة اخرى ، وتداولها مد ، مرده الى طبيعة الطموح والعمل الناجح من اجل التسامي والشفوف والاقبال، وجزر، منشؤه التواكل والتخاذل والتواني والتهاون والقناعة بالضريع الذى لا يسمن ولا يغني من جوع .

بيد ان هذه الحوادث والظروف والاعراض وان كانت معالم تتميز بها احوال الامم والشعوب وتستبان بها مراحل نشوئها وارتقائها ، فليست كلها متساوية متكافئة من حيث الدلالة والوزن والتاثير ، فقد ينفرد احدها بالغلبة والرجحان ، ويبرز فى فصل من فصول تاريخ الامم والدول الحادث الراسم للانعراج والانعطاف والعرض الفاصل بين عهدين من عهودها ، والظرف العامل على ارتفاعها وانخفاضها، ونباهتها او خمولها .

ولم يشذ شعبي العزيز تاريخ بلادنا التى عرفت منذ اقدم العصور بالحيوية الدائبة ، والتطلع المستمر الى اعلى الدرجات واسمى المقامات عن قاعدة التقلب بين احوال اليسر والعسر والسراء والضراء .

وان آخر ما اصابك ايها الشعب الكريم من سوء ومكروه ، ونالك من شر وباساء ، ومنيت به من امتحان وبلاء ، ولقيت من قسوة وعناء ما باشره المتآمرون على قائدك ورائدك ورمز سيادتك وعاهلك الذائد عن كرامتك وكيانك من اعتداء شنيع ارادوا به تفكيك تلك العروة التى اوثقها التجاوب بينك وبين ملكك ، وتقويض تلك القوة المتينة التى انشأها ورعاها ما بينك وبين عاهلك من تبادل الحب والوفاء وما اثر عنكما من تكافل الرغائب والمطامح واجتماع الكلمة وتآزر الارادات واتحاد الاهداف والغايات .

ولقد توهم المتآمرون باقدامهم على ما اقدموا عليه واجتراحهم ما اجترحوه ان الجو سيخلو لهم ، وان التصرف المطلق فى ارضك ووطنك ستتاح لهم نعمة سائغة . وان حكمهم لن يرد ، ومشيئتهم لن تقابل بغير الرضى والانصياع ولكنك انتفضت كما انتفض حامي حماك ، وضحيت افتداء بتضحيته وابيت الضيم احتذاء لآبائه، وانفت من الاستكانة والهوان واستنكرت الباطل والتعسف والطغيان وامتعضت من الظلم والبهتان انفه واستنكاره وامتعاضه ، فكان من هذا التضافر بين المشاعر والارادات ثورة الملك والشعب التى نبهت الغافلين الذين توهموا ما توهموا ، وشيدوا من صروح الخيال ما شيدوا ، وايقظت النائمين ووضعت حدا لحلم الحالمين ووهم الواهمين ، واقامت الدليل الساطع على ان كرامة شعب باسره جبل على الحفاظ والشهامة لا يمكن ان تداس ولا يمكن ان تمتهن دون ان يجار هذا الشعب بحقه ويثار لنفسه ويتخذ من الوسائل ما هو كفيل بصد العدوان وقطع دابر الطغيان وحسم مادة الامتهان .

ومن الاسباب ما هو خليق بازهاق الباطل والضرب على يد التزييف والبهتان ، كلفه هذا الامر ما كلفه من صبر ، وجشمه ما جشمه من مسلك وعر، وفرض من بلاء وامتحان وعذاب وعقاب واسترخاص لكل غال ونفيس وتضحية بكل عزيز وكريم ، ولم تلبث المعركة التى خضتها بعقيدة لا تهون وعزم لا يفل واخلاص لاسمى المبادىء والقيم وحمية حامية وباس شديد لعلمك بمغزى تدبير المتآمرين على رمز سيادتك وعرش بلادك لم تلبث هذه المعركة ان اتت طيب ثمارها ويانع قطافها وغض جناها ، فآب الملك من منفاه السحيق وقد اذهب الله عنه الحزن يحمل لك البشرى ويزف اليك اجمل الانباء ويلقي اليك أن الكفاح المشترك بينكما والمقاومة التى تقاسمتماها والثورة التى اعلنتماها على العسف والافتيات فى ظروف مدلهمات وايام قاتمات كالحات . كل هذا لم يقتصر على ان ارجع الامور الى نصابها والمياه الى مجاريها وانما نقل البلاد من عهد الى عهد وفصل بين مرحلتين من مراحل حياتها ، وافضى الى بلوغ الهدف الاكبر من اهدافها والمطمح الامثل من مطامحها ، فكان فى عودته من منفاه مصحوبا باسرته التى شاطرته مرارة الابعاد والتغريب، وفى البشرى التى زفها الى شعبه المشتاق الى طلعته الثواب الاجزل والجزاء الافضل والنعمة المشكورة والمنة المذكورة .

اشد الايمان ، ولم تعزب عن باله الغاية التى كانت قبلة جهوده ومترامى رغائبه ومطامحه .

وعلمت شعبي العزيز ان ما كان يعانيه من أهوال فى صمت وصبر ، ويقاسيه من شدائد لم يكن يعرف منها الا القليل، ليس لاحتماله من سبب الا انت، وما يهمك من شؤون فمحضت له الحب ، واخلصت له الولاء والوفاء ، وسرتما نسقا واحدا فى محجة ، فلما عظمت اللاواء واشتد البلاء ، وتطاولت يد البغي والعدا ، وجد الملك ظهيرا من شعبه ووجد الشعب نصيرا من ملكه ، وكان التحام ارادته وارادتك فى تلك المعركة الميمونة التى اسفرت عن تبدل الاوضاع ، وتلك الثورة المباركة التى باد وانقرض بفضلها عصر من تاريخ هذه البلاد ، وانبثق منها عهد جديد قوامه الطلاقة والحرية والاستقلال .

فرحم الله والدنا جلالة الملك محمد الخامس ، ورضي عنه وارضاه ، وجعل الجنة مثواه ، فلقد كان ابيا سليل ابوة اباة ، لا تلين لهم قناة ، ولا يتهيبون الكريهة وان تسعر لهيبها ، والوقعة وان حمي وطيسها، دابهم منازلة الظلم حتى يزول، ومناضلة الباطل حتى يحول ، ومناصرة الحق الضائع حتى يؤول ، صدوا المطامع عن هذه البلاد ، وقاوموا السيطرة والاحتلال ، واقاموا المعاقل الوافية والحصون الباقية ، فنشروا الامن والطمانينة والسكينة ، وخلفوا من المآثر والآثار ما فيه بلاغ للبصائر والابصار .

وبهذه السيرة دانت لهم القلوب ، وخلصت لهم الضمائر والسرائر ، وامتدت الثقة بهم طوال العصور الخوالي والقرون الغوابر ، وقوى التعلق بهم ونما ، وتمكن الولاء لهم والوفاء ، وبالعناية التى درجوا عليها ، والرعاية التى شبوا وترعرعوا فيها ، والاهتمام بالصغير والكبير من شؤون آبائك، والحدب الموصول باسلافك واجدادك تفجر معين التعاطف اثرا غزيرا ، وتوشجت اواصر المحبة المتينة ، وتوثقت عرى تلك الصلة الثمينة التى صنعت تاريخ بلادك منذ انبثاق عهد الدولة العلوية الى الآن .

فشيمة بعد النظر والاحساس العميق بما يجيش فى قلوب الرعية والاهتداء الى طريق ما يبعث الرضا ويشيع المسرة والابتهاج، ويكشف الغمة ان الم ، والضرر ان عرض ، ومزية الثقة والاخلاص والوفاء خليقتان ، طبع عليهما ملوك هذه الدولة وشعوبهم ، واستمرتا مقترنتين متكافلتين، تعزز احداهما الاخرى حتى اذا حل بالامة افدح الخطوب واشنع المكاره والدواهي ، ظهر اقترانهما كاروع ما يكون الظهور ، وبان ائتلافهما كأجلى ما يكون البيان .

فاحتفالنا اليوم بالذكرى الخامسة عشرة لثورة الملك والشعب ، احتفال بتراث التناسق والتوافق ، الباقي على مر العصور والاجيال ، وبذخيرة الشيم والمزايا المتأصلة المتلازمة منذ القرون الطوال ، وهو بالاضافة الى هذا الاحتفال اجلال واكبار وتنويه بالتضحية والايثار ، والبطولة والفداء والاستشهاد ، واذكاء جذوة التذكار فى نفوس الكبار والصغار ممن عاشوا فصول هذه الملحمة وانتقلت اليهم انباؤها ، ثم انه بعد هذا وذاك احتفال لاستخلاص المواعظ والعبر واسترعاء الحقائق الثابتة التى ينطق بها تاريخنا القديم والحديث ، واستحضار القواعد الراسخة التى قام وما يزال يقوم على اركانها كياننا كدولة تعتز بما يسر لها تضافر قواها من سنى المكاسب والارباح .

شعبي العزيز :

ها نحن اولاء ننعم منذ نيف واثنتي عشرة سنة بالحرية التى كنا نشهدها ، والاستقلال الذى كنا نطلبه ونخطبه ، جادين فى الطلب ، ملحين فى كسبه الحاح الحريص على استرجاع حق مسلوب ، والضنين بالعلق المغصوب ، ولكن مسرتنا بالفوز المامول ، واغتباطنا ببلوغ الهدف المقصود ، لم يحملانا على الاخلاد الى الراحة والدعة ، والاعراض عن الاهداف التى لم يكن استقلالنا المستعاد الا وسيلة من وسائل السعي الى ادراكها ، بل طفقنا بعد ما القى الله الينا مقاليد امورك تامة غير منقوصة ، واناط بعهدة والدنا وعهدتنا رعاية مصالحك رعاية مطلقة غير مشروطة نشيد ونبنى ، ونرفع ونعلى ، ونرسم معك الخطط والبرامج، ونشق السبل والطرق الكفيلة بدعم استقلالك ، ورفع شانك واعلاء كلمتك ، بين الامم والشعوب ، واخذنا نتصرف فى امورنا تصرف من يعلم ان الاستقلال يفرض اعباء ويحتم مسؤوليات ويوجب تضحيات لا يكون الاستقلال استقلالا بالمعنى الصحيح الا اذا توافرت فى السائس والمسوس كفايات الاضطلاع بها والنهوض والاحتمال، وان من توفيق الله لنا وتسديده لخطانا ان هدانا الى الصراط المستقيم وارشدنا الى النهج السليم. فشرعنا فى مد اسباب اسعادك ، وتيسير الرخاء والهناء لك ولابنائك وعقبك، مدفوعين الى ذلك بدافع ما لك فى نفسنا من حب

مكين ، وما لنا من شعور بليغ بما على الراعي الامين من واجب الحدب والعناية والاهتمام بكل ما من شانه ان يضمن للمواطنين الحاضر اللامع ، والمستقبل الساطع ، بيد انه لن يكتب النجاح المرتجى للمشاريع التى سطرناها والخطط التى رسمناها واعددناها ولن نبلغ الغاية التى توخيناها تعميما للرخاء ونشر الازدهار، ولن نكسب معركة الفنى والاثراء الا اذا عبانا انفسنا وعقولنا ، وجندنا ما لنا من حول وطول ، وطاقات وامكانيات ، متحدين متكاتفين متظاهرين، وليس بعزيز على امة حالفها النصر عندما استمر مرير المقاومة والنضال من اجل الحرية والاستقلال ، ان تكسب الجولة فيما تقضيه وتستلزمه ممارسة السيادة ، على ان النصر لم يحالف امتنا الا لان نصفها لم يبق بمعزل عن الكفاح ، فقد خاضت امهاتنا واخواتنا وبناتنا غماره بايمان صادق، وعزم ثابت، لم تنل منه السيطرة والسطوة ، ولم يثنه العنف والقسوة ، فأسهمن فى العراك بالنصيب الموفور ، وأبدين من الشجاعة والشهامة والاقدام ما هو معروف ومأثور ، وان نساءنا اللائى اضطلعن بمثل هذا الدور الايجابي، وادلين بالبرهان القاطع على ما لهن من وعي وادراك ، لجديرات بان يبرزن فى المجالات الحيوية ، ويشاركن بحظهن فى المجهود الرامي الى رفع مستوى البلاد ، وانهن لخليقات بان تبذل لهن الفرص لاستعمال ما رزقن من مواهب، واكتسبن من خبرة ودراية ، وتجاوب فيما نتوخاه من انجاز النمو الاقتصادي والاجتماعي، وثقة منا بوعي نسائنا وحسن تبصرهن وتفكيرهن فاننا بصدد تاليف جماعة منهن ندعوها الى القيام فى العمالات والاقاليم والمداشر والقرى بحملة التعريف والتبيين والتوعية ، حتى تكون مشاريعنا ومخططاتنا واهدافنا ومنجزاتنا ووسائلنا معلومة مستوعبة ، تحيط بها الافكار والاذهان ، وهكذا فسيكون على المراة بالاضافة الى ما هو معهود اليها عادة من شؤون البيت ، ومهام البر والمساعدة والاسعاف ، ان تشاطر الرجال فى المجهود الرامي الى تحقيق التنمية المنشودة ، واننا لموقنون بان املنا المعقود بهذه الجماعة لن يخيب ، ورجاءنا لن يضيع .

شعبى العزيز :

لقد مرت بنا ذكريات كهذه الذكرى ، واحتفلنا بها جميعا كل عام والتاثر ياخذ من نفوسنا كل ماخذ، والخشوع يغمر جوانحنا لا تخبو له جذوة، ولا يتضاءل ما تثيره هذه الذكرى من عواطف ومشاعر ، وها نحن وقد خلت سنون تهتز نفوسنا وتضطرب بين حنايانا تلك المشاعر والعواطف فى هذه اليوم المشهود ، والظرف المعهود ، متجهين بافكارنا وقلوبنا الى منقذ الامة وسيد الابطال ، وعلم الكفاح والنضال ، الصادق الامين ، ناصر الملة ، وحامي العرين ، والدنا جلالة محمد الخامس ، اغدق الله عليه شآبيب الرحمة والغفران ، وبواه منازل الرضى والرضوان ، واجزل له الاجر والمثوبة على ما صابر وكافح وكابد ونافح ، ونتوجه الى الله ان يشمل بواسع عفوه ورحمته شهداءنا الابرار الذين استرخصوا دماءهم فى سبيل الله والملك والوطن ، اشتروا الجنة التى وعد الله بها الصابرين المحتسبين .

اللهم انا نسالك ثباتا لا ينفذ ، ويقينا لا يغيض ، وتوفيقا غير مقطوع ، وسدادا غير ممنوع ، وهداية لا ينصب لها معين ، الى طريق الحق وصراط مستقيم .

اللهم انصرني بعونك ، وايدني بمدد من عندك ، واكتب السعادة والهناء لشعبي، وهبهما بعزتك على يدي ، واجعل شكري وحمدي واعتمادي عليك ، وثنائي سببا استزيد به نعمتك المتوالية ، ومننتك المتواصلة انك اللهم من كل سائل قريب، ولكل داع سميع مجيب .

نص الخطاب الملكي السامي الذي القاه صاحب الجلالة بمناسبة افتتاح عملية الكتاتيب القرآنية

تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده فترأس عشية يوم الاربعاء 16 رجب 1388 – 10 – 10 – 1968 ببناية عمالة اقليم الرباط السابقة احتفالا رسميا بمناسبة افتتاح عملية الكتاتيب القرآنية

وحضر هذا الاحتفال الهام معالي الاستاذ السيد ادريس المحمدي الوزير المدير العام للديوان الملكي والسادة الوزراء ومديرو واعضاء الدواوين الملكية وعمال المملكة ومندوبو وزارة التعليم الابتدائي ونظار الاحباس وشخصيات سامية

وفي هذا الاجتماع الهام تفضل مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم اعزه الله فارتجل الخطاب السامي الاتـي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

ان القضايا التى اجتمعنا بكم من اجلها اليوم لتمت بصلة تربوية الى مستقبل ابنائنا ومستقبل الاجيال التي ستقطن هذا البلد الامين ؛ حيث انها تتعلق بتكوينهم وتربيتهم ، وتتعلق كذلك بأن يكونوا مواطنين صالحين مسلمين تحدوهم عن سيرتهم اليومية عواطف التضامن وعواطف الاخلاق الاسلامية والتربية الحنيفة تربية الاسلام وتربية اجدادنا ، تلك التربية وتلك الاخلاق التي جعلت من المملكة المغربية الشريفة تلك المملكة التي قيل فيها ما قيل، وتحدث المؤرخون وسارت بذكرها الركبان وكتب فى تاريخها صفحات وصفحات من المجد الاثيل .

الاسلام دين يطابق القرن العشرين

ان الديانة الاسلامية ديانة متوازية مطابقة كل المطابقة لقضايا ومشاكل القرن العشرين فهي من جهة تريد أن تكرم ابن آدم ، وتريد أن تكرمه من الناحية المادية حتى لا يكون عبئا على المجتمع الذي يعيش فيه ، وتريد ان تكرمه من ناحية القوة ، حيث ان المؤمن القوي خير وافضل عند الله من المؤمن الضعيف .

ومن جهة أخرى تريد أن تكرمه من الناحية البشرية وتجعل منه اماما يهدي واستاذا يلقن ومثالا يحتذى .

تلك هي تعاليمنا وتلك هي سيرة آبائنا واجدادنا.. فهل يا ترى فيما نراه اليوم ونلمسه ونشاهده ، فهل يا ترى ما يلائم ويطابق هذه التعاليم ؟ ام نشاهد بكامل

الاسف ما ينافيها ويتنافى مع مبادئنا واخلاقنا وما من شأنه ان يشين ويعوق سيرنا الى الوصول الى هذه المبادىء وبلوغ هذه الغاية السامية ؟

فبكل اسف نرى ظاهرة عامة في القرن العشرين وهو التفاوت الموجود بين الثقافة والتربية ، بل يمكننا القول التضارب والتناقض الذي يلمسه الاباء والامهات والمجتمعات بين ما نسميه التثقيف والتعليم وبين ما نسميه التربية .

وعلى كل واحد ان يتساءل ومن حقه ان يتساءل ما هي الاسباب التي جعلت البشرية تبتعد بدون شعور عن التربية لكي تدرك التثقيف ؟ ولماذا اهملت التربية في سبيل التثقيف ؟ وهل سلكت هذا الطريق عن وعي أم عن عن غير وعي ؟

نعم ، هناك علماء واخصائيون في العلم الاجتماعي يمكنهم في الحقيقة تحليل الاسباب والمسببات احسن مما يمكن ان اعمله انا شخصيا ، ولكن اول شيء يمكن أن يتبادر الى الذهن وهو :

السبب الاول : التشغيل او فتح آفاق التوظيف والاشغال في المرافق العمومية او الخاصة للامهات فبمجرد ما طبقنا حرفيا لا روحيا التعاليم الاسلامية من ناحية التساوي في الحقوق والواجبات بين الرجل والمراة الا وفتحنا لهذه الاخيرة ابواب كسب العيش وكسب القوت فلقد فتحنا لها أبواب المدرسة وابواب التثقيف وجعلنا منها امراة دون ان نجعل منها زوجة وبالتالى أما .

وحينما شعرت هذه المراة بأنها متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات الا ودفعتها قريحتها وطموحها الى أن تكتسح مع الرجل جميع ميادين الحرب الاجتماعية الخاصة بكسب العيش والقوت حتى تتمكن بدورها من الترفيه على بيتها وتقاسم زوجها متاعب الحياة ، وقد ادى بها هذا الى أن تغادر منزلها وتشتغل بمهامها .

ونظرا لرفع مستوى المعيشة وضرورة الترفيه على الجميع فقد بدا من الصعب عليها ان تترك من يخلفها في البيت ومن يربي أبناءها عوضا عنها .

هذا هو السبب الاول .

المعركة أصبحت حامية الوطيس

— السبب الثاني اذا كانت حقيقة الحياة في الماضي معركة يومية بين فرد وبين جماعة ، وبين الجوع والتخلف ، فهذه المعركة اصبحت اليوم معركة حامية الوطيس اكثر من ذي قبل ، وقد اصبحنا نرى على انه لا يمكن الدخول في السلم الاداري او يتقاضى في القطاع الخاص اجورا مواتية ومن شأنها ان تضمن له قوته الا لاولئك الذين يتوفرون على شهادات ولهم ثقافة .

وبذلك اصبحنا نرسل ابناءنا الى المدسة ونسهر على تثقيفهم ونحاول ان يحصلوا قبل كل شيء على شهادات يمكنهم الادلاء بها عند الحاجة حتى يمكنهم الحصول على مناصب من شأنها ان تدر عليهم الخير والرزق .

التربية والثقافة لا يتنافيان

وبنوع من الدور والتسلسل في التفكير وفي التفكير الخاطىء تفكير جماعي وفردي خاطىء صرنا نعتقد ان الثقافة والتربية شيئان متنافيان والحالة هذه انها أشياء غير متنافية ، بل ان التثقيف لا يمكن ان يكون تثقيفا حقيقيا ذا فعالية الا اذا كان مبنيا على قاعدة من الاخلاق ومن المبادىء مثلما بني الاسلام على خمس وتفرعت عن تلك القواعد الخمس قواعد اخرى للمعاملات والعبادات ، كذلك يجب علينا ان نعرف على ان التثقيف لابد له من اعمدة ولابد له من قواعد وان قل عددها ، والمهم ان يكون هيكلها قويا ومن شأنه أن يحمل ثقل الهيكل كله لحياة فرد واسرة وامة .

ويظهر أن المشكل الذي وقعنا فيه مشكل آخر، وهو اننا مزجنا التثقيف في التربية بينها المغربي هو مغربي صرف ويجب أن يبقى مغربيا صرفا مدى القرون والاجيال ، فاذا كانت الثقافة والتثقيف والتعليم ومن الضروري ان يكون مزدوجا ، فالتربية واجبة ومن الضروري ان تكون تربية واحدة منفردة : تربية وطنية فردية متصلة كل الصلة بالواقع الوطني وبالواقع الاجتماعي ، بذلك الواقع الذي جعل من بلد ما ما جعل منها التاريخ ويضمن لها ما يجعل لها ابناؤها من مستقبل زاخر بالكرامة وبالفخر .

ولقد صرنا نعتقد ان الوصول الى الشهادة ، الوصول الى الباكالوريا الوصول الى الطب والى الهندسة لا يمكن شأنه الا اذا كان الازدواج وهذا ضروري ، ولكن لم تجعل في حياة الطفل وفي حياة الابن مراحل .

فالطفل لابد له من تكوين منفرد وتربية منفردة ولابد له بعد ذلك من تلقين العلوم بطريقة مزدوجة حتى يمكن للعبقرية الاسلامية والعربية ان لا تبقى منحصرة الا فى مائة مليون من العرب فقط ، بل تتعدى هذه الحدود وهذه الافاق ، وتصل الى غزو سلمـي فتصل الى جميع انحاء العالم .

يجب ان لانخالف التيار الاسلامي

فاذا نحن اعتبرنا مثلا على ان التثقيف لا يمكن له ان يكون مزدوجا ، فاننا سنسير فى تيار مخالف للتيار الاسلامى فالنبي صلى الله عليه وسلم قال : لا فضل لاسود على ابيض او كما قال ولا لعربي على عجمي والاعجمى فى تعريف اللغة هو غير العربي الذي يتكلم العربية وكان فى ذلك العهد يتكلم اما باللاتينية واما باللغة الفارسية واما بتلك اللغات المخضرمة التي ليست بالفارسية ولا باللاتينية وكيفما كان الحال ، لم يكن يتكلم اذ ذاك باللغة العربية ، فاذا نحن ركبنا ذلك الطريق نجد ان التعليم يجب ان لا يكون مزدوجا ضيقا بكيفية محرمة ، آفاق النفوذ وآفاق الاشعاع التى فتحها بل شرعها الاسلام وشرعها المشرع الاعظم بعد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

نعم ، هذا هو التثقيف ، ولكن التربية كما قلت هي اساس كل تثقيف ، فكما قال حكيم من الحكماء : « علم بدون ضمير هو انهيار الشخصية » والضمير فى هذا التعريف وفى هذه الترجمة المستعجلة والمرتجلة هو عدم التربية وانعدامها .

لذا بعد التفكير ، اقتضى نظرنا استجابة الى داعي الضمير ونزولا عند مقتضيات الدستور وبرا وتطبيقا لواجبنا الذي هو قبل كل شيء يفرض علينا ان نكون حامي الملة والدين قررنا أن نفتح هذه السنة حملة الكتاتيب القرآنية .

ولو لم تكن هذه الايام راجت مقالات مكتوبة ومقروءة حول النظام الديموقراطي البرلماني وغير البرلماني لدخلنا فى هذا التفصيل ولقلنا ان مشروعنا هذا قد كنا وضعناه منذ سنين اي منذ ثلاث او اربع سنوات وشعرنا اذ ذاك انه لن تكون له جدوى ، بل ربما يقيم ضجة مختلقة سطحية لا صلة بينها وبين المشكل الحقيقي .

فكيفما كان الحال فلسنا بصدد ذكر الماضي الا اذا كنا سنأخذ منه دروسا ، فمنذ سنوات وهذه الفكرة تخالج ذهني ، بل كأب اسرة وكأب أبناء كنت اقول : اذا كان أبنائي سينشأون على شكل ، ومواطني على شكل آخر ، فهل من المعقول ان يعيشوا فى هذه البلاد والا سيعيشون غرباء اجانب بالنسبة لمجموع مواطنيهم الذين سينشأون وينمون فى المستقبل ؟ او هل سنجعل من الاجيال الصاعدة اجيالا تاخذ نفس التربية التي تربينا عليها ؟

من من الاجيال جاء بالاستقلال ؟ الاجيال التي تربت فى الكتاتيب .

من من الاجيال التي بنت الاستقلال ؟ الاجيال التي ثنت أرجلها امام الفقيه .

من من الاجيال تنهك الان قوتها ؟ الاجيال التي ما تزال تعرف الفاعل والمفعول وما هي الصلوات الخمس وما هو الصيام وما هي قواعد الحج .

وهل الاجيال المتشككة الشاكة الضالة المحتارة بين التجاذب الشرقي والغربي الشمالي والجنوبي هي التي اتت بشيء ما ؟ وهل هي التي من شانها أن تاتي بشيء ما ؟

لااعتقد ذلك ، لانها لا تتوفر على الاساس ، بل ليس لها المحور الذي ستدور حوله ، بل ستبقى كريشة فى مهب الريح طائشة ، لا تستقر على حال من القلق والقلق من الناحية النفسية هو الحيرة هو البحث عن ضالة وعدم وجودها .

اما الانسان الذي كان مثل تلك المروحة مشدودا بحائط او بسقف فحتى وان دار مع الريح لا يكون قلقا بل يبقى ثابت الاركان ، يدور كما تدور الريح ولكن يبقى عموده الفقري مستقرا دائما ثابتا مرتبطا بالبيت وبالبنيان الذي يرتكز عليه .

فكيف سننجز عملية الكتاتيب هذه ؟

عملية الكتاتيب ترمى الى اهداف متعددة ، ترمي أولا الى التخفيف عن الاسرة من مشاكل الطفل مدة سنتين .

وترمي ثانيا الى ربح سنتين بالنسبة للتعليم الابتدائي اي ربح القراءة والكتابة ومن شأنها كذلك ان توفر على خزانة الدولة سنتين من التعليم الابتدائي لتعليم الحروف الهجائية ، واخيرا ستخفف على الشرطة أعباء محاربة تكوين اطر اللصوص واسافل الناس الذين لا اصل لهم ويرتكبون اعمالا دنيئة وعمرهم لا يتجاوز خمس او ست سنوات.

والان سأدخل في التفاصيل ، المدارس الابتدائية عندنا في المغرب لا تقبل الاطفال الا عند ما يبلغون سبع سنوات وقد قلت لكم ان الاسر عندنا في المغرب مع كل اسف تنظم حياتها على الشكل الاروبي ، فالرجل في العمل والمرأة في العمل يتصلون في الزوال ثم في الثامنة ليلا ليناولوا ابناءهم عشاءهم ويهيئوهم للنوم فلا يجدون الوقت لا للاعتناء بهم ولا لتتبع دراستهم ولا لتفهيمهم واجباتهم المدرسية ولا حتى لمعرفة المفردات التي تعلمها ابناؤهم ، وعما اذا كانت ناتجة عن مخالطة حسنة او سيئة ثم يصبحون يوما امام هوة لا تقدير لعمقها ، وامام معضلة لا دواء لها حيث ان اطفالهم يصلون كما يقال الى مرحلة الطائرين ، الى حد لا رجوع فيه كالطائرة لما تكون قد وصلت الى آخر طريقها للطيران لا تتمكن من الاقلاع ولا تتمكن من التوقف عند ذاك تكون الكارثة والعياذ بالله . اذن فالاباء يكونون امام الامر الواقع ، وبذلك يجد الوطن نفسه امام مواطن غير صالح وفي الوقت نفسه يستحيل عليه ان يرفضه فواجب برور الوطن ان لا يرفض المواطن كيفما كان . ولكن من باب التبعية يجب على الوطن ان يخلق المواطن كما يجب ان يكون المواطن .

الواقع انه حينما يتوجه الاباء الى شغلهم او حتى اذا كانت المرأة لا تشتغل ، فان طفلها المتراوح عمره ما بين خمس وسبع سنوات يبقى امامها في المنزل يعوقها عن القيام بشؤون البيت فتضطر الى اخراجه من الدار ليلعب مع أقرانه ؟ فمن هم اقرانه ؟ هم افراد الشارع او الدوار يصرفون كل اوقاتهم اما في تكسير زجاج النوافذ او سرقة عجلات السيارات او غير ذلك وبما ان الامور تسير في التسلسل فانها تخلق في الطفل غريزة الاساءة للغير ، غريزة عمل الشر عن غير وعي في الاول واخيرا تصبح تلك الغريزة عادة والعادة تكون اذ ذاك منطقها ويصبح المنطق هو الدافع الى العادة .

ثانيا : يخلق اللعب غريزة بدون تطبع ولما تتمكن الغريزة يأتي التطبع ويسترسل في تلك الغريزة حتى تصبح خلقا ثانيا .

فنحن نريد ان نحد من دابر هذا المشكل الذي يواجهه الاباء والامهات حتى يطمئنوا على ابنائهم .

وبالاضافة الى ذلك لما يصل ابناؤنا الى سن الخمس سنوات ندخلهم المدارس الاجنبية اذن يقع تسابق وتزاحم على ابواب تلك المدارس الاجنبية ونتيجة لدخول الابناء الى هذه المدارس تصبح اللغة الفرنسية لغة حديثهم في المنزل مع آبائهم ، بل عوضا عن ان يتغنوا باغانيهم العربية والشعبية يتغنوا باغاني اجنبية وهذا شيء مزري لا اتقبله انا بصفتي وطنيا ، بالرغم من انني تعلمت لغة اجنبية واستعملتها اولا كسلاح لتحرير بلادي وثانيا كسلاح لترقية بلادي وثالثا كسلاح لاكون عضوا لتصدير العبقرية المغربية الى الخارج على قدر جهدي وامكانياتي المتواضعة ، ولكن لم اجعل من تلك اللغة الكل وروح حياتي .

فالاطفال يدخلون اذن للمدارس الاجنبية فيصبح الاباء اجانب عن ابنائهم ، بل قد تقع كارثة اخرى ، فبعد سنوات واذا كان الاباء ما يزالون في مقتبل العمر فانهم يضطرون حتى لا يظهروا بانهم متأخرون بالنسبة لابنائهم الى التسابق الى ارتكاب المصائب التي تعلمها ابناؤهم .

وعند ذاك نصبح امام المثل الذي يقول :

اذا كان رب الدار بالطبل ضاربا فلا تلم الصبيان في حالة الرقص .

هذه ناحية اخرى من المشكل ، فهؤلاء الاطفال اما سيبقون في تسكع الى ان تتكون لديهم غريزة ، والغريزة تكون لديهم شخصية ، واما ان البعض الاخر من الاطفال سيرتادون المدارس الاجنبية .

فنحن اذن سنعلمهم بدون مقابل سنزودهم بالفقهاء الذين سيعلمون لمدة ست ساعات في اليوم .

ثلاثة في الصباح وثلاثة في العشي .

يعلمونهم الحروف ويلقنونهم القرآن الكريم ، وسأتحدث عن قضية حفظ القرآن ، وسنخصص لهم وقتا للرياضة والتكوين البدني ، وفي اليوم الذي يدخلون المدرسة في السنة السابعة من عمرهم ، عوضا عن أن يصرف معهم مدرس الدولة سنة لتعليمهم الحروف الهجائية سيكونون قد تعلموا القراءة والكتابة وشيئا من الحساب ، وشيئا ما من الدين وبذلك سيوفرون علينا سنة أو سنتين كما سيكونون قد حفظوا شيئا من القرآن الكريم .

ان بالامكان ان يتبادر الى الذهن ، كيف يمكن للانسان حفظ شيء لا يفهمه ؟ ولكن يمكنني ان اقول لكم ان عبقرية شعب تتكون من عناصر شتى وعبقرية الشعب المغربي لا يمكنني تحليلها هنا ولكن يمكنني ان اقول بالاجمال انها تتكون اولا من قدرة ومن طاقة هائلة على الاستيعاب نحمد الله عليها ، على استيعاب كل شيء ، كل لغة ، وكل تثقيف وكل تكوين .

والظاهرة الثانية للعبقرية المغربية انها لا تنطبع بانطباعات خارجية ، بل لما تنطبع بها وتهضمها تسبكها فى قالب جديد وتخرجها فى حلة جديدة وتقدمها للعالم كما اعطتها بواسطة الاندلس وبواسطة كتبها وبواسطة علمائها واطبائها فى ثوب جديد ، فهي شخصية قوية الهضم والاستيعاب قادرة على التحويل وعلى الابتكار.

واخيرا فان عبقرية المغاربة تتسم بقوة الحفظ . والحفظ شيء مهم بالنسبة للتكوين البشري ، لقد قيل بأن شاعرا اتى ابا نواس وقال له : انني ارغب فى ان اكون شاعرا ، فاجابه طيب ها هي ذي عشرة الاف بيت من الشعر فاذا حفظتها ، عد الي فغاب الرجل مدة من الزمن وعاد اليه قائلا :

لقد حفظت ما اعطيتني فقال له :

انس علي ما حفظت ، فتلا عليه العشرة آلاف بيت. فقال له أهملها ، فمعنى هذا انه اعطاه السماد ، سمادا كالارض حينما تعطيها الاسمدة . سماد تكوين عبقريته

هذا ابو نواس العربي الذي عاش منذ 800 او 900 سنة ولا اقول ايربو الفرنسي الذي عاش فى هذا القرن ، فايربو يقول ان التكوين العام هو ما يبقى فى ذهن البشر عندما ينسى كل شيء .

فالمغاربة كانوا دائما مشهورين بذاكرتهم . فأساس ذاكرتهم انهم يحفظون القرآن دون فهمه .

لقد دخلنا نحن الى الكتاب وحفظنا من الحمد لله حتى. سبح. حتى. عم. لا نفهم شيئا مما نقرا ولكن تكونت فينا رياضة فكرية جعلتنا دائما فى الصف الاول فى المدارس الاجنبية وفى الكليات سواء كلية الحقوق او كلية العلوم .

كانت نقطنا دائما متفوقة بالنسبة للاجانب الذين نقرا لغتهم ، لاننا نحفظ بسرعة وندخر ما نحفظه ونهضمه فى فكرنا المغربي ونضيف اليه افكارنا المنبثقة من واقعنا وبذلك كنا ننتصر على جميع رفقائنا

فحفظ القرآن هو طريقة فى التعليم وطريقة لكسب الوقت لم نعد مع الاسف نراها لدى عدد من الشبان وعدد من التقنيين فحينما اطلب من احدهم تقديم ارقامه لا يستطيع الا بعد أن يخرج ملفه ، لقد كان من العار ان يفعل المرء ذلك فى وقت مضى يوم كان عدد من العلماء يتلون بالسند الصحيح ما يزيد على عشرة آلاف او خمسة عشر الف حديث دون تلعثم ، وانا اتحدى هؤلاء الذين تكونوا اليوم ان يتلوا امامي فقط مائة حديث بسندها وبمراجعها .

والنتيجة ان المرء يصبح أسير اوراق ولا يكون علمه فيه وانما يكون علمه معه ، وقديما قال العلماء اللاتينيون : عالم مع كتابه ليس عالما وانا اعتقد انهم كانوا على صواب .

عبقرية الشعب المغربي

فتكوين الكتاب سينمي فى الجيل المقبل القدرة على الحفظ والقدرة على الالمام بالمشاكل وبالقضايا حيث يستطيع فورا ان يربط بين الاسباب والمسببات .

واخيرا ومن مزايا هذه الكتاتيب اننا سنكون على الاقل قمنا بواجب ملقى على عاتقنا فنحن مسؤولون كل واحد منا مسؤول فى بيته عن ابنائه . ولكل واحد قسط من المسؤولية الجماعية فى المجتمع الذي نعيش فيه. فمن واجبنا ان لا نترك بل ولا نخلق تضاربا وتناقضا ومشاكل فى ذهن ابنائنا . فما معنى بناء الكتاتيب وبناء المساجد وطبع القرآن دون أن نربي ابناءنا فى ظلها والا فانهم سيتساءلون بعدما يكبرون عن الصلة التي بينهم وبين ما قام به آباؤنا فاما نحن لسنا بحاجة الى المساجد واما ان المساجد ليست بحاجة الينا . وسنكون قد جعلناهم فى حيرة اذ سيقولون ان آباءنا لم يقوموا بتربيتنا او ان آباءنا صرفوا الاموال فى غير محلها .

سنهتم بالتلقين والتثقيف

وايضا فان واجبنا أن نعرف شيئا آخر هو انه ليست هناك اية دولة لا معتقدات لها فحتى المعسكر الشيوعي له معتقداته . واخيرا لما شعر بان معتقداته كادت تمس وقف على ابواب حرب عالمية ثالثة حتى يمكنه الحفاظ على عقيدته التي لم تمس وانما فقط كادت تمس ، فلم يتريث ذلك المعسكر .

اما نحن . نحن الاشتراكيين لاننا مسلمون ونحن حملة التثقيف اذ الحديث النبوي الشريف يقول « اطلبوا العلم ولو بالصين » ونحن الذين اوجب علينا الاسلام التعليم وتعلم الرجل والمراة . اما نحن فلا نتعلم ونكتفي بالتلقين فقط . وهناك فرق بين التعليم والتلقين، فالتلقين هوالسماع والادراك اما التعليم فهو ما يدخل الى الذات ويصير روحا ثانية

بمثابة الروح الاولى فهل سننكر مبادئنا ولا نحارب ابدا من اجلها ونترك أفكارا اخرى تتسرب الينا هذا مستحيل

وهذا ليس رجوعا الى الوراء لان التثقيف الاسلامي والتربية الاسلامية ليست متنافية ابدا مع مسايرة العصر ولو كنت شاعرا شخصيا وهذه اقولها امام الملا بان فى تربيتي او فى تكويني شيئا مخالفا فلن اربي عليها ابنائي او انادي بها لتربية الغير ، وانا لست المثال او المثل المطلق ولا جيلي ولكني سعيد بالتربية التي تلقيت فقد خرجنا الى الخارج ولم تكن مدعاة خجل وارتدينا لباس الخارج ولم تكن مدعاة خجل وتكلمنا لغتهم فكنا احسن منهم وقمنا بما قاموا به فكنا فى مرتبتهم او اكثر فى جميع الميادين ومع ذلك كنا نتجاوزهم باننا نحن ما نحن بالاضافة الى ما اكسبناه منهم

تكوين يكون اداة وصل

فلماذا اذن سننكر فضل تكوين ضمائرنا وهو تكوين لا يتنافى تماما بل يطابق سير المغرب كي يكون اداة وصل بين الغرب وبين الشرق، فعندما يفقد المغرب عبقريته الخاصة سيصبح جسرا فقط تمر عليه الحضارات والعلوم والفنون وسيكون جسرا من مادة « البوليستر » لا تمتص شيئا . فحتى لو كان من الحجر فان بامكانه امتصاص الماء او الزيت ولكن البلاستيك لا تمتص شيئا فهي مادة بدون شخصية ولا روح . فاذا ما بقينا على ما نحن عليه فسنصبح جسرا من البلاستيك لا نستفيد كل ما يمر علينا ولا نفيد.

لذا قررنا أن تبدا حملة الكتاتيب فى الاسبوع المقبل وقررنا ان التلاميذ سيدخلون الكتاب من سن الخامسة الى السابعة . وقررنا على ان كل تلميذ قضى سنتين فى الكتاب الا ويحظى بالاسبقية فى الدخول الى المدرسة. فعندما تكون ابواب المدارس غاصة بالطلبات فى اكتوبر فان التلميذ الذي قضى سنتين بالكتاب ستكون له الاسبقية المطلقة على غيره .

منهاج التدريس بالكتاتيب

قد يتساءل الاباء ولهم الحق فى ذلك عن برامج وكيفية تسيير الكتاتيب .

اما البرامج فيمكنني أن اقول لكم انها سهلة .

يتعلم فيها الطفل فى السنة الاولى القرآن الى حزب سبح ويتعلم الكتابة والقراءة وقواعد الاسلام الخمس وكيفية الوضوء وقواعد الصيام والاداب مع الكبار والتواضع مع الصغار والتكوين المدني للمواطنة الحقة والتكوين الوطني وسيتلقى فيه كذلك الرياضة والاناشيد وتاريخ بلاده والبلاد الاسلامية وزيادة على ذلك سيتلقى الرياضة اسبوعيا حسب حصة معينة .

وبالاضافة الى ذلك على الفقيه الزاميا ان يأخذ أطفال جامعه الى المسجد لصلاة الجمعة ولم يكن البرنامج يحتوي على هذا الامر ولكنني اضفتها اليه فليس هناك ما يبهر الطفل اكثر من أن يقول له الفقيه توجه الى منزلك والبس طربوشا وجلابة بيضاء كي تذهب للصلاة بالمسجد ، فحتى لو لم يفهم الطفل ما يقوله الخطيب وحتى ما اذا نام والفقيه يخطب فلا بأس فى ذلك لانه غير مكلف ، وحتى لو كان الناس يسبحون وهو يتمعن فى زخارف المسجد ، كل ذلك لا يهم والمهم انه يرى عظمة المسلمين وجماعتهم ويتطبع بذلك الانطباع ويبقى راسخا فى ذهنه لا ينساه ابدا .

فحتى ولو كان يوم الجمعة يوم رخصة يجب ان يجتمع الاطفال بالكتاتيب ليتوجهوا الى صلاة الجمعة وكل فقيه سيكون مسؤولا عن مرافقة طبقته لتذهب الى المسجد لاداء صلاة الجمعة .

الاهتمام باختيار المعلمين

اما اختيار الفقهاء فسيكون على اساس ان يكونوا متوفرين على طريقة التعليم اولا والكفاءة ثانيا حتى يتمكنوا من ان يتعلموا ويعلموا لن يكونوا على الشكل الذي كنا نعرفه نحن حيث كانوا يطبقون اساليب عتيقة وغير لائقة فى تعليم الاطفال ، فنحن الان قد تجاوزنا هذا الحد سيكون لكل فقيه برنامج وكتاب مطبوع من وزارة التعليم الابتدائي حسب الايام والاسابيع والسنوات وطريقة التلقين والتثقيف ، وسيقع اختيار الاساتذة من احسن الناس ، وهنا ستدخل مساهمة الجماعات البلدية والقروية والعمال ورجال السلطة ووزارة الاحباس .

فكل قرية وكل مقاطعة فى المدن الكبرى ستجتمع لاختيار احسن وأنزه وأتقى شخص واقدرهم على التلقين بعد النظر فى سلوكه الذي يجب أن يكون حسنا ، وقد فسرت ذلك منذ سنتين لما قلت من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه .

واعطيت تفسير بقلبه اي باستقامته وسيرته .

فيجب على الفيقه ان يكون قدوة يقتدى به ومثالا حيا للفضيلة الاسلامية التى سيربى عليها التلاميذ .

فى التضامـــن كـــل خيـــر

فكيف سيتلقى هؤلاء الناس اجورهم ؟ سنقتسم نحن الاباء ذلك وانا اعرف أن الاباء لا يدخرون اليوم اي شيء فى سبيل اولادهم ، فكل ما اكتسبوه ينفقونه على ابنائهم اما لغذائهم او لباسهم او لتعليمهم ، فاذا ما ادى كل اب 500 او 250 فرنك فى الشهر فسيمكن حسب عدد السكان اداء الاجر للفقيه والمدرسة التابعة للشبيبة والرياضة التي ستلقنهم الرياضة وبذلك سنرفه على اولئك الناس وسنجعل لهم مكانة بيننا .

اننا نواجه مشاكل فى التعليم فلماذا ؟

الحقيقة اننا نحن الذين ابعدنا عنا المدرسين والمعلمين ومجتمعنا وطريقة معيشتنا هي التي جعلتنا ننبذهم وكانهم عضو اشل فى مجتمعنا او عضو غير نافع فقبل اليوم كان الفقيه او القاضي او الامام فى الحي له دور كبير لا يجد فراغا فى وقته كان يؤم بالناس ويعلم ويسدد بين الناس ، فكلما حدث مشكل الا والتجأ اليه الناس وكان يصالح بين الزوجين ، واليوم أصبح مدرس السنوات الابتدائية المقيم فى قرية بعيدة ؛ بالاضافة الى انه محروم من جميع مرافق الحياة فى المدينة منبوذ لا يعرف حتى آباء التلاميذ ، فلما نقول بأن الاساتذة يجهلون واجباتهم ، فالحقيقة انهم لم يجهلوا واجبهم ، وانما نحن الذين جعلناهم يشعرون انهم اجانب عن المجتمع وعلى انهم آلة للطباعة فقط وانهم ليسوا آلة للتكوين والتربية .

اولادنا وديعة بين ايديكم

وانا اقول بهذه المناسبة لاولائك الاساتذة كيفما كان مستواهم : عفا الله عما سلف من الجهتين ، فنحن اي المجتمع المغربي لا الدولة ولا الحكومة سنأتي عندكم وانتم ارجعوا الى مجتمعكم واطمئنوا حتى تهلأوا داخل هذا المجتمع المكان الذي كان من الواجب ان يكون لكم والذي لم يكن من الواجب ان يفرغ منكم ، فلما سيتحقق هذا التداخل وهذا التعايش وهذه المشاركة وهذا الاشتراك الذي كان يتمثل فى الماضي فيما كنا نسمعه عندما ياتي الرجل بولده الى الجامع ويقول للفقيه « اقتل وانا ادفن » ومعنى ذلك اننا مشتركون فى هذا الطفل نصفه للفقيه ونصفه لي ؛ فهذه العطية وهذه الهبة التي اعطاها آباؤنا واجدادنا للاساتذة هي ما نريد تطبيقه .

علـى المـرء أن يبـدأ بنفسـه

فنحن جميع آباء المغرب هذا المجتمع الذي يضم 14 مليون نسمة يقول لعشرات الالاف من الاساتذة كيف ما كان مستواهم سواء اساتذة الابتدائي او الثانوي او العالي هاهم ابناؤنا وديعة بين ايديهم وانتم مسؤولون عنهم امام الله فنحن من جهتنا نربي وانتم من جهتكم تثقفون وتعلمون ، فنحن مشتركون فى الامانة فابناؤنا ولدناهم ونسهر على ماكلهم ومشربهم ولكن الشيء الذي سيملأ دماغهم بين ايديكم .

فهي وديعة مقدسة واقدس وديعة ممكنة هو أن الانسان يقدم جزءا من لحمه الى انسان آخر ويعطيه حرية التصرف فيه ، فعسى ان يفهم الاساتذة كيفما كان مستواهم هذه الهدية وهذه الثقة المسبقة من الاباء الى الاساتذة .

واني اؤكد هنا لوزيرنا فى التعليم الابتدائي تعليماتنا الصارمة بأن لا يقبل من باب الاسبقية من يومنا هذا اي تلميذ مهما كان ابوه اذا لم يكن قد قضى سنة او سنتين فى الكتاب ، وانا اعرف عددا من الناس من طبقة عالية من الناحية الاجتماعية والسياسية ابناؤهم فى مدارس البعثة ، فعلينا ان نقدم نحن المثال وانا ابنائي لن يذهبوا الى مدارس البعثة وسوف يدخلون بعد عشرة ايام ان شاء الله الى الكتاب مع جميع المغاربة .

فعفا الله عن اولائك الذين افلتوا من ايدينا اذ لا نستطيع ان نفعل فى شأنهم اي شيء ، وعلى كل حال فعسى ان يعطيهم آباؤهم دروسا ليلية والا فسيحدث مشكل فى نفس المنزل ، انني أطلب من الذين يتوفرون على ابناء بتفاوت اعمارهم ان يتحروا فى هذا الامر ، وانا مستعد للنظر فى هذا المشكل بتنظيم دروس تكميلية فى الليل ، ولكن هذه عملية اخرى تتطلب تفسيرا آخر حتى لا يخلق فى عائلة واحدة تضارب ومشاكل ، فطفل الخمس سنوات اليوم سيقع فى تناقض مع اخيه البالغ الرابعة عشرة والذي سيكون قد فاتته فرصة هذا التثقيف وهذه التربية وسيصبح الوالد والام فى حيرة وشبه حكم مستمر بين تضارب وتطاحن مستمر فى اسرة واحدة وبين الاخوة .

وانني اطلب من الوزراء الذين يهمهم الامر ؛ وهو أمر يهم جميع الوزراء لان الوزير مساعد فى الحقيقة ، التفكير وكيف يمكن لنا تدارك اولائك الذين لم يبقوا فى سن الخامسة والذين فاتهم هذا الطور طور السنتين .

امانــة مشتركــة

والمهم ان يبدأ المرء بنفسه وان لا يأمر الآخريـن الا بما يفعله ، والشيء الذي اقوله لكم انني مشارك شخصيا فانا متوفر على سكنى خاصــة بـي لان دار المخزن ليست في ملكي وسكناي توجد في حي السويسي ومتشارك مع سكان السويسي وسأؤدي لجامـع السويسي حقي وما على الا ان ابعث له بابني يـوم يكونان في سن الكتاب ، واقصى ما يمكـن ان اقولـه لكم هو انني لا اريد لابنائي الا ما اريده لاولادكم ، ولي اليقين ان الله سبحانه وتعالى قد علم وسبق علمه في الازل بان في قلبنا خيرا وسيجعل من خطواتنا هـذه خطوات خير وخطوات عهد جديد ، بل وتثقيف جديد بل بعث جديد للروح الاسلامية وللثقافة الاسلامية وحينما اقول الثقافة والروح لا اعني بهذا الجمود ولا الوقوف عند الحدود التي وقفنا عندها بل اعني بهذا مسايرة الركب واعني بهذا كتاب الامير شكيب أرسلان الذي سماه «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم» ذلك اننا لم نكن ولم يكن يمكن ان نكون في الطليعة من ناحيـة الثقافة ومن ناحية البحث ومن ناحية العلم ومن الناحية التقنية فهل انشتاين كان لا دينيا وهل اوبنهيمر لا ديني وهل علماء الفضاء لا يذهبون اما للكنيسة واما للبيعة، لي اليقين انهم كلهم يذهبون اما يوم السبت او الاحد لاداء فريضتهم . فهل اداء الصلاة وصيام رمضـان وتطبيق المبادىء الحقيقية للدين يتنافى مع فحص طبي او تحليل كيماوي ؟ كلا بل الايمان بالمعتقدات هو الذي يعطي الايمان بالعلم لان العلم أساسه الشك والتشكك.

نتيجــة العلــم

فالانسان عندما يبدأ في العلم يبدأ بفكرة ثم يختبرها ثم يكرر اختباراته فاذا اعطت الاختبارات نتائج متشابهة في جميع الظروف اصبحت نتيجة علمية ، فأساس العلم هو الشك فاذا كنا متشككين في انفسنا وزدنا على التشكك تشكك العلم يمكنني ان اقول بأن لا علم لنا ولا يمكن ان يكون لنا اي علم .

اما اذا نحن تسلحنا بيقين داخلي نعلـم اننـا موجودون ونعلم اننا نعلم شيئا هـو فـوق العلـم فالاستمرار فوق العلم والعبقرية فوق العلم اذ ذاك نتمكن من مواجهة العلم مع تشككاته بكل ارتياح وكل طمأنينة ، وعسى الله ان يجعل من يومنا هذا يومـا مباركا ، واننا لنرجوه سبحانه وتعالى ان يعيننا على هذه الحملة وان يلهم مواطنينا ورعايانا عباده المسلمين ان يلهمهم الثقة والمشاركة في هذا المشروع الـذي نرتجي من ورائه كل خير ونؤمل من ورائه كل فتـح للاذهان للعبقرية وللروح الاسلامية وللشخصيـة المغربية لحسن المواطنة ولحسن التربية .

اننا لنرجو الله سبحانه وتعالى كذلك ان يجعـل من شعبه المغربي هذا شعبا يحفظ كلامه ويفهمه ، لان كـلام اللـه ليـس كـلام عبـادة فقـط ، بـل هـو كـلام تعامـل ومعامـلات ويلهمـه حسـن التطبيق وحسن التسيير حتى يمكن لهذا الشعـب المغربي المسلم ان يعطي تفسيرا جديدا لكتاب الله العزيز ويدلو بنصيب جديد في الحضارة الاسلامية ، تلك الحضارة التي تبحث اليوم اكثر من اي وقت مضى عن رائد وعن دافع وملجأ تلتجىء اليه ، وتعلم حق العلم انه هو ذلك المجتمع وارث السر حافظ الامانة، جعل الله هذا الشعب ذلك الشعب الذي يرث السر والذي يحفظ الامانة ، والله سبحانه وتعالى اسأل ان يلهمنا التوفيق والسداد ويعيننا على ما نحن بصدده والسلام عليكم ورحمة الله .

جلالة الملك يدشن بدار الشرفاء بالقصر الملكي العامر عملية الكتاتيب القرآنية

تراس صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني عشية يوم الاثنين 28 رجب 1388 بدار الشرفاء بالقصر الملكي العامر حفلا دينيا كبيرا بمناسبة الحاق صاحب السمو الملكي ولي العهد الاميرسيدي محمد وصاحبة السمو الملكي الاميرة للا مريم وصاحب السمو الامير مولاي هشام ابن صاحب السمو الملكي الامير مولاي عبدالله الى الكتاب القرآني وذلك انطلاقا لعملية الكتاتيب القرآنية التي افتتحها صاحب الجلالة أيده الله يوم تاسع اكتوبر الماضي

وقد وصل جلالة العاهل فى الساعة السادسة عشية الى دار الشرفاء مصحوبا بصاحب السمو الملكي ولي العهد وشقيقته صاحبة السمو الملكي الاميرة للا مريم وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله وابنه سمو الامير مولا هشام

وحضر هذا الاحتفال الشيق الى جانب صاحب الجلالة والامراء الكرام ، سمو الاميرمولاي الحسن بن يوسف عم صاحب الجلالة والسيد ادريس المحمدي الوزير المدير العام للديوان الملكي والسيد احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لجلالة الملك والفقيه السيد محمد المعمري وزير القصور الملكية واعضاء الحكومة يتقدمهم الدكتور محمد بنهيمة الوزيرالاول واصحاب السمو الامراء اصهار جلالة الملك والجنرالات واعضاء الديوان الملكي وعامل الرباط وسلا ، كما حضر هذا الاحتفال رؤساء المجالس العلمية بالمملكة وكبار علماء الرباط وسلا وعدد كبير من حفظة القرآن الكريم الذين ختموا طيلة هذا اليوم صحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم والشفا للقاضي عياض وعدة سلك من القرآن

وبعد ان افتتح هذا الحفل الديني باي من الذكر الحكيم تناول الكلمة الفقيه السيد الرحالي الفاروقي رئيس المجلس العلمي بمراكش وعميد كلية اللغة العربية بعاصمة الجنوب فقال متحدثا عن هذه الخطوة المباركة التي اتخذها صاحب الجلالة الملك المعظم بافتتاح عملية الكتاتيب القرآنية

باسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

وصلوات الله وسلامه على الانبياء والمرسلين ،

قال الشيخ الامام الحافظ الحجة الهمام ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه ونفعنا واياكم ببركته وبعلومه وبرجاله وبذكره آمين ، قال : « باب قول الله تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن» وقال مجاهد القسطاس العدل بالرومية ، ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر، وبه اليه قال: حدثني أحمد بن اشكاب قال حدثنا محمد بن فضيل عن عمر ابن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلمتان حبيبتان الى الرحمن : خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم.

مولاي ، اننا نبارك هذه الخطوة المباركة التي كانت بردا وسلاما على ذوي النيات المعقودة ونتيجة من نتائج الرياضة المحمودة وهذه المبادرة الطيبة التي تدخل فى نطاق مبادراتكم العديدة والتي سجلها التاريخ فى سجل أعمالكم الصالحة الخالدة وهي مبادرة امركم الشريف بادخال الاطفال الى الكتاتيب القرآنية قبل الدخول الى المدارس الابتدائية ليسبق نور الايمان الى



جلالة العاهل يتفضل بتدشين عملية الكتاتيب القرآنية في يوم 22 اكتوبر 1968

قلوبهم وليصطبغوا بصبغته في حياتهم وتلك صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون واننا لا نعجب يا مولانا من مسارعتكم الى الخيرات والمبرات فان نبعتكم هاشمية وغيرتكم اسلامية ، وان التاريخ قد خبركم بالمحض الحق والايمان وخبر آباءكم الاولين وما كانوا عليه من شدة المحافظة على أصول الديانة وجدور الامانة ولذلك ضربتم المثل بقرة العين وفلذة الكبد ، ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد وباخته الاميرة الجليلة للا مريم ، فنسأل الله سبحانه وتعالى ان ينصركم ويوفقكم ويصحبكم في خدمة المبادىء العليا وان يحفظكم ويرعاكم لرفع راية الاسلام وان يمد في عمركم وياخذ بيدكم لتبعثوا نور الاسلام ، كما نسأله سبحانه وتعالى ان يصلح سائر الاسرة الشريفة الكريمة ، وان ينبت ولي العهد الامير الجليل وسائر الاميرات الجليلات نباتا حسنا ، وان يجعل الجميع قرة عين والدهم وشعبهم وان يجعل ولي العهد جاريا على سنن أسلافه الكرام ، وان يفتح بصيرتهم وينور سريرتهم بنور الكتاب العزيز وان يجعلهم قدوة الطفولة في هذا البلد العزيز » .

واثر ذلك تقدم للسلام على صاحب الجلالة بحضور السيد محمد عواد الوزير المشرف على تربية سمو ولي العهد الفقيه السيد عبد السلام السميج القاضي بالاستيناف الشرعي الذي كلفه جلالة العاهل بالسهر على تكوين صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وشقيقته صاحبة السمو الملكي الاميرة للا مريم وابن عمهما سمو الامير مولاي هشام في الكتاب القرآني .

وقد زود مولانا الامام الفقيه السيد عبد السلام السميج بتوجيهاته السديدة وارشاداته الغالية ، وحثه على أن لا يراعي في الامراء الا الجانب التربوي حتى يتلقوا تكوينا دينيا وخلقيا متينا ، مثلما يتلقاه أبناء الشعب قاطبة .

وهكذا ووفقا للرغبة الملكية السامية انطلقت الانطلاقة المباركة السامية لعملية الكتاتيب القرآنية التي دشنت رسميا بالتحاق رمز الطفولة المغربية صاحب السمو الملكي ولي العهد بالكتاب القرآني .

كلمة معالي وزير عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية
السيد الحاج أحمد بركاش

في موضوع

عملية الكتاتيب القرآنية

في نطاق عملية الكتاتيب القرآنية المباركة التي تستهدف نظاما تربويا جديدا ، اساسه خلق المواطن المغربي المسلم ، ودعامته تقويم شبابهذه الامة بهدي القرآن ، اجرت الاذاعة والتلفزة حديثا ، حول مائدة مستديرة ، مع السادة الوزراء المعنيين بتنفيذ العملية المباركة التيدشنها صاحب الجلالة والمهابة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده ، فتحدثوا ، للمستمعين والنظارة عنالتدابير التي اتخذت في سبيل تنفيذ التعليمات الملكية السامية .

وكانت الاسئلة المطروحة علىالسادة الوزراء المعنيين تستهدفالميزات الدينية والتربوية والاخلاقية لهذا النظام ، والتحدث عن الجانبالمتعلق بتوفير الاماكن في نطاق العمالاتوالاقاليم والجماعات القروية ، كما كانت الاسئلة الموضوعة تتعلق بجانبآخر لا يقل اهمية عن الاسئلةالسابقة ، وهو توفير الاساتذة ، وطريق اختيار المعلمين وتكوينهمومسالة اجورهم ؟ والتخطيطات الخاصة بالبرنامج التربوي والرياضي.

شارك في هذه الندوة أصحابالمعالي السادة :

الحاج احمد بركاش وزيرعموم الاوقاف والشؤون الاسلامية .

محمد حدو الشيكر وزيرالتعليم الابتدائي ، وسير الندوةالسيد احمد السنوسي وزير الانباء

ومما جاء في خطاب معاليوزير الاوقاف والشؤون الاسلامية :

لا يخفى على حضرات السادة الكرام ، ما لمولانا امير المومنين نصره الله من الاعتناء بشؤون الدين ، وبجميع ما يعود نفعه على المسلمين . وعملا بقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم (كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته) وحيث ان الله جلت قدرته جعل أمر هذه الامة بين يدي ملك صالح مصلح يدبر امرها ، ويسعى في انقاذها من التيارات المضلة التي تحوم حولها في زمن كثرت فيه الاضطرابات الفكرية ، لجأ أيد الله عزه ونصره الى جانب عظيم ، وركن متين ، الا وهو كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد أراد اصلاح شباب هذه الامة بهدي القرآن (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) .

وهذه الفكرة العظيمة ليست وليدة اليوم ، فمنذ ان تبوأ صاحب الجلالة عرش أسلافه الكرام ، تمسك بكلام الله ، وحافظ عليه . ففي سنة 1964 أمر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية باحياء ما اندثر من المدارس العتيقة بالبوادي ، والاعتناء بالقراآت ومبادىء الدين ، وانشاء كتاتيب قرآنية نموذجية بالاضافة الى الكتاتيب التقليدية الموجودة . وهي الآن مبثوثة في جميع أنحاء المملكة يدرس فيها زيادة على كلام الله العلوم الدينية قائلا أيده الله لخديمه : (**ان المملكة المغربية معروفة في العالم الاسلامي بحفظ كتاب الله ، والاعتناء بسنة رسوله**) فنفذ الامر ، وصار عدد المدارس والكتاتيب ينمو سنة بعد سنة ، والنتيجة والحمد لله ملموسة . والمقصود من الكلام على انشاء المدارس القرآنية انما هو للدلالة على أن الفكرة الملكية السامية بدأت منذ زمن . وها هي الآن عممت ، وصارت قاعدة لوضع تخطيط للتعليم الديني.

ان كل من يومن بالله واليوم الآخر ، يحمد الله ويشكره على هذه النعمة ، والظاهرة العظيمة ، حيث وفق الله من جعل مقاليد هذه الامة بيده ، ويا لها من نعمة . فنحن نرى أن هناك خطة مرسومة مصحوبة بتوفيق الهي ، ويمكننا أن نقول ان سيدنا الذي جعل لهذه البلاد تصميما في الاقتصاد وغير ذلك من مرافق الحياة ، أبى حفظه الله الا ان يجعل للعلم والمعرفة والتربية والاخلاق تصميما روحيا يضمن لهذه الامة أقدس شيء عندها ، والآن ، أريد ان اتكلم على القضية في عمقها :

كلنا نعلم ان السن القانوني للدخول الى المدرسة هو السنة السابعة ، فقبل بلوغ هذه السن ماذا يصنع الطفل ؟ فاما ان يبقى في المنزل بدون فائدة ،

والا يخرج الى الشارع ونحن نعلم ما يروج فى الشارع فاذا لقي بعض قرناء السوء ، تخلق باخلاقهم ، وتشبع بافكارهم ، وصار عرضة للرذائل . والآن من السهل المقارنة بين هذه الحالة والحالة الجديدة والنهضة الكريمة التي سيكون عليها فى الكتاب يتعلم كلام الله وبعض ما يمكن ان يعرفه من شؤون الدين والاخلاق والتربية فاذا قضى فى الكتاب سنتين ، وحصل على بعض اركان ديننا الحنيف ، سجل هذا فى ذاكرته الفتية ورسخت تلك المبادىء فى عقله ، صار مواطنا صالحا . واذا نحن القينا نظرة على ماضينا والاجيال التي سبقتنا ، نرى أن اكبر العلماء والمثقفين ، كانوا دائما متمسكين بدينهم . فبالايمان سادوا ، وبحبل الله تمسكوا .

لقد كان للقرآن دوره الاساسي فى المحافظة على الاسلام ، وبما أنه هو دستور الاسلام ، فقد تكفل الباري جل جلاله بحفظه حيث قال : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وبما ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليه القرآن ، فهو المعلم الاول والمربي الاكبر الذي تخلق باخلاق القرآن كما قالت مولاتنا عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ، ويغضب لغضبه) فلنا فى رسول الله اسوة حسنة ، فعلينا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله اذا شئنا أن ننجح فى اعمالنا . ولنسق هنا مثالا حيا ناطقا . فجلالة الملك المعظم الذي هو من عظماء عصرنا ، وقد نشأ فى حصن الاسلام الحصين ، وكان اول ما اخذ بيده الكريمة اللوح والقلم، واستظهر القرآن ، وتعلم فى الكتاب ما شاء الله ان يتعلم ، وشاءت عناية الله ان نرى غصن الشجرة المحمدية النبوية الوارفة الظلال ، ينمو ويترعرع فى احضان القرآن ، وينتقل من كمال الى كمال ، يسهر على تربيته وتعليمه وتثقيفه وتوعيته نادرة ملوك الزمن ، بطل الدهر والمحرر الاعظم ، جلالة الملك المقدس مولانا محمد الخامس رضوان الله عليه ، فكان طيب الله ثراه يأتي صباح مساء للمعهد المولوي لمراقبة سير الاعمال ، والحث على حفظ القرآن الكريم ، واداء الصلاة فى اوقاتها ، فها نحن نرى نتيجة غرسه ، والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه » .

والآن ، وقد عزم مولانا الامام على وضع تخطيط جديد يتفق ومتطلبات العصر واعطى حفظه الله البيانات والايضاحات الشافية فى خطابه السامي العظيم الذي يعد بحق من جوامع الكلم . فها حكومة مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم تدخل فى طور التطبيق ، وتنفذ الاوامر السامية . اما المميزات الدينية والاخلاقية والتربوية لهذا النظام ، والله الموفق للصواب ، فانني اعتقد ان هذه الاجراءات ستكون نقطة انطلاق لتركيز الايمان فى قلوب الناشئة ، والجيل الصاعد على العموم، حيث تبين علميا أن المبادىء التي يتلقاها الطفل فى سن مبكرة هي التي تبقى راسخة فى ذهنه ، وانه سيبقى والحالة هذه ، يتمثل مدى حياته بالآيات القرآنية ، والتعاليم الدينية التي يتلقاها فى الكتاب .

فعملية الكتاتيب القرآنية ، عملية مقرونة بالدين ، بالايمان ، بالمروءة ، بالصدق ، فهي من الاعمال العظيمة التي تهيء لنا اجيالا متمسكة بالاخلاق الفاضلة ، متمسكة بالمروءة ، متمسكة بحبل الله المتين، وان هذه السنة المباركة ، والتي نسميها بحق سنة القرآن ، هذه السنة سنة اليمن والبركة سيعود فضلها وبركتها على هذا البلد الامين ، وعلى صاحب الفكرة الملك العظيم ابد الله عزه ونصره ، وان كل مسلم سيشارك باخلاص فى هذه العملية الجليلة التي تضمن لولده مستقبلا زاهرا خاليا من جميع الشبهات ، ومواطنا صالحا .

اما مسألة وضع بعض المساجد الصغيرة للاسهام فى انجاح هذه العملية ، فانني اؤكد أنه زيادة على الكتاتيب القرآنية الحبسية الموجودة حاليا ، والتي تعد بالآلاف ، والتي نجعلها تحت تصرف وزارة التعليم الابتدائي ، فاننا مستعدون ايضا لجعل المساجد الصالحة لهذه الغاية لانجاح العملية . وقد اعطينا التعليمات اللازمة لجميع نظار المملكة لاصلاحها اصلاحا متقنا ، وتفريشها وجعلها صالحة للغاية المنشودة . اما عن المساجد فهي ايضا رهن اشارة العملية ، وهذا هو الاصل ، ففي المساجد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتدارسون القرآن وهل يوجد افضل من بيوت الله لتلقين كلام الله لابناء المسلمين .

ومن ناحية اخرى ، فان وزارة الداخلية اخذت الترتيبات اللازمة لتوفير اقصى ما يمكن من الامكنة الصالحة ، وجعلت منذ الآن الدور القروية ، ليتخذ منها مراكز لتعليم القرآن الكريم طبقا للاوامر المولوية السامية ، وهي مجهزة بكل ما يلزم لهذه الغاية النبيلة.

اما من الناحية التربوية والاخلاقية ، فان النظام سيكفل للاطفال التحلي بالسلوك الحسن ، ويغرس فى نفوسهم الامتثال والصدق فى المعاملة ، كما سيعمل على تربيتهم تربية خلقية تتمشى مع روح الاسلام ، حيث سيلقنون المبادىء الاساسية لديننا الحنيف التي تدور فى معظمها على مكارم الاخلاق .

حاجتنا إلى ثقافة أصيلة تستفيد من النصوص والى قدوة صالحة تستولى على النفوس

للحميد الرحالي الفاروقي

حقا ان العلم ضياء العقول ، ونور الصدور ، وحياة القلوب ، وان حاجة الانسان الى مادة العلم ، كحاجة العين الى مادة النور ، بيد ان المرور بفنون العلم لا يتدرج بحياة الانسان الى آفاق النور ، ولا يترقى به الى مدارج السمو والكمال ، ما لم تصاحبها وسائل أخرى تغير من طبائع المتعلمين ، وتهيئهم — الى تطور الفكر بدراسة النصوص المتعمدة — والى دقة النظر بممارسة الاوضاع العلمية ، حتى تتيح لهم ان يستفيدوا مما يتعلمون ، وان يجيلوا انظارهم فى الحياة بمقتضى ما يعلمون ، فيبتدئون وضع البرامج ، ويكتشفون سر المآخذ ، ويرشدون بأقوالهم الحكيمة ويوجهون بأعمالهم السليمة — والحديث الذي شرح طبائع الناس وابان انهم معادن كمعادن الارض — واضح فى ان العلم بمجرده لا يخلق جيلا متساويا فى انصباء الخير ، ولا فى اسباب التقدم والرشد ، كما ان الماء وحده لا يجعل من طبائع الارض طبيعة واحدة — وهاك نص الحديث الذي املاه الامام البخاري رحمه الله فى صحيحه عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال — مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير — وكان منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا — وأصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ — فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم — ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . انتهى ولو اتيح لك ان تقوم بدراسة هذا الحديث الشريف ظاهرا وباطنا لكشفت عن شيء كثير من المعاني والحقائق — ولو قدر لك ان تجري احصاء فى قائمة المتخرجين من المعاهد العليا — أو المتخصصين فى مدارس التخصص لوجدت ان لبعضهم امجادا سائرة ولبعضهم أسواء ظاهرة — وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله انما انا قاسم والله المعطي — والذين يحملون رسالة العلم والثقافة فى كل عصر من العصور ليسوا سواء فى التربية والتعليم ، ولا فى القدرة على التصرف فى وجوه التخطيط والتصميم ولا فى استكمال عناصر الانسانية . واستكناه الحقائق العلمية ، فأهل المعرفة المتصوفة والثقافة المتصرفة قلة فى كل زمان ومكان — والفرق عظيم بين من صاغته العناية وهيأته الفطرة ، وبين من لم تسعده الطبيعة واخطاه نور التوفيق .

واولى الطوائف بالله ، والصقها بجانب الحق ، واجدرها بلسان الصدق ، اولئك الذين جمعوا بين العلوم النظرية ، والتجارب العلمية ، وخدموا قضية التعليم بصدق واخلاص — آمنت نفوسهم بالحق ، واخصبت بالخير المغروس فيها ، واستنارت نفوسهم وانارت بالمعرفة الصحيحة التي كسبوها وهؤلاء هم دعائم العز والرقي فى كل امة اذ يقومون بامانة الرقابة

في نفوسهم وفي غيرهم ، وينهضون باصلاح حالهم وحال مجتمعهم — وتتصل حياة هذا الدين بحياتهم ، كما تتصل حياة الشجرة بما فيها من بذور الانتاج والانماء ، فهي ان ولت او تولت تركت وراءها ما ينبت مثلها او اكثر الى ان ياذن الله بانقراض هذا العالم وتزلزل قواعده .

واولئك هم الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة الارض النقية التي تشرب الماء وتنتج الكثير من العشب والكلأ — وهم الذين ورد فيهم الحديث المشهور — العلماء ورثة الانبياء ، وظاهر ان الوارث في هذا المقام ما كان على قدم الموروث قولا وفعلا وحالا — وفي مقدمة هذه الطائفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم ، وكل من نهج نهجهم وسلك سبيلهم الى يوم الدين .

ومن معالم الطريق انه لا مقام للجهل في الاسلام — وان اقل درجات المسلم ان يكون لديه معرفة باركان الفضائل ليتحراها — وباركان الرذائل ليتخطاها فان لم يكن كذلك فهو من عصاة الله الذين اعرضوا عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — طلب العلم فريضة على كل مسلم — ولا يكون ابدا من الدعاة الى الله ولا من اهل العمل الصالح — فجهل المسلمين بحقائق دينهم ، ومقاصد شريعتهم اولا — وعجز العلماء والمثقفين ان يمثلوا الاسلام على وجهه الصحيح في حياتهم ، وان يقرروا الاخلاق باسلوب عملهم ثانيا — وتبرم القادة والزعماء عن سيرة القصد ، وسياسة الرشد ثالثا — وطغيان الاستعمار وتصرفه المنكر رابعا كل ذلك سبب الوقوع في هاوية الفرقة والوحشة والنكسة ، وخيب امل الاسلام في اهله وذويه .

وهناك طائفة اخرى شرحها الحديث الشريف وهي التي لا تستفيد من نصوص العلم فائدة ولكنها تحتفظ بذلك ويظل باقيا ببقائها وقائما بقيامها حتى يهيئ الله له من ياخذه عنها فيستفيد ويفيد — وهذه الطائفة اقل درجة وادنى مرتبة من الطائفة الاولى لانها لم تخل من نفع الناس والا لم تنفع نفسها ولم تنقذ راسها — وامثال هؤلاء — هم الذين ندد بهم القرآن في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » — وهم الذين اشار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله رب حامل فقه ليس بفقيه — رب مبلغ أوعى من سامع — وهم الذين هاجمهم الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء بكلام غليظ وبقول شديد .

وهؤلاء هم الذين شبههم الحديث الشريف بالارض الجذباء وهي التي تمسك الماء لينتفع به الناس في الشرب والسقي كالاراضي الصخرية وكمجاري الانهار والعيون والآبار — وما احوج المسلمين الى الكثير من الفريق الاول — الذين قاموا بارشادهم وتعليمهم — وكانوا قدوة لهم بعملهم وتخطيطهم — ولقد كان سلف الامة الصالح يربون تلاميذتهم بالقول والعمل فاثمرت جهودهم ، واخرجوا للناس ائمة يقتدى بفعالهم ، وكان تاثيرهم باعمالهم ابلغ من تاثيرهم باقوالهم ، وما كان الدين في وقت من الاوقات الا ايمانا وعلما وعملا .

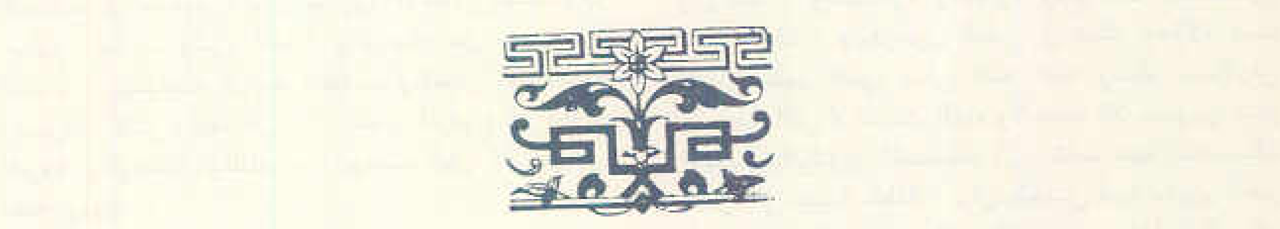
وما اضعف شان المسلمين في العصور الاخيرة الا قلة التربية الدينية ، وانعدام الثقافة الناطقة والقدوة الصالحة ، فاصبحت المدارس تلقن اقوالا مجردة ، والفاظا مرددة وتعبر عن حياة سطحية ظاهرية لا تنم عن تربية اخاذة تؤثر في النفوس ولا عن قدوة جذابة تبعث الروح وتهدي القلوب ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وهناك ضعفاء العقول والبصائر وهم الذين تتعهدهم بدروس الحكمة والادب وتاخذهم بالوعد والوعيد ، وبالبشارة والنذارة ومع ذلك يستعصون على جهدك ، ويطرحون الياس في قلبك وهؤلاء هم الذين مثلهم النبي صلى الله عليه وسلم بالارض السبخة التي لا تمسك الماء ولا تنبت كلا — ومن شأن النفوس الملتوية الضعيفة ان تنقلب فيها مقدمات الحق الى نتيجة باطلة ، وان ينعكس فيها مفهوم الخير الى مفهوم الشر — واكثر الناس من هذا الباب كما قال الله تعالى : « وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » فهواهم هو الذي يوجههم ويتحكم في حياتهم ، ويفسد احكامهم على الاشخاص وعلى الاشياء .

هذه هي الطبائع التي اشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم ارض — طيبة تمسك الماء وتنبت العشب والكلأ — وارض سبخة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ — وارض جذباء تمسك الماء ولا تنبت الكلأ وهو شرح واضح وتمثيل رائع .

وبعد فمن صواب القول وسداد الـــــرأي ان يبادر المسلمون الى رفع مكانتهم بتصحيح حضارتهم ، وتوسيع ثقافتهم . والتزام تربيتهم حسب المنهـــج الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم لهم وهو منهج مؤثر ومفيد استفادت منه الانسانية في ثلاث وعشرين سنة ما لم تستفده في جميع عصور التاريخ ــ اذ لا غنى لهم عن النهوض بالتربية السامية والثقافة المثمرة وذلك باصلاح معاهد المعرفة وتكييف مناهج الدراسة حتى تتسع آفاق الافكار ، وتتفتق عبقرية الانتـــاج والابتكار ، وحتى تنتج علماء قادرين وقادة مفكرين ينتفع بهم في مقام التهذيب النفسي ــ والخلقي وفي ميدان الاصلاح الاجتماعي والمادي ــ وينتهي ذلك بعد حين الى وضع الامور في مناصبها ، واكتشاف ما يخفى من عللها واسرارها ، ولا نريد ثقافة مزيفـــة تذهب بها الاهواء كل مذهب وتتعسف في الكلام وتتخبط في الطريق فتنكر ما يثبت وتثبت ما لا يثبت كما يقال ان خلق حواء من ضلع آدم عليه الســلام مــــن الاسرائيليات ــ وكما يقال ان الاســلام عقيـــدة وفلسفة وليس ثقافة وحضـــارة ــ وكمـــا يقـــال ان المسلمين لا دستور لهم مع انه محفوظ ومعروف وان كان قد وضع على الرفوف فالمسلمون لا ينقصهـــم الدستور وانما ينقصهم الايمان بالدستور والايمـــان بتنفيذه وهذه انجلترا تعرف دستورها مـــن دون ان تكتبه ، وتنفذه من دون ان تهجره ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا فهو ولي الهدى والتوفيق .

مراكش ــ الرحالي الفاروق





« مضى اكثر من ثلاثين عاما على صدور كتاب حاضر العالم الاسلامي الذي الفه لوثروب ستوارت وترجمه الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه الامير شكيب ارسلان ، واعتقد اننا فى حاجة ماسة الى دراسة جديدة لعالم الاسلام، وقد حاولت أن اجد كتابا وافيا بالغرض يصلح للقارىء العربي والمسلم فلما لم اجد بعد طول البحث حاولت ان اعد دراسة فى هذا المجال وكنت قد الفت كتابي « العالم الاسلامي والاستعمار » عام 1956 الذي أصبح اليوم فى حاجة الى مراجعة كبيرة للتغير الكبير الذي اصاب العالم الاسلامي ، لذلك حاولت اليوم محاولة جديدة فى كتابة دراسة جديدة تحت عنوان « عالم الاسلام فى واقعه المعاصر » وساخص بها مجلة دعوة الحق الزاهرة »

« تجمع الملايين من المسلمين المنبثين فى مختلف انحاء العالم عقيدة واحدة تطبع مجتمعاتهم بطابع واحد قوامه التوحيد والعدل والحرية والمساواة وتحمل السلام والوحدة والتقدم وتلتقي مع جميع شعوب العالم وأممه لقاء الاخوة ، وهذه الملايين تتطلع الى أن تكون قوة فاعلة فى النمو الحضاري والبناء الانساني الاكبر . »

يمثل « العالم الاسلامي » وجودا حقيقيا للجماعة الاسلامية ، وهو وجود سياسي واجتماعي له طابعه ومفاهيمه المستمدة من « الاسلام » بوصفه ليس دينا فقط ، ولكنه دين ومجتمع وحضارة ، ونظام كامل للحياة ، ومهما تشكلت هذه الجماعات فى نظم عصرية مستحدثة فانها لم تفقد صلتها بجذورها الاصلية ، وما زالت تتحرك فى اطار الاسلام — ويوجد المسلمون فى 67 دولة بنسبة أو باخرى ، وهذا يوازي اكثر من نصف دول العالم ، ويبلغ عدد الدول الاسلامية 29 دولة نصفها فى آسيا والنصف الاخر فى افريقيا ، ويبلغ تعداد المسلمين حسب اصح وارجح الاحصائيات ستمائة واربعة وثلاثين مليونا ، ويمكن القول بانه دولة فى العالم لا يوجد فيها المسلمون بقدر ما ، والمسلمون موزعون بين القارات الخمس ، وهم موزعون ايضا بين الشعوب الهندية ، والفارسية ، والمغولية ، والتركية ، والعربية ، والافريقية السوداء، فهم قارة وسطية تنصهر فيها جميع الاجناس والثقافات والامم وقد استقر الاسلام منذ وقت بعيد فى (الامة العربية) والدول الاسلامية الاسيوية القديمة (ايران وتركيا والهند وافغانستان) وما زال طابعه هو أوضح الطوابع ، غير أن الاسلام فى العصر الحديث قد أخذ يغزو بقوة منطقتين من اخصب مناطق العالم واشدها تقبلا للاسلام والتوحيد هي (1) جنوب شرق آسيا أو ما يسمى ارخبيل الملايو ، (2) شرق وغرب ووسط افريقيا وجنوبها حيث يواجه البوذية فى الاولى والوثنية فى الثانية .

ويجد الاسلام مجالا واسعا فى محيط السود فى كل مكان بوصفه رد الفعل الحقيقي للتفرقة العنصرية والاستعمار ونفوذ الرجل الابيض .

وقد حقق الاسلام وجوده عن طريق الدعوة لا عن طريق القسر والارغام ، حتى فى المناطق التي سيطر

عليها سياسيا واقام فيها دولة في المرحلة الاولى من حياة الدعوة الاسلامية ، فقد ظلت الدولة لا تفرضه على الشعوب والامم ، وتركت الامر للدعاة والعلماء الذين اذاعوا به وعرضوه فاقتنع به الناس عن تقبل عقلي وروحي ، وبعد مقارنات طويلة ومنافسات واسعة مع الاديان الاخرى : سماوية او ارضية .

غير ان نهضة انتشار الاسلام ذاتيا في العصر الحديث انما تعزى للدعاة والتجار ورجال الطرق الصوفية الذين انبثوا في مختلف المناطق الوثنية ، كما كان للدعاة الهنود والباكستانيين الذين ترجموا معاني القرآن والحديث النبوي الى اللغة الانجليزية اثر كبير في نفوس الاوربيين في المانيا وفرنسا وانجلترا وامريكا مما نتج عنه تيار جديد لمجموعة من الباحثين المنصفين الذين يرون في الاسلام المصدر الاكبر للسعادة الانسانية وحل مشاكل الانسان المعاصر ، والقضاء على المعضلات الثلاث الكبرى التي يواجهها العالم اليوم وهي : العدل الاجتماعي والتفرقة العنصرية والوحدة الانسانية .

*

قامت الدعوة الاسلامية على قاعدة اصيلة مستمدة من القرآن الكريم هي :

« لا اكراه في الدين »

وقد اعترف بذلك الباحثون المنصفون في الغرب يقول هنري دي كاستري في كتابه : الاسلام خواطر وسوانح :

« ان الاسلام لم يكن له دعاة مخصوصون يقومون بالدعوة اليه ، وتعلم مبادئه كما في المسيحية، ولو أن كان للاسلام اناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع ، فقد شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام ركبا من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد ان يكون هو قد باشر فتح المدن والاقاليم بجيوشه ، والتي كان يصلي بها الامم حربا لا هوادة فيها ، ولكنا لا نعلم ان للاسلام مجتمعا دينيا ولا رسلا او احبارا وراء الجيوش فلم يكره احد عليه بالسيف ولا باللسان » .

ولكن هذا « الاسلام » الذي لم يفرض نفسه على احد ، والذي دخل فيه كل من اعتنقه رضاء به وقبولا، كان غاية في التصميم على مقاومة كل من حاول الادالة منه او تشويه مفاهيمه او الادالة من ارضه ، فقد كانت مفاهيمه الاساسية تحمل دائما طابع « الجهاد » والمقاومة لكل غاز ومحتل ودخيل .

واذا كان قد عرف بالتأكيد انه ما من انسان دخل في الاسلام ثم خرج منه ، فانه قد عرف ان المسلمين كجماعات لم يستسلموا امام الغزو الاستعماري، وانهم قاوموا بالاجساد والارواح حين اعجزتهم الاسلحة ، وانهم لم يسقطوا في قبضة المستعمر — الا بالخداع والمؤامرة — او بعد ان فقدوا كل سبيل الى المقاومة ، ومع ذلك فقد كانوا لا يلبثون الا قليلا كيما يضمدوا جراحهم ، ليعودوا مرة اخرى الى المقاومة .

وقد اثبتوا انهم احرص الناس على التضحية بالارواح في سبيل الحرية والحق . وقد وجد منهم المستعمر معارضة شديدة ومقاومة بالغة ، حطمت كل خططه التي كان قد رسمها للقضاء عليهم او القضاء على مقوماتهم الاساسية في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والمستمدة من القرآن والاسلام .

وقد عرف الاسلام بالصمود في وجه المغيرين عليه عسكريا وفكريا ، وواجه حملات متعددة على طول تاريخه ، واستطاع في كل معركة ان ينتصر بقوة الايمان بحقائقه ومضامينه التي تستمد جوهريا من التوحيد والعدل والحرية والاخاء .

*

2 — يمثل العالم الاسلامي في مجموعه « وحدة جغرافية » : فالعالم الاسلامي اشبه بـ «قارة وسطى» بين القارات متصلة البنيان ضخمة المساحة تبلغ مساحتها 12 مليون ميل مربع تقريبا، تضم الصحراوات والسهول الزراعية وتجري فيها اعظم الانهار (النيل ودجلة والفرات والسند والكنج والنيجر) وهي جماع المناخ والنبات فيها الاقليم الاستوائي الحار ، والشمالي البارد وبينهما الاقاليم المعتدلة .

ويبدأ العالم الاسلامي غربا بالساحل الافريقي الغربي المطل على المحيط الاطلنطي ويمتد الى التركستان الصينية وباكستان الشرقية .

ويستغل العالم الاسلامي قلب العالم القديم ، تخترق بحاره خطوط الملاحة العالمية ولهذا كان لعالم الاسلام اهمية اقتصادية واستراتيجية كبرى .

والعالم الاسلامي يسيطر على مداخل المحيط الهندي ، وجزره تصل المحيط الهادي بالمحيط الهندي، والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط يقيمان في قلب ارضه ، وجبل طارق ، وقناة السويس .

(وحدة اقتصادية) وهو متنوع الغلات ، والمحاصيل ، والثروات ، والمعادن ، والنتاج الحيواني وبالجملة فهو وحدة جغرافية طبيعية ، تضم اضخم الموارد الاقتصادية الموارد الطبيعية ، فضلا عن ثروة الغابات والصيد البحري .

ويضم العالم الاسلامي مناطق زراعية واسعة ، تزرع جميع المحاصيل والغلات وتربى فيها ثروة حيوانية ضخمة ، كما يضم ثروة معدنية قوامها الفحم والحديد والفوسفاط والرصاص .

وتوجد فى العالم الاسلامي كميات وافرة من البترول بما يوازي (ستون فى المائة) من احتياطي العالم كله . وتنتج الدول الاسلامية ما يساوي ثلاثين فى المائة من الانتاج العالمي .

وحقول البترول موزعة على الكويت والمملكة العربية السعودية وايران والعراق وقطر والبحرين وابو ظبي وتركيا والجزائر وليبيا والجمهورية العربية المتحدة ونيجيريا والمغرب واندونيسيا وساراواك وبروني وباكستان وتمتد انابيب البترول من شتى انحاء العالم الاسلامي الى الموانىء المختلفة وتعد قناة السويس اعظم شريان مائي يتدفق عبره البترول ، حيث تعبر منها الى اوربا سنويا ما لا يقل عن 114 مليون طن .

وتسهم الدول الاسلامية بما يوازي 70 فى المائة من حجم التجارة العالمية ويبلغ انتاج العالم الاسلامي من الحديد 7 ملايين ونصف مليون طن ، وهذا الانتاج تقدمه دول افريقيا وآسيا حيث ينتج اتحاد ماليزيا نصف انتاج العالم الاسلامي ، وتمثل الجزائر المركز الثاني فى انتاج الحديد الخام ثم يليها مراكش وتونس وتركيا .

وتقوم صناعة الحديد والصلب فى العالم الاسلامي فى اربع دول اسلامية فقط هي : تركيا وباكستان والجزائر ومصر .

ويقدم العالم الاسلامي 164 الف طن من القصدير بما يساوي نصف الانتاج العالمي ويقدم العالم الاسلامي انتاجا ضخما فى مجال الصناعة ، كالزيوت النباتية وصناعة السكر والسجائر ، والمنسوجات وغزل القطن والصوف والحرير الصناعي والمطاط ومواد البناء والصابون .

ويصدر العالم الاسلامي قدرا كبيرا من المعادن الخام كالمنغنيز والفوسفاط والزنك ، والفحم ، والنحاس والكروم ، والكوبالت ، وغيرها من معادن السبائك والصناعات الكيمائية .

*

« وحدة اجتماعية » فهو يصدر عن ثقافة واحدة مصدرها القرآن الكريم ، والاسلام بوصفه « منهج حياة » بالاضافة الى انه دين سماوي يرسم للمسلمين القيم الاساسية لمفاهيمهم فى الاجتماع .

وفى السياسة والاقتصاد والتربية ونظريتهم الى الحياة والحضارة والعلم تقوم على شيء كبير من السماحة والتقدم والمرونة ، ويتيح لهم الاسلام الانفتاح على ثقافات العالم وحضاراته يأخذون منها ما يتفق مع مقوماتهم ، ويجددون حياتهم دائما دون ان ينفصلوا عن جذور دينهم الاساسية : وهي التوحيد والعدل والحرية والاخاء .

*

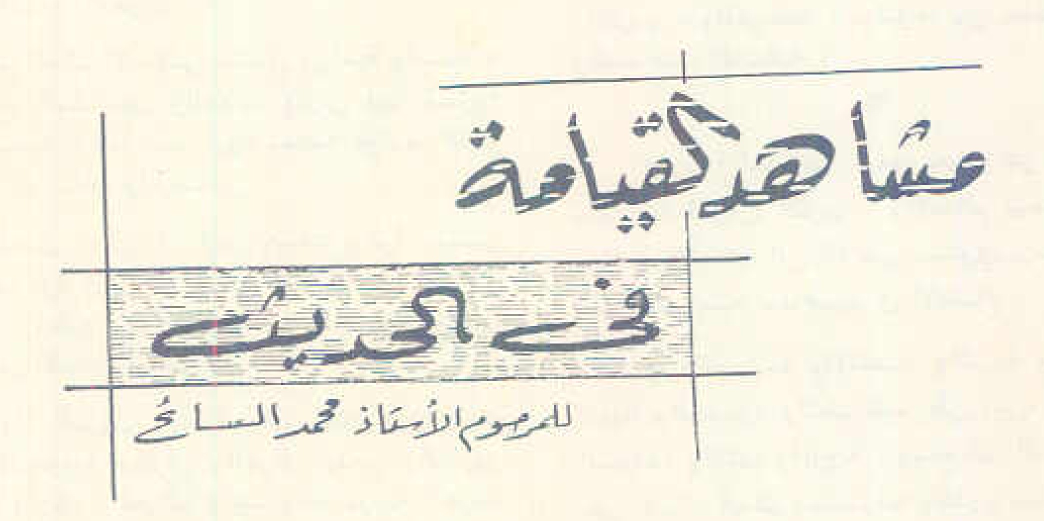
« وحدة الفكر » طبع الاسلام هذه الشعوب بطابع اجتماعي وثقافي وفكري موحد قوامه التوحيد والاخلاق والاستمداد من الشريعة الاسلامية علاقات الافراد والجماعات . وقد صنعت روح الاسلام الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى العالم الاسلامي كله وعاشت مظاهر الفكر الحديث .

وكانت وحدة الفكر والارتباط بالثقافة الاسلامية واللغة العربية عاملا واضحا فى عدم التمزق وفى العودة الى التلاقي الروحي والفكري .

كما اعطت وحدة الفكر شعوب العالم الاسلامي القوة والقدرة الذاتية على النفوذ الاستعماري — سياسيا واجتماعيا وفكريا .

(والى الحلقة القادمة :)

القاهرة : انور الجندي



كتب العلامة المحدث المغربي المرحوم الاستاذ السيد محمدالسائح قبل وفاته (مشاهد القيامة في الحديث) وكان ذلك آخرما كتبه على فراش موته ، وقد احببنا ان ننشر هذه المجموعة من الاحاديث التي وجد بعض منها فقط والتي لم يستطع كاتبها ان يعلق عليها حيث عاجلته المنية ليستقبل جناته الموعودة ، لهذا ننشرها كما وجدت لتكون موازرة لما كتبه المرحوم السيدقطب في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) .

« اشتهاء أهلها الزرع »

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية ان رجلا من اهل الجنة استاذن ربه في الزرع فقال له الست فيما شئت ، قال بلى ، ولكن أحب أن أزرع قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان امثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شيء فقال الاعرابي والله لا نجده الا قرشيا او انصاريا فانهم أصحاب زرع ، واما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

صفة ثياب أهلها

عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد كحل (من الكحل) لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم (اخرجه الترمذي)

حليتهم

عن أبي هريرة قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من قوله تعالى (وحلوا اساور) من المومن حيث يبلغ الوضوء اخرجه مسلم ومن حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا اساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم (اخرجه الترمذي)

صفة تيجانهم

عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب (اخرجه الترمذي)

صفـــة خيلهـــا

عن بريدة ان رجلا سال النبى صلى الله عليـــه وسلم فقال يا رسول الله هل فى الجنة من خيل قال ان الله ادخلك الجنة فلا تشاء ان تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت . قال وساله رجل فقال رجل يارسول الله هل فى الجنة ابل قال فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه قال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهيت نفسك ولذت عينك (اخرجه الترمذي) .

ســـــوقـــهـــا

عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليـــــه وسلم ان فى الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيـــع الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ، وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهـــم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقـــد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقـــد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا (اخرجه مسلم) .

صفـــة أهلهـــا

عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم ، (اخرجه الترمـــــذي وحسنه) .

اكثـــر أهلهـــا الفقـــراء

عن عمر ان بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطلعت فى الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت فى النار فرايت اكثر اهلها النساء وعن اسامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على بـــــاب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسين غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة مـــن دخلهـــا النســـاء (والجد بفتح الجيم اي الغنى) .

الصفات التي يعرف بها اهل الجنـــة

عن حارثة بن وهب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره ثم قال الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر (اخرجه مسلم ؛ المتضعف بفتح العين هو الـــــذي يستضعفه الناس ويستحقرونه وصف بأنه ضعيف فى نفســه وبان الناس يستضعفونه والعتل الجافي الشديد الخصومة بالباطل ، والجواظ على صيغة المبالغة هو الجموع المنوع ، ومن حديث عياض بن حمار المجاشعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيـــم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال (اخرجه مسلم ايضا) والمتعفف المتكلف للعفة ، يجاهد نفسه من اجلها ، والعفة الانكفاء عما لا يليق .

اكثر اهلها من هذه الامـــة المحمديـــة

عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسي بيده اني لا اطمع ان تكونوا ثلث اهل الجنة قال فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده اني لاطمع أن تكونوا شطر اهل الجنة ان مثلكم فى الامم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود او كالشعرة فى ذراع الحمار ، واخرج احمد وابن ابي حاتم من حديث ابي هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل مـــن الاخرين شق ذلك على الصحابة فنزلت **ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع** اهل الجنة بل ثلث اهل الجنة بل انتم نصف اهل الجنة وتقاسمونهم فى النصف الثاني والطبراني من وجه آخر عن ابي هريرة بلفظ أنتم ربع اهل الجنة انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا اهل الجنة وفى الباب حديث بريدة عن الترمذي قال فى الفتح فكأنه صلى الله عليه وسلم لما رجا رحمة ربه ان تكون امته نصف اهل الجنة أعطاه ما آرتجاه وزاده وهو نحو قوله تعالى ولسوف يعطيك ربـــك فترضى .

من يدخلهـــا بغيـــر حســـاب

عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فأجد النبي يمر معه الامة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشر والنبي يمر معـــه الخمسة والنبي يمر وحده ؛ فنظرت فاذا سواد كثير

قلت يا جبريل هؤلاء امتي قال لا ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد كثير قال هؤلاء امتك وهؤلاء سبعون الفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت ولم قال كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام اليه عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام اليه رجل آخر قال ادع الله ان يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة ، (الامة العدد الكثير) .

آخـــر مـــن يدخلهـــا

عن عبد الله رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر اهل النار خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر مني او تضحك وانت الملك ، فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجده وكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة ، ووقع في وصف هذا الرجل انه كان نباشا كما في حديث حذيفة في اخبار بني اسرائيل وفي حديث حذيفة عن أبي بكر الصديق عند أحمد وابي عوانة وغيرهما ثم يقول الله انظروا هل بقي في النار احد عمل خيرا قط فيجدون رجلا فيقال له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير اني كنت اسامح الناس في البيع وفيه ثم يخرجون من النار رجلا آخر فيقال له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير أني أمرت ولدي اذا مت فاحرقوني الحديث وقد وقع في غرائب مالك للدار قطني من طريق عبد الملك بن الحكم وهو واه عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه ان آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول اهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين

رؤية الباري سبحانه وتعالى فيها

عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم (اخرجه مسلم ، قال في الفتح جمع الدار قطني طرق الاحاديث الواردة في رؤية الله تعالى فزادت على العشرين وتتبعها ابن القيم في حادي الارواح فبلغت الثلاثين واكثرها جياد ، وأسند الدار قطني عن يحيى بن معين قال عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية صحاح .

سؤال الجنة من الله تعالى

عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها قولي اللهم اني اسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم واسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل واسألك خير ما سألك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسألك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا رواه احمد وابن ماجه وقال الحاكم ابو عبد الله هذا حديث صحيح الاسناد نقله النوري في اذكاره وعن أبي صالح ذكوان عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل كيف تقول في الصلاة قال اتشهد واقول اللهم اني اسألك الجنة واعوذ بك من النار اما اني لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها ندندن ، (الدندنة كلام لا يفهم معناه) والتعبير بها في جوابه صلى الله عليه وسلم جار على المشاكلة الضمير للمسالة الموعود عليها بدعاء الرجل .

لن يدخل احد الجنة بعمله وانما يدخلها بفضل الله ورحمته

عن بي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لن يدخل احد بعمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني بفضله ورحمته .



(3)

لو ان الاسلام اتى في بيئة تسودها «الاموسية»(1) لقام بقفزة أبعد في تحرير وانسنة المراة ، وانغمر في الدفاع على الرجل ، لان الرجل ، في النظام الاموسي، لا حول له ولا قوة . ان الاخلاقية الاسلامية تجعل دين القرآن يقف دائما الى جانب المقهورين على أمرهم ، الى ان يتغلبوا على الضعف والهوان . فالاسلام ، اذا هو لم يتخذ هذا الموقف ، لن ينسجم مع واقعيته التي تجعل منه « دينا صالحا لكل بيئة ولكل زمان » ، كما يعتقده مجموع المسلمين .

*

النظام الاموسي نظام تسود فيه المراة ، وتخضع الرجل الى سلطانها لان نفقة الاسرة والتسيير العام في البيئة تحت مسؤوليتها (2) . اما في المرحلة الحالية من المدنية الانسانية ، وقد أصبح واقع كل البيآت يرمي الى المساواة الاقتصادية والسياسية بين الرجل والمراة فالقضية توضع بشكل آخر .

لقد حققت الانسانية ، أو انها في طور التحقيق، ما يرمي اليه الاسلام من اكتمال في المساواة ، تشتغل المراة اليوم وتنتج ، مثل الرجل ، وتنفق على المنزل والاسرة ، بما فيها الزوج والابناء ، وتشارك المراة ايضا في كل الفعاليات المجتمعية ، ومن ضمنها الاعمال السياسية .

نحن هنا لا نعطي اي حكم قيمة على هـذه الاوضاع ، وانما نكتفي بوصف ما هو كائن ملحوظ . لقد تحررت المراة ، عمليا ، فلن يجوز ، دون تناقض مرير ، أن تبقى قوانين الحالة المدنية الخاصة بها دون مستوى الواقع . فمن المستغرب ان نحتج ، في عام 1387 هـ (1967) بما جاء في تفسير المنار ، من أن المراة : « تنازلت باختيارها ، عن المساواة التامة وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة ، وهي درجة القيامة ، ورضيت بعوض مالي عنها » (3) ان امراة اليوم ترفض « التنازل » ، فما الحل ؟

اذا اجزنا رئاسة الرجل، كما يطالب بها المناريون انتقلوا بنا الى الاستنتاج الآتي : « فان نشزت (المراة) عن طاعته (اي طاعة زوجها) كان له تأديبها بالوعظ ، والهجر والضرب غير المبرح ، ان تعين تأديبا . يجوز ذلك لرئيس البيت (...) كما يجوز مثله لقائد الجيش ولرئيس الامة » (4) . فطبقا لاي حجة ، منطقية او بيولوجية ، تعد المراة جنديا والرجل قائدا للجيش ؟ ومن جهة اخرى ، بمستطاع المراة ان تعكس معطيات الوضع ، فنتساءل :

---

1) انظر : **المصطلحات الفلسفية** (نشرته دار الكتاب ، الدار البيضاء) ص 102 .
2) كانت المراة في (اسبارطة) **تتمتع بحق تعدد الازواج !** ..
3) **تفسير المنار** ، ج 5 ، ط 3 ، ص 67 — 68 .
4) نفس المصدر ، نفس ص .

ما هي التدابير التي يجب اتخاذها في حق الرجل الناشز ؟

لقد ضرب بعض الصحابة نساءهم ، فما كان النبي الا ان ينهي عن الضرب ويدين من يرتكب ذلك السلوك : « لقد اطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ، ليس أولئك بخيارهم » (1) فاحتجاج كهذا ليس عجبا من نبي يصرح : « خيركم ، خيركم لاهله ، وانا خيركم لاهلي » (2) . وينصح بالحاح ، في خطبة الوداع الشهيرة : « الا فاستوصوا بالنساء خيرا ! »(3) ان الرئاسة تستلزم الطاعة ، والاسلام يصرح بأن « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . فهل من ضمان على ان الرجل لا يستعمل « رئاسته » الا في الطريق السوي ؟ فالقرآن يحض على ان لا تعصي المراة النبي؛ لان النبي — الرسول معصوم ، فلا يطالبها الا بالمعروف « يا ايها النبي !

اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا .

ولا يسرقن .

ولا يزنين .

ولا يقتلن اولادهن .

ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن .

ولا يعصينك في معروف .

فبايعهن واستغفر لهن الله » (60 : 12) .

فالآية لا تشترط ، في معاهدة المومنات للرسول، بأن يعترفن برئاسة الزوج ضمن مقايضة يتنازلن بمقتضاها عن « المساواة التامة (...) ويرضين بعوض مالي عنها ، كما جاء في تفسير المنار (4) ، القرآن لا يطالبهن الا بعدم الكذب ونبذ الشرك كما يطالبهن بالاستقامة . فخصوم الاسلام يفترون عليه عندما يتهمونه بأنه لم يحفل بالنساء وانه يعدهن (في نظرهم) مجرد « أشياء » لمتعة الرجل . ان الآية المتقدمة تنوه بهن وتدخلهن في حوار مباشر مع النبي — الرسول ، ويدور الحوار حول أمر ذي شأن خطير : الايمان ، واخلاقية السلوك العام .

فما يسميه المناريون « بالرئاسة » و « القيادة » هو ما يعبر عنه سيد قطب بـ « القوامة » اذ يؤكد ان قاعدة سلامة الاسرة هي أن تكون القوامة بيد الرجل. ويعطي المؤلف على ذلك ما يسميه **بدلائل** ، منها : « توقان المراة الى قيام هذه القوامة على أصلها الفطري في الاسرة ، وشعورها بالحرمان والنقص وقلة السعادة عندما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوامة » (5) .. يلاحظ السيكولوجيون ان المراة المعاصرة ، على عكس ما كتبه سيد قطب ، تشعر بالحرمان كلما استبد الرجل بـ « القوامة » .

*

كثير من خصوم المراة (وخصوم المراة خصوم للاسلام بالضرورة) ، يحتجون بأحاديث لا يطمئن لها المنطق السليم لما فيها من تناقض ينبيء عن الزيف .

لقد اتخذت الاسرائيليات من وضع الاحاديث سلاحا لتهديم الكيان الفكرولوجي الاسلامي . « الحرب خدعة » ، وقد خدعوا الاسلام بتوجيه مبادئه على نحو مغاير لواقعيتها ، وبتقليص آفاقها . والى جانب الاسرائيليات ، تدخلت العوامل السياسية بين الشيعة والعثمانية وغيرهما من الطوائف الدينية التي تجندت لتحقيق أهداف سياسية . ومثال واحد يكفي للبرهنة على ذلك : تزعمت عائشة ام المؤمنين الهيأة المعادية لعلي بن ابي طالب ، الى جانب طلحة والزبير وغيرهما من كبار أصحاب النبي . اضطر المناوئون الى عدم مواجهتها مباشرة ، لما تتمتع به من ثقة المسلمين؛ فهاجموها ، من الهامش ، بأحاديث تتهم المراة عامة في دينها ، وعقلها ، وحسن تدبيرها . من ذلك الحكاية التي رووها عن أبي بكرة : « ما نجوت من فتنة وقعة الجمل الا لما تذكرت من قول رسول الله : لم يفلح قوم ولو أمرهم امراة » . حقا ، يروي البخاري في صحيحه حديثا بالصيغة الآتية : « لا يفلح قوم ولوا امرهم امراة » ، الا ان التأويل الصحيح هو ما حمله

---

1) ننقله عن سعيد الافغاني ص 55 .
2) سنن الترمذي
3) سيرة ابن هشام ، ج 3 ص 416 .
4) انظر هنا ، ص 89 .
5) في **ظلال القرآن** ، ج 5 ، ص 60 ، ط 2 ، القاهرة ،دار احياء الكتب العربية .

عليه كبار الفقهاء ، من بينهم ابن حزم الذي قصر معنى الحديث على تجنيب المراة « ولاية » او رئاسة الدولة ، اي الخلافة العظمى » فحسب ، اما بقية المناصب فيجوز للمراة ان تتولاها ، دون اية معارضة شرعية .

الى جانب وضع الاحاديث ، من لدن حركة الاسرائيليات والهيآت السياسية ، نجد عملية زيف ، من نوع آخر ، تحرص على تاويل الاحاديث تاويلا موجها مغرضا ، من ذلك ما روى عن عائشة انه جاء رجلان فادعيا ان ابا هريرة يتحدث ان النبي كان يقول : « انما الطيرة في المراة ، والدابة ، والدار » فطارت شقة من ام المومنين في الارض ، وقالت : « والذي انزل القرآن على ابي القاسم ! ما هكذا كان يقول ! انما قال : كان اهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المراة والدابة والدار » (1) فالاختلافات بين الرجل والمراة (كالحيض ، والحمل ، والولادة ، والرضاع) لا تضعف القوى الجسمية لدى المراة ، بل تعطيه مناعة ضد كثير من الامراض (نسبة طول عمر المراة اعلى بكثير من عمر الرجل ، كما ثبت ذلك بالاحصائيات على المستوى العالمي) ثم ان آلام الحيض والمخاض والحمل ، والوضع يكسب المراة قدرة خاصة على تحمل الآلام لا يعرفها الرجل .

*

بين الاموسية والابيسية

ربما عارض بعضهم بما جاء في **تفسير المنار** ، من ان الله قد فضل : « الرجال على النساء في اصل الخلقة ، واعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام اثر التفاوت في الفطرة والاستعداد » (2) .

انه ، على ما يظهر ، اعتراض مردود على اصحابه ، لان العلم قد اكتسب معطيات كثيرة ومتنوعة لم تكن معروفة قبل الحرب العالمية الاخيرة ، فبالاحرى لدى معاصري الاستاذ الامام الذي قام بدراساته التفسيرية الاجتهادية في اواخر القرن الماضي. لو عاش الاستاذ الامام احوال يومنا لكانت نظرته الى الوضع غير ما كانت عليه في اوائل هذا القرن ، تطبيقا لمبدا الاجتهاد الذي يقضي بوجوب « تغيير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة » ، كلما حدث ما ترتبت عليه « مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله » (3) . فالمجتهدون يعملون ، دائما ، بالقاعدة الاصولية « درء » المفاسد مقدم على جلب المصالح »

فنحن اليوم في مفترق الاختيارات : اما ان نسهم في تنظيم المساواة فنوجهها ، واما ستتم ، بالرغم عنا ، وفي اتجاه لن نرضاه ، ولن يرضاه الاسلام لنا .

*

ان ما رويناه عن تفسير المنار يعكس موقفا تحريريا ، وفي نفس الوقت مظهرا من مظاهر التشبث بالابيسية ، عن غير قصد وبكيفية غير مباشرة . ولقد ثبت ، عمليا ، ان اتجاه البيئة المتحضرة المعاصرة ينزع الى القضاء على مواريث النظامين الاموسي والابيسي، ليؤسس بنيات مجتمعية جديدة ، على معايير وقيم تفترض المساواة التامة بين الجنسين .

*

السؤال يفرض نفسه على كل باحث، مسلما كان او غير مسلم ، فنحن ، كشهود عيان ، اردنا ان نتجنب سياسة النعامة والعبث ، لزمنا ان نسجل الظاهرات المجتمعية في البيئات المعاصرة كما هي ، انها تثبت، (والايام لا تزيد ذلك الا تأكيدا) **ان النظام الاموسي قد دخل في خبر كان ، كما ان كهولة عصر الابيسية تهوي نحو الشيخوخة والهرم . لقد ظهر تفتح نظام جديد تتكامل فيه الابيسية مع الاموسية ، داخل نسق جديد يخفق شبابا وحماسا** . فلن يجدينا ، والوضع هو هذا ، ان نترك خرير نهر النظريات يلهينا عن تلاطم امواج بحر الواقع . علينا ان نتريث قبل فوات الاوان ، فنضع اقدامنا في ممشاة نختارها ، عن دراية ، تقينا المزالق. اليس الاسلام « صالحا لكل زمان ومكان » ؟

*

تلك هي بعض مشاكل المراة ، كما توضع اليوم، عرضناها في نطاق اسلامي متحين(Actualisé) لكن ، الى جانبها ، اعتراضات توجه الى الاسلام ، من الخارج، نود ان نشير الى احداها لانها اكثر التصاقا بموضوعنا،

---

1) **الاجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة** ، ص 123 .
2) ج 3 ، ص 67 .
3) ج 4 ، ص 350

الحياة الجنسية في الاسلام .

يعتبر بعض الغربيين المرأة المسلمة شيئا من متاع الرجل لا يتعدى أن يكون موضوعا لشهواته المادية اذ يرون ان اخلاقية الاسلام لا تخرج عن دائرة الجماع وأن ليس هناك ، حسب رأيهم (1) ما يدعو الزوج الى جمح شهواته الجنسية .

لقد تغافلوا عما يذكره القرآن من فضائل المؤمن الصادق ، مثل الطهر ، والتقوى ، والعفة . فهل من اللازم أن يستعمل القرآن كلمة « جمح » الشهوات ، أو ما يقابلها في اللغات الاوربية ، بحروف لاتينية أو يونانية لنستطيع أن نؤكد أن في الاسلام واجبات اخلاقية ؟ ! ...

الاسلام واقعي ، لهذا يكره العزوبة ، ويرى في الزواج حصانة ضد الزنى ، ومنبع المحبة والتضامن الذين يولدان في الاسرة ثم ينتشران في مجموع الامم او ليس التكيف مع الحقائق الانسانية من الواجبات الاولى ؟ .. فالحياة الجنسية تلعب دورا أساسيا لدى الكائنات الحية ، وكل معارضة للطبيعة .. اخلال بالاجهزة المعنوية والنفسانية .

يحكي القرآن قصة خطيئة آدم وحواء والاكل من الشجرة، بيد أن الاسلام لا يؤيد الاعتقاد القائل بأنها خطيئة اصلية تتابع النوع البشري الذي بات ، من جرائها ، ذا طبيعة فاسدة مدنسة (2) . فالاهواء، حتى الشهوانية منها ، والرغبات الطبيعية ، كلما كان اشباعها باعتدال وفي حدود العفة ، اتفقت مع الاخلاقية الانسانية ، لانها عناصر من صميم طبيعة الانسان . فالواقعية ، اذن ، تفرض على كل مجدد مسلم ان لا يخجل من الاهتمام الذي اعاره الاسلام للغريزة الجنسية : ان معطيات الدين الاسلامي في مستوى الكائنات البشرية . فتفضيل الزهد والعفة على الزنى قاعدة من قواعد الدين الاساسية ، لكن العزوبة ، عن عقيدة وقناعة جنسية ، مكروهة ، لانها تعاكس الطبيعة .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) منهم Kemkamp الذي يذكره بوسكي Bousquet في **كتاب الاخلاق والاخلاقية الجنسية في الاسلام** ص 101 باريز ، 1953 .

2) سنحلل هذا الموضوع في الفصل المتعلق بمشكل **الشر** .



كان العرب قبل الاسلام يعيشون فى اقليم محدود بالجنوب الغربي من آسيا يتصل بالبحر الاحمر غربا وبالحيط الهندي جنوبا وبالخليج الفارسي شرقا وببادية الشام شمالا . بل ان هذا الحد الشمالي كان يضم جزءا من العراق وجزءا من بلاد الشام .

وحيث ان بلاد العراق وبلاد الشام مرت عليهما حضارات قديمة وكانتا مجاورتين للفرس والروم فانهما كانتا اقرب الى الحضارة من باقي الاجزاء العربية اذا استثنينا الجزء الجنوبي الذي هو بدوره عرف نوعا من الحضارة التي اهتمت بالزراعة الفنية وبالصناعة المحكمة .

ان الجزيرة العربية اذا استثنينا اطرافها الشمالية وجزءها الجنوبي كانت فى اغلبيتها صحراء قاحلة لايستقر فيها الساكنون ولا يطمئنون الى عيشهم ولا يتوجهون الى تنمية اقتصادية شاملة او الى نشر تعليم ينمي فكرهم ويرفع مستواهم الاجتماعي وذلك راجع الى اسباب كثيرة أهمها انهم لم يستمتعوا بأسس الحضارة التي تعتمد على الاستقرار والاطمئنان والامن فكانوا يرتحلون من حين لآخر وينتقلون فى اجزاء شبه الجزيرة يطلبون الكلأ ويتناحرون من أجله .

ولم يستثن من ذلك الا بعض الواحات او المدن المعدودة التي ازدهرت فيها التجارة او التي استقرت بها الاوثان كمدينة مكة التي كان يلجأ اليها العرب في عبادتهم وكانوا يجتمعون قربها بسوق عكاظ حيث كانوا يلقون اشعارهم وينشرون خطبهم ويتحدثون فى مشاكلهم وشؤونهم ويتفاخرون بأدبهم ويلتجئون الى حكام امتازوا بذوقهم الادبي ومعرفتهم بالشعر ويستمعون الى آرائهم ونظرياتهم بحيث كانت هذه السوق مظهرا من مظاهر الحضارة العربية آنذاك فى الحجاز .

ولكن ليس هذا كافيا لوضع العرب آنذاك في صفوف الدولة الراقية لانهم كانوا يفقدون أكبر عنصر لتوحيدهم وتآزرهم فهم لم يكونوا ينتمون الى وحدة دينية او الى وحدة قومية تشد ازرهم وتعلي شأنهم وتجعلهم يتوجهون الى العلم والبناء والتشييد ويبتعدون عن الجهل والحرب والخراب .

واذا كانت احوال الجزيرة العربية قبل الاسلام مضطربة فى البوادي العربية وفى جل اطراف الحجاز وكانت مظاهر التخلف فى مختلف القبائل الشمالية فان هذا التخلف أصبح شاملا حتى لبعض الاقاليم التي كانت قد اشتهرت بحضارتها فى التاريخ القديم .

فالجنوب العربي مثلا كان فى التاريخ القديم موئلا لحضارات عربية ما زالت الآثار والكشوف الى الآن تبرهن على قيمتها وجلالها وكان مقرا لدول ذات حزم وعمل فالمعينيون والسبئيون والحميريون كل هؤلاء كانت لهم دربة زراعية وخبرة صناعية واهتمام تجاري (1) .

---

1) الدور المعيني ما بين 3000 والف قبل الميلاد ، والدور السبئي كان ما بين 1000 و 115 قبل الميلاد
اما الدور الحميري فكان ما بين 115 ق م . و 525 ميلادية .
ولقد تحكم الحبشيون فى اليمن ما بين 525 م و 575 ميلادية ومن سنة 575 م الى سنة 632 م كان للفارسيين تدخل فى الحكم . انظر تفصيل ذلك فى كتاب عصر ما قبل الاسلام تاليف محمد مبروك نافع صفحة 51 فما بعدها .

لقد تعهدوا اليمن واسسوا السدود وبرعوا في تنظيم وسائل الري فازدهرت البلاد وارتفع مستوى المعيشة بين افرادها ونمت حركتهم التجارية وارتبطوا بالهند في معاملاتهم وكانوا حلقة الوصل بينها وبين باقي الاجزاء العربية بل كانوا هم الذين يرسلون كثيرا من صنائعهم الى البيزنطيين والفارسيين ولكن هذه الظاهرة لم تدم بسبب الحروب الداخلية التي نشأت بأرضهم تلك الحروب التي اخذت صبغة دينية من جهة وصبغة سياسية من جهة اخرى .

ففي عهد الحميريين دخلت المسيحية واليهودية الى بلاد اليمن ونشأ خلاف بين هاتين الديانتين ادى الى اقتحام الحبشيين ارض اليمن ليكرهوها على اعتناق الدين المسيحي وليتدخلوا في تسييرها السياسي ولما استقروا بها بنوا بمدينة صنعاء كاتدرائية عظيمة جدا كانوا يريدون ان يوجهوا اليها انظار العرب في كل جزء وأن يستميلوا اليها عرب الشمال .

ولكن الوثنية في الشمال كانت قائمة ومتحكمة وكان العرب يتوجهون الى الكعبة ويتمسحون بأوثانها واصنامها ويتقربون بها الى الله فلما رأى الحبشيون ذلك ارادوا ان يهدموا الكعبة حتى لايجد العرب مفرا من اللجوء اليهم .

وتوجه الجيش الحبشي بقوته الى الشمال يريد هدم الكعبة واراد رئيس الجيش أن يدخل الرعب في المقاومين العرب وان يثير الفزع في خيولهم فركب فيلا عظيما ذعرت من رؤيته خيول العرب وفرسانها ولم يستطع القرشيون حماة الكعبة قدرة على مقاومة هذا الجيش العظيم ولكنهم التجأوا الى الايمان بأن الكعبة بيت مقدس عند الله وان لهذا البيت ربا يحميه .

وكأن الله اراد أن يرفع من قيمة قريش بين القبائل العربية وان يذيع فضلها بين الناس وأن يمهد الدعوة التي ستنبعث منها بعد اربعين سنة فقط فحقق آمالهم وحمى هذا البيت الكريم من الهدم بسبب مرض الجدري الذي انتشر بين الجنود الحبشيين .

واعتبر عرب الشمال هذه النكسة التي اصيب بها الحبشيون نصرا عظيما لهم ورفعا لمكانتهم وقهرا لاعدائهم .

وكانت هذه الواقعة سببا في اعزاز قريش وفي نشر نفوذها المعنوي على جميع القبائل العربية وقد جعلها الله عبرة لهم فذكرهم بها لئلا يستمروا في معارضة الرسول صلى الله عليه وسلم وقوى بها امل محمد في النصر فقال : **«الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول»** .

وكان انهزام الحبشيين تشجيعا لليمنيين على تأسيس حركة وطنية تعمل من اجل تحريرهم واستعانوا ببلاد فارس على تحقيق ما يرجون وتزعم هذه الحركة اول الامر ابن يزن احد اشرافهم ثم ابنه سيف الذي اصبح فيما بعد بطلا من ابطال الملاحم الشعبية التي تذكي الهمم وتربي النفوس .

ومن المعلوم ان الحرب اذا استمرت في امة من الامم حطمت معالم حضارتها ووجهت عناية افرادها الى التفكير في المقاومة وفي البحث عن وسائل التدمير والتغلب والقضاء على الطرف المعادي .

وكانت هذه الحروب عاملا آخر من عوامل التخلف الذي منيت به اليمن في مناسبات شتى .

فقد كان اليمنيون يعتزون بسدودهم وبتجارتهم ولكن التجارة تقلصت بسبب فتح بعض الطرق الجديدة على يد المصريين والروم وبسبب حماية البطالمة للبحر الاحمر ، اما السدود فقد اهملت ويكفينا دليلا على ذلك انهيار سد مأرب الذي حاول حكام اليمن ان يتعهدوه وان يرمموه ولكنهم لم يستطيعوا فقد اصيب بالتصدع الاول الذي كان سببا في القضاء على الدولة السبئية قبل الميلاد بمائة وخمس عشرة سنة 115 ق.م ثم كان له تصدع آخر ايام الحميريين التابعة سنة 450م ثم تصدع نهائي سنة 540م ايام التغلب الحبشي .

ولقد اشار القرآن الى التصدع الاول الذي كان سببا في القضاء على السبئيين سنة 115 ق.م واظن ان سياق الآيات لايقتضي غيره (1) فقال : **«لقد كان لسبا**

1) ذلك لانها تحدثت عن سبأ وعن نهايتها وكان ذلك سنة 115 ق م اما التصدعان الآخران فكان احدهما في عهد الحميريين وكان الآخر في عهد التغلب الحبشي بحيث لم يكن للحكم السبئي اثر وعليه فلا معنى لقول محمد مبروك في كتابه عصر ما قبل الاسلام بعد ذكره لتاريخ التصدعات ... ولا نعلم علم اليقين الى ايها يشير القرآن الكريم لان ذكر سبأ في الآيات مخصص للتصدع المقصود انظر عصر ما قبل الاسلام صفحة 81 .

في مساكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل يجازى الا الكفور » (1) .

وبانهيار السد ضاعت مقومات تلك الحضارة اليمنية التي كانت تعتمد في بنائها على الزراعة المنظمة وعلى الهندسة في استجلاب الري وسقي الاراضي وعلى القدرة على مد الانابيب وصناعتها وعلى ما يخلفه الري الاصطناعي من رفع للانتاج وتضخم للغلات .

وهكذا نلاحظ ان الحضارة اليمنية لم تكن في الحقبة التي جاء فيها الاسلام ذات قيمة ولم يكن لها نفوذ او وجود فكان اليمنيون ايضا يعيشون في تخلف كاغلب الاجزاء العربية .

ولم يبق بين ايدينا آنذاك الا الجزء الشمالي في حدود بلاد فارس وفي حدود بلاد الروم .

فقد عرف العرب في حدود بلاد فارس حضارة نسبة ادت الى قيام دولة عربية بالعراق (2) بمدينة الحيرة على نهر الفرات كان القائمون عليها هم اللخميون اشتركوا مع الفارسيين في تسيير دواليب الحكم بالنسبة الى السياسة الخارجية وبقي لهم حق التصرف الداخلي وتأسست ايضا بالشام الدولة الغسانية التي كانت تسير وفق السياسة البيزنطية (3) وكانت هاتان الدولتان بحكم اتصالهما بالحدود الفارسية والرومية متصلتين بالثقافة اليونانية التي كانت سائدة في كل من الشام وبلاد فارس .

وعرف ملوكهما نوعا من الرفاهية لم يكن معهودا لدى العرب في وسط الجزيرة وصار لهم من الانظمة الحكمية ما يلائم رفاهيتهم وعظمتهم واصبحت قصورهم تستقبل الشعراء والخطباء واصبحت مدنهم تستقبل وفود التجار من باقي الاجزاء العربية واصبح بعضهم يتحكم في بعض القبائل المجاورة ويريد التغلب عليها

ويكفينا من ذلك ما عرف عن عمرو بن هند (554م569) من مناصرة للبكريين على التغلبيين في المحاكمة التي وقعت بين عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة والتي ادت الى اغتيال هذا الملك من طرف الشاعر عمرو بن كلثوم زعيم التغلبيين .

ورغم وجود هاتين الدولتين اللتين كانتا حاجزتين للروم والفرس عصر ما قبل الاسلام فان نفوذهما صار ضئيلا قرب ظهور الاسلام نظرا لاحتدام الحروب بينهما ولاحتدام الحروب بين الفرس والروم .

وقد تقدم ان عدم الاستقرار يؤدي الى انحلال الحضارات والى انهيارها او الى انعدامها على الاطلاق .

وهكذا لاحظنا في هذا العرض ان الجزء المتحضر من الجزيرة العربية لم يكن ذا استقرار ايضا مما جعل حضارته جزئية اقليمية لا تمثل استقلالا في الراي او قوة في الحكم او شيوعا في الثقافة او الصناعة ولم تكن لهم قدرة على التوسع او التحكم فكانت حضارتهم مقفلة خاضعة للاتجاهات الفارسية والبيزنطية لم تظهر للشخصية العربية طابعا ولم تجعل لها نفوذا .

اذا اتضح ذلك امكننا ان نقول ان العرب في اواخر القرن السادس الميلادي كانوا في حاجة الى قوة توحدهم وتبعد عنهم مظاهر التخلف التي كانت متجلية في جل اقاليمهم وتبعد عنهم شبح الاحتلال السياسي الذي كانت تتنافس فيه كل من دولة الفرس والروم .

فالعرب في هذه الحقبة لم تكن حضارتهم واضحة ولم يكن تقدمهم ثابتا لانهم فقدوا الازدهار الذي كان في الجنوب واصبحت معالم حضارتهم في الشمال ضيقة لاتتجاوز الحيرة وغسان واما باقي الاجزاء العربية فاغلبها قبائل متناحرة متنافرة يغلب قويهم ضعيفهم وتتحكم فيهم الوثنية فيقضون ساعات كثيرة بين اصنامهم واوثانهم وانصابهم يظنون ان لها القدرة على التوجيه والهداية فيخضعون لها الخضوع المطلق ويخنعون لها خنوع الاستسلام .

---

1) من سورة سبأ 15 + 17

2) تأسست دولة الحيرة في اوائل القرن الثالث ومن اشهر ملوكها امرؤ القيس بن عمرو (288 — 8 32) والنعمان الاول (400 — 418) والمنذر الاول (418 — 462) والمنذر الثاني (505 — 554) وعمر بن هند (554 — 569) والنعمان الثالث (580 — 602) .

3) من اشهر ملوك الغسانيين الحارث بن جبلة (529 م — 569) وكان ذا مركز عظيم في تاريخ هذه الدولة ثم المنذر بن الحارث الذي وقعت بينه وبين الروم خصومات ادت الى نفيه الى القسطنطينية ثم الى صقلية وادى ذلك الى قيام ثورة ضد الامبراطور من قبل ابناء المنذر واسر منهم ابنه النعمان سنة 583 م .

فلم يكن للشخصية العربية اذن وجود فعلي في هذه الحقبة لان العرب كانوا بين بدوي تتحكم فيه الخرافات والعوائد وبين متحضر ليست له القدرة على التحكم وفرض الوجود لانه يوجه من قبل غيره ولا يجد القدرة السياسية على مد نفوذه على اقاليم اخرى يستطيع تمدينها وتحضيرها .

وفي كلتا الحالتين لايظهر للعرب فضل ولا تقوم لهم قائمة .

شيء واحد كان يمكنه ان يلعب دورا عظيما في توحيد العرب وتوجيههم الى الخير هو ايجاد شعور مشترك بينهم يرفع من قيمتهم ويبين لهم انهم لم يخلقوا ليكونوا تابعين خاضعين لاية دولة ولم يهيؤوا ليكونوا متقاطعين متنافرين اذ لابد من ايجاد وحدة بينهم توحد بين أراضيهم وبين مبادئهم وتربط بينهم وبين غيرهم من الدول والشعوب فليس هناك اي معنى لانطواء العرب على انفسهم ولاستمرارهم على غيهم وطغيانهم وتنازعهم وتنافرهم لان ذلك يدفع الدول الاخرى الى الابتعاد عنهم والى محاولة غزوهم اذا اقتضى الحال ذلك .

وقد احس بعض الشعراء والادباء والخطباء في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع بضرورة هذا الاصلاح واصبح المجتمع العربي متشوفا الى منقذ ومتطلعا الى مصلح يغير الاوضاع .

وثار بعض الشعراء ضد التفرقة وضد الحرب رغم ان الحرب عندهم كانت مظهرا من مظاهر الشجاعة التي يجعلونها اسمى صفة عند العربي خصوصا اذا أضيفت الى الكرم .

ويكفينا دليلا على ذلك ما سجله الادب العربي من صيحات عالية مدوية لزهير بن ابي سلمى كان ينفر منها الذبيانيين والعبسيين من بعث الحرب التي كانت بينهم ، تلك الحرب التي عرفت في تاريخ العرب بحرب داحس والغبراء او بحرب السباق والتي انتهت بسبب تدخل سيدين كريمين من قبيلة غيظ بن مرة من غطفان استطاعا ان يقدما دية القتلى وأن يمحوا شبح الحرب بكرمهما وبذلهما ،

واستحق هذان السيدان وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف التخليد في معلقة زهير حين قال:

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما
تبزل ما بين العشيرة بالدم

ولما أحس الشاعر بأن شخصا من الذبيانيين يريد أن يتناسى قانون الصلح وأن يعيد للحرب جذوتها خاطب قومه بقوله :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها
قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ولكن هذه الصيحات كانت جزئية لم تجد من العرب من ينفذها ويذيعها ويجعلها قانونا عاما وحكما ثابتا :

والسبب في ذلك هو ان هذه الدعوات لم تكن ذات فلسفة خاصة يتماسك بعضها ببعض لتكوين فكرة اساسية تقضي على الاسباب الداعية الى الحروب :

فالقبائل العربية لم تكن مولعة بالحرب فقط بل كانت هناك اسباب مختلفة متحكمة في تربية الافراد قاهرة لهم في اتجاههم على شكل معين ولهذا لم يكن من المعقول الدعوة الى السلام دون التفكير في محو الدوافع الى الحرب ،

وكان أول ما يجب أن يقوم به المصلحون آنذاك هو تحديد مقياس جديد للمفاهيم الخلقية في البيئة العربية وتوحيد العرب على قانون يجمع بينهم ويوحد بين آرائهم وعواطفهم وينظمون به شؤونهم وآنذاك يمكنهم أن يشاركوا مشاركة فعالة في الحضارة الانسانية ولكن كيف يتأتى ذلك دون اصلاح جذري قوي يستطيع به الفرد العربي أن يثور على عوائد متمكنة من نفسه تمكنا متينا قد لا يزول عنها الا بقوة خارقة للعادة تقوم بتربيته وبرفع معنويته وباظهار كرامته وباشعاره بوجوده ووجود من معه وأنه لم يخلق في هذه الحياة ليعيش وحده وانما الحياة مبنية على التعايش السلمي وعلى تبادل المصالح وعلى الاقتناع باللجوء الى حكومات تفصل فيما يقع بينه وبين غيره وأن لا يقتصر على الانتقام الفردي او الانتقام القبلي ، وهذا أمر لا يعرف ما فيه

من صعوبات تطبيقية الا الذيــن حاولوا تغيير مــا بانفسهم من انحرافات وما كانوا يلقون في ذلك مــن مشاق عظيمــة في تغليــب ارادتهــم على هواهــم وعواطفهم ،

المجتمع العربي كان مجتمعا يؤمن بالحرب اشد الايمان دون تأمل في الاسباب والغايات ودون بحث عن الدوافع والحوائل وانما يقــوم بالحرب مناصرة للقبيلة ظالمة كانت او مظلومة ، قال شاعرهم :

وما انا الا من غزية ان غــوت

غويت وان ترشد غزية ارشد

وان اشعار هذا المجتمع بالابتعاد عن الحــرب الغير الهادفة للمصلحة القومية العربية لا يجد مصغيا ولا مطيعا اذا كان هذا الاشعار من فرد لا قوة له او كان خاطرة من الخواطر التي لا تستند على برنامج عام شامل ،

وان هذا الاشعار لا يلقى قبولا من مجتمع كان يفقد الوسائل التي تجعله متماسكا متحدا ،

ان المجتمــع العربي بدا يشعر بعض افــراده بواجبهم، ولكن هذا الشعور كما تقدم لم يكن عاما ولم يكن مبنيا على قوة موحدة بين جميع القبائــل ، ولذلــك لم يكن كافيا في تغيير أوضاع هذا المجتمــع المتخلف المتخاذل الذي كان يؤمن بأشياء قد تبعث على الضحك والسخرية ،

ان افرادا من هذا المجتمع كانوا يؤمنون بأشياء مضحكة تدل على تخلف فكري وضعف عقلي من ذلك مثلا انهم كانوا يؤمنون بالصدفة ويجعلونها تتحكم في مصيرهم ، واي عقل سليم يقبل جعــل المصير في اجنحة طير تتصرف في سلطة الانسان وفي اعماله،

قد يريد الفرد العربي السفر من اجــل تنميــة اقتصادية او من اجل تحقيق عمل شريف ، ولكنه قبل الاقدام عليه كان يزجر الطير ، فاذا تيامنت اقــدم على عمله ، واذا تياسرت احجم عن العمل ،

وما فائدة هذا الطائر الميمون اذا كان يــؤدى الى القيام بعمل لم يقتنع العقل بمصلحتــه ، ومــا فائدة هذا الطائر الجانح الى اليسار اذا كان سببا في تعطيل عمل نافع ،

ان المجتمــع الذي يقبل هذه الخرافات مجتمع متخلف فكريا لانه يزيل سلطته ويجعلهــا في تصرف طائر لا عقل له ولا فكر ،

وزيادة على ما تقدم من مظاهر التخلف فان بعض القبائل كانت تؤمن بتقديم القرابين البشرية الى الاصنام والاوثان ، وهذا عمل غير معقول يدل على الجهل بالقيمة الانسانية ،

شخص بريء يقدم قربانا لحجر لا يعقل ولا يفهم قد يكون ذلك الفرد أصلح للامة من جميع اوثانها ، ولكنه الضعف الفكري والتخلف الحضاري جعل هذه الظاهرة تتجلى في المجتمع العربي ،

ولم تقتصر هذه العادة على القبائل المتخلفــة بل كادت توجد حتى في اشهر القبائل كقريش مثلا، فالتاريخ يروي ان عبد المطلب جد النبي صلى اللــه عليه وسلم نذر على نفســه اذا بلغ أبناؤه عشرة أن يذبح احدهم بباب الكعبة فداء وتقربا لانهم سيعينونــه على تحمل الاعباء وعلى القيام بشؤون القبيلة ،

وفعلا فقد بلغوا العدد الذي نذر من اجله واراد ان يختار من بينهم من يقدم قربانا فكتب اسم كل ابن على قدح ووقع الاختيار على عبد الله اصغر ابنائه وكان جميلا وسيما محبوبــا لدى والــده ، فعز على القرشيين تنفيذ هذا النذر وتشاوروا فيمــا بينهــم وقرروا اللجوء الى كاهنة بالحجر يستفتونها فأشارت عليهم بأن يفدوه بالابل وكان الفداء عشرة على شرط ان يضربوا بين الابل وبينه ولكن الاختيار وقع عليه مرة اخرى وارتفع الفداء وتكرر ضرب القداح ، ولم ينته الامر الا بعد ان بلغت الابــل مائة ، وآنذاك وقع الاختيار على الابل دونه فنحرت فداء له ،

وربما يعتبر عمل الفداء هذا اول ثورة ضد هاته العادة المنحرفة التــي كانــت تدل علــى التأخــر الفكري والتخلف الحضاري وقد روى الطبري ان مروان امير المدينة لما سمع بهذا النذر وهذا الفداء رفضــه وقال : « لا نذر في معصية فلم تنحر الابل واعتبرت مقالته هذه سنة متبعة عند العرب » (1) .

وعلى كل حال فان هاته العادة التي كانت تؤدي بحياة افراد ابرياء تعد حاجزة للعرب عن التفكير السليم ومانعة لهم من التقيد بقيود الحضارة وفاصلة بينهــم

---

1) عن حياة محمد للمرحوم محمد حسين هيكل صفحة 62 .

وبين الوسائل التي تمكنهم من التفتح العقلي والازدهار العلمي .

ولم يكتف المجتمع العربي بما تقدم بل اننـــا وجدنا بعض أفراده قد وقفوا مواقف شائنة تدل على انهم كانوا في حاجة الى قـــوة جديدة تبث فيـــهم روح التفكير السليم وتيسر لهم سبل الحضارة .

اننا وجدنا هؤلاء الافراد ينظرون الـــى المـــرأة نظرة لا تتلاءم مع الاتجاه الطبيعي للبشرية كانوا يئدونها ويحرمونها من الارث بل كان بعضهم يجيز لنفسه ان يرث زوجة الهالك وذلك بأن يأتي الوارث ويلقي رداءه على زوج مورثه ان لم يكن منها وآنذاك يكون له الحق في أن يتزوجها أو يزوجها لغيره ليأخذ عوضا عنها و يتركها دون زواج ليرثها بعد زوجها (1) .

وان هذه العوائد وان لم تكن عامة بين جميـــع الافراد فانها لم تجد قانونا رادعا يبعدها عنهم ولذلك كانوا في حاجة الى هذا القانون الخلقي الـــذي يربـــي اذواقهم وينمي احساسهم بالمسؤولية ويوحد بيـــن اجزائهم وآنذاك يمكن أن تتلاحـــم اجـــزاء الجزيـــرة العربية ويمكن أن يستفاد من الواعين الذين تحدثنا عن بعضهم والذين قلنا انهم اصبحوا يحسون بالتفسخ الاجتماعي والتخلف الحضاري في مجتمعهم .

ومن الظواهر العامة التي كادت تكون سببا رئيسيا في الانحلال الحضاري في الجزيرة العربية قبل الاسلام فكرة الانتقام تلك الظاهرة التي كانت شائعة بين اجزاء المجتمع العربي والتي ادت الى حـــــــرب متواصلة والى اضطراب متتابع .

كانت غريزة الانتقام لا تترك مجـــالا للامـــن ولا الحياة الهادئة التي يمكن أن تعين على الرقي والازدهار وتتجلى هذه الظاهرة في جل اشـعار العـــرب سواء في اوائل القرن السادس أو في آخره من ذلك قول المهلهل في رثاء اخيه كليب وائل :

خذ العهد الاكيـــد علـــى عمـــري
بتركـــي كـــل مـــا حـــوت الديـــار
وهجري الغانيات وشـــرب كـــأس
ولبســـــي جبـــة لا تستعـــــار
ولست بخالـــع درعـــي وسيفـــي
الـــى أن يخلـــع الليـــل النهـــار

والا أن تبيـــد ســـــــراة بكـــــر
فـــلا يبقـــى لهـــا أبـــدا اثـــــار

لقد لاحظنا فيما تقدم أن المجتمـــع العربـــي في اغلبه مجتمع منفك منحل متخاذل ولا ريب أن القوة التي في استطاعتها أن تؤلف بين اجزائه وتوحد بين اطرافه وتربط بين شعوره ستكون القوة الهائلة التي ينسب اليها الفضل في بعث الحياة في الامة العربية .

ونحن بدورنا لابد أن نبحث عن هذه القوة التي منحت للعرب فضل التآلف والتي آخت بينهم ومهدت لهم سبيل النصر والتطلع الى المعرفة والتقدم .

ان مهمة الباحثين تدفعهم الى ان يطلعـــوا علـــى احوال الامم السابقة وان يروا البواعث التي كانت تحييها او تتسبب في انهيار ها . فاذا فقـــد البحـــث التاريخي هذه المهمة كان بحثا ناقصا اذ لا فائدة في التاريخ اذا لم يكن موجها ورائدا .

وعليه فان الضرورة كانت تحتم علينا أن نقارن بين وضع العرب قبل الاسلام وبين وضعهم بعد ظهوره لنعرف الاثر الكبير الذي حققه هذا الدين في ازدهـــار الحضارة العربية ولذلك وجهنا اهتمامنا الى تصوير البيئة العربية قبل الاسلام لنقارن بينها وبين العنصر الجديد الذي طرأ على العرب فحور اتجاههم وغيـــر مجرى تاريخهم . ولقد لاحظنا أن تلك البيئة متخلفـــة متناحرة تنتظر قوة موحدة تزيح عنها كابوس التخلف .

في تلك البيئة المضطربة المؤمنة بالخرافـــات البسيطة الميالة الى الحروب المعتزة بالانتقام نشأ محمد صلى الله عليه وسلم وكان رقيق الاحساس راجح العقل قوي التفكير بعيد النظر دقيق التأمل فاصبح يرى ما عليه قومه من ضلال وما هم فيه من جهل ولم يطق أن يلاحظ ضلالهم وان يركن الى أوثانهـــم فكـــان يتحنث بغار حراء الى ان نزل عليه الوحـــي وجـــاءه جبريل فقال (2) : ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ فقال ما انا بقارىء فاخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما انا بقارىء فاخذه فغطه ثانية ثم ارسله فقال اقرأ قال ما انا بقـــارىء فغطه الثالثة ثم أرسله فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

---

1) محمد المثل الكامل تأليف محمد احمد جاد المولى صفحة 172 وفي تحريم هذه العادة الاخيرة نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكـــم ان ترثوا النسـاء كرها » .

2) عن نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري .

وهنا بدأت الانطلاقة الاولى فى تحويـر مجـرى التاريخ العربى فقد جاء هذا الدين الاسلامى وانبعث من مكة العربية فى الحجاز ووجد الرسول صلى الله عليه وسلم طوائف من الملحدين والوثنيين راكنين الى ما ورثوه عن آبائهم لا يريدون منه بديلا فعارضـوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوه ولقى منهم عنتا كبيرا فاضطر الى الهجرة الى يثرب مع اصحابه فنصره الله بقبيلتى الاوس والخزرج بعد أن ألف بينهما الاسلام وانطلقت من مدينة يثرب اصداء هذا الدين واذاعته واتسع الفتح فى عهد الامويـين وامتزجـت الثقافة الاسلامية بغيرها من الثقافات وازدهر ذلك فى عهد العباسيين حين ازدهر الاتصال بـين الثقافـة الاسلامية والثقافة الهندية والفارسية واليونانية .

ولم يعد العربى يعيش منعزلا عن العالم خاضعا فى الحكم لغيره بل أصبح لوجوده قيمة واصبحت دول كثيرة تعمل على الالتقاء مع العرب فى دينهـم ولغتهـم وتطورت الفكرة العربية من الفكرة القبلية الضيقة الى الفكرة الاسلامية الكبرى التى وحدت بينهم واخضعت لهم جبابرة العالم ولم يعد فكر العربى ضيقا بل أصبح فكرا يقبل الجدل ويميل الى التأمل ويعتز بالايمان .

وارتفعت فى نفسه نخوة الاعتزاز بالكرامة التى اصبحت قانونا عاما يتحكم فى مصير العرب وغيرهم من المسلمين الذين آمنوا بدين الله .

وكان لهذا الالتحام بين العرب وغيرهم اكبر الاثر على الحضارة العربية سواء فى تفكيرها وعمـرانهـا وثقافتها العامة اذ لم يعد العقل العربى قاصرا على ما كان بيده فى رقعته الصغيرة بل اصبح يفكر تفكيرا عاما يجمع بين المصلحة الاقليمية والمصلحة البشرية وهذا اكبر تلقيح لاذهن ولتفتح القرائح .

ولم يعد العربى مشتت الراى لا يشعر بتحمل المسؤولية العامة بل اصبح بعيدا عن انانيته مؤمنـا بالوحدة البشرية ، مؤمنا بحق الحياة وبحق التملك وبحق التأمل فى الكون .

وتعلم العربى من القرآن نوعا من الجدل العقلى صار يدفعه الى التأمل فى مصير الكـون وفى اسبـاب وجوده واحيت القصص القرآنية طريقة الجدل ضد الوثنية ذلك الجدل الذى يكاد يقنع كل الملاحظـين فاستمع الى القرآن يتحدث عن ابراهيم عليه السـلام وكيف انفصل عن عبادة الاثان ومظاهر الطبيعة التـى تجلب بعض البسطاء فيعبدونها قال تعالى يتحدث عـن ابراهيم عليه السلام : « فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » .

فالعربى اصبح يشعر بضرورة التفكير وضرورة التأمل ولم يبق قانعا بالمظاهر البسيطة التـى كانـت تتصرف فى أمره وتتحكم فى مصيره ومن هناك اصبـح للعقل نفوذ فى الاتحاد الجديد ولكنه العقل الذي يبحث فى مجالاته .

ومن هذا اصبح الفرد لا يرضخ لتلك العوائد التى كانت تتحكم فى مصيره واصبح حرا فى التفكير حـرا فى التأمل اذ لم يعد يطمئن الى طائر يزجره او الى وثن يعبده أو الى قربان بشرى يضحى به بل اصبح المسلم هو نفسـه يبعد مظاهر التخلف فى امم فتحها فعمر بن الخطاب مثلا قد ابطل عملية العروس المهداة الـى النيل كل سنة ليفيض وأبى أن يترك ذلك لانه لا يدل على تقدم عقلى او على ايمان بالله .

واذا كان بعض المؤرخين ينكرون وجود هـذه العادة فى ايام عمر فلانهم يرون انها لا تنسجم مع مظاهر التقدم فى مصر أيام الفتح .

وسواء كانت هذه العادة موجودة فابطلها عمر او لم تكن فان الذين نسبوها الى عمر راعوا الحيثيـة الجديدة للدين الجديد الذي أصبح يحارب الوثنية ويحارب العوائد الضالة والخرافات الزائفة .

ولما فتح العرب مصر ارتبطوا بالاتجاه العلمى الذى اصبح عنصرا اساسيا فى ثقافتهم واطلعوا على الاثر العلمى الذى كان واضحا فى مدرسة الاسكندرية التى انجبت العلماء والمفكرين والفلاسفة .

كما استفادوا من فتحهم لبلاد الشام وبـلاد العراق وبلاد فارس والهند ثم لفتحهم شمال افريقيا وبلاد الاندلس . واستطاعوا أن يتصلوا بالفكر اليونانى عن طريق الترجمة وعرفوا آنذاك آراء ارسطو وافلاطون ونظريات فيتاغورس فى الفيض واطلعوا على الاصول العامة فى الرياضيات فاستهوتهم هذه وراوا صلاحيتها وانسجامها مع الفكر الاسلامى الذى يدعو الانسان الى دراسة أسرار الكون ومعرفة خباياه .

الشيء الوحيد الذي يدعو اليه الدين هو ان نتصرف فى هذه العلوم تصرفا لا يتنافى مع الاسس الدينية فى الاخلاق والمعاملات .

ان العرب حينما ارتبطوا بغيرهم من الدول والاجناس لم تكن غايتهم القهر عن طريق الغزو العسكرى وانما كانت غايتهم نشر الدين ورعاية اللغة العربية وتعميم المبادىء الخلقية الاولى التى صارت دستورا للمسلمين لا فرق بين عربيهم وغيرهم .

حقيقة لم تكن الغاية من الفتح العربى قهر الاجناس او الدول المفتوحة وانما كانت فى جعل الدين الاسلامى اساسا يربط بين المتساكنين ويوحد بين ابناء البشر .

وتساهل الدين الجديد مع اهل الكتاب — اذا رضوا بدفع الجزية — ان يحافظوا على دينهم وليس ذلك حبا فى المال وانما كان ذلك تحقيقا للسلطة الاسلامية فى تطبيق مبادئها دون ان تجد محاربين يعوقونها عن السير قدما الى الامام .

وحيث ان الدين الجديد قد انبعث من ارض العرب وكانت اصوله مدونة بلغة العرب وكان الداعون الاولون اليه من ابناء العرب كان من الطبيعى ان يقوم بتعهد مبادئه وتعاليمه اول الامر الفاتحون الاولون من العرب

وكان من الطبيعى ان يتولى العرب الشؤون العسكرية للامة الاسلامية ويهتموا بتنظيم الاقاليم التى اصبحت تحت سيطرتهم وان يتعهدوا العلوم والصناعات وان يشجعوا من كانت له خبرة بها من الاراضى المفتوحة .

وليس من المعقول ان يقع الامتزاج المطلق بين العرب وغيرهم بمجرد الاتصال اذ كان الزمن ضروريا لايجاد التقارب الفكرى بين المسلمين الجدد من جهة وبين المسلمين الاولين من جهة اخرى فكانت التعاليم الدينية توجه من قبل الفاتحين وكان الفاتحون يتأثرون بما لاحظوه من علوم منتشرة فى العراق وسوريا ومصر وفارس والهند واوربا وغيرها من البلدان .

واهتم الخلفاء العباسيون بالخصوص بتعهد الثقافة الاسلامية حين ربطوها بالثقافات الاخرى وحينما اضافوا اليها ما بلغ اليه العلم آنذاك من تقدم فى الطب والعلوم الطبيعية والعلوم الرياضية التى كانت متصلة بالفلك ايضا .

ولم يقتصر اهتمامهم بهذه العلوم بل اضافوا اليها الاهتمام بعلم اللاهوت فادخلوا العنصر الفلسفى فى التفكير فى اصل الكون .

واحس المسلمون آنذاك حينما صاروا يدرسون العلوم القديمة ويحاولون ربطها بالاسلام انهم لا يتحدثون باسم العرب ، أو باسم الفرس أو باسم الاتراك أو غيرهم ، بل اصبحوا يتحدثون باسم الثقافة العربية الاسلامية من جهة ويحاولون ربطها بالتقدم العلمى والفكرى ليجعلوا هذا الالتقاء مبدأ الانطلاق الى العمل الجدى من اجل تطور هاته العلوم وتنميتها .

فالمجهودات الجبارة التى قام بها العرب فى عهد حكمهم كانت تمثل الفكرة الاسلامية العربية التى محت عنصر التفاضل الجنسى وانما كانت تعمل من اجل تحقيق النصر للفكر العربى الاسلامى .

فالحضارة العربية بعد الاسلام اصبحت حين اطلاقها لا تنفصل عن روح الدين الجديد ولا تنفصل عن مفهوم العروبة العام الذي صار لايابه بالسلالات وانما يابه بالفكرة العربية الاسلامية ولو استعانت بغير المسلمين فان ما قام به السريانيون مثلا والواردون على دار الخلافة ببغداد من تراجمة للاسس العلمية وللمصادر اليونانية وغيرها فى مختلف العلوم بامر من الخليفة العباسى لا يبطل فى الحكم الحضارى ان هذا العمل مظهر للفتح العقلى عند العرب لانهم هم الذين رعوه وشجعوه وفكروا فى صلاحيته .

فهذه الاعمال العلمية وان قام بها افراد ليسوا بعرب داخلة فى الحكم الحضارى كما تقدم تحت اطار العمل العربى .

واذا كان هذا الامر ظاهرا بالنسبة الى من لم يكن مسلما فهو اكثر وضوحا بالنسبة الى المسلمين الذين امتزجوا بالعرب واستعانوا معهم على رفع مستوى الحضارة العربية الاسلامية .

ولهذا فما قام به العلماء الفارسيون والاتراك والهنود وغيرهم من الذين اندمجوا فى الحضارة الاسلامية العربية من اعمال داخل اطار الفكر العربى الاسلامي لا ينفصل عن الحضارة العربية باى حال من الاحوال .

فنحن حينما نتحدث عن الفارابي أو الكندي او ابن خلدون أو ابن طفيل أو عن المجهودات التي قام بها الموحدون مثلا فى بلاد المغرب فى نشر اصول الدين وفى تعهد معاهد الحضارة فى البناء والتشييد فانما نتحدث عن مظاهر الحضارة العربية الاسلامية دون اي اعتبار آخر .

ولهذا لا يمكن أن نقبل اي راي يريد ان يبخس حق العرب وان يقول عنهم بأنهم لم يهتموا بالصناعات والفنون والعلوم وانهم تركوا ذلك لغيرهم واكتفوا بالحكم العسكري فقط لان التاريخ يكذب ذلك فهم قد تعهدوا العلوم واغدقوا العطايا على العلماء والمفكرين وان هذا التعهد يضفى على عملهم حق المشاركة الاساسية فى التقدم الحضاري العربي الاسلامي خصوصا وانهم لم يكتفوا بهذا التعهد التشجيعي بل شاركوا مشاركة فعالة فى العلوم وفى الفلسفة بعد أن حققوا المهمة الاولى التى كانوا يحملونها فى قلوبهم ونفوسهم فعلموا اسس الدين واسس الاخلاق .

وما دمنا نحن لا نعترف بأن الحضارة العربية تمثل سلالة خاصة فان كل ما قام به المسلمون تحت رعاية هذا الدين الذي انبعث من الجزيرة العربية والذي كان حريصا على ايجاد الوحدة بين المسلمين تلك الوحدة التى كانت تتجلى فى وحدة الشعور واللغة .. أقول ان كل ما قام به المسلمون آنذاك يدخل فى مفهوم الحضارة العربية .

ومما يؤيد نظريتنا هاته قول المؤلف الشهير د. لاسير اوليري فى مقدمة كتابه علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب : « ولابد أن نفهم ما يتضمنه اصطلاح لفظة العرب هنا من معنى واسع فلا يقصد منها هنا تلك السلالة العربية لحما ودما فحسب بل تشتمل على كل من خضعوا للحكم السياسي العربي واتخذوا العربية لغة واعتنقوا دين العرب ... ثم يقول : « واهم من الاتحاد السياسي والعنصري والديني أن القوم الذين نطلق عليهم هنا لفظة العرب قد ساهموا بنصيب فى تاريخ ثقافى مشترك وشاركوا فى التراث العلمى الذي استقوه من العالم الهيليني) .

وهكذا اصبحنا نرى ان الاسلام حقق للعرب هذا الخلود الاسمى بسبب ما قاموا به من فتوحات رفعت من مستواهم الفكري والاجتماعي والعمراني .

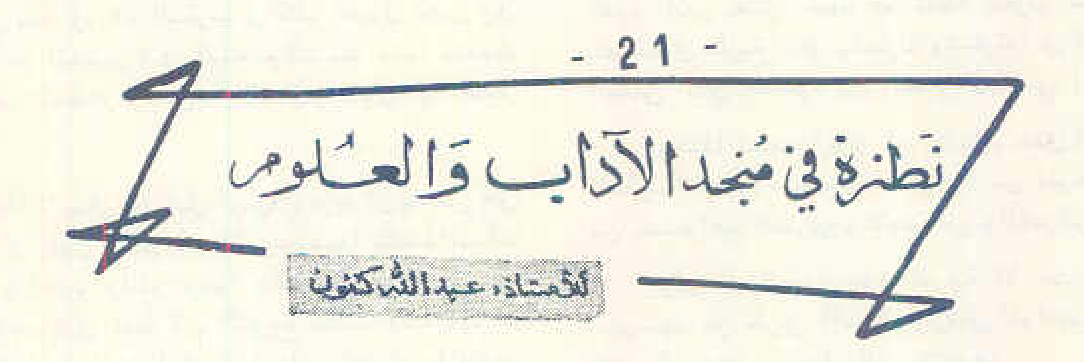
ولم ينل العرب هذه الدرجة الا بعد تهذيب لنفوسهم عن طريق الاسلام وترقيق اذواقهم عن طريق الاتصال ببعض الدول التي فتحوها .

وهكذا نجد أن النظرية التي تقول بأن العرب الذين غزوا أمما كثيرة غزوا دينيا او غزوا سياسيا قد تاثروا هم أيضا بعوائد تلك الامم وثقافاتها نظرية مقبولة وهي توافق الدراسات الهامة التي ترتبط بتاريخ الاسلام وبفلسفته فى جميع الاصقاع .

وهذا التاثر لم يكن فى الجانب العلمي فقط بل كان فى الجانب العمراني والسياسي والاداري ايضا ولكنه لم يكن تأثرا سلبيا بل كان ممتزجا بالروح الاسلامية الجديدة التي نفخت روح العمل فى العرب واخرجتهم من ظلماتهم التي كانوا يتخبطون فيها وفتحت امامهم حرية الفكر ونقاء الضمير وحيوية العمل فأصبحوا بذلك ساسة العالم وقادة الفكر .

وما اجدرنا ان نعاود النظر فى هذا التاريخ وأن نحيي من جديد روح الدين فى أنفسنا وروح العروبة فى دمنا وان نجدد للحضارة العربية شبابها وللحضارة الاسلامية وجودها وبذلك تكون الابناء البررة الذين لم يكفروا بتاريخهم ولم يكونوا له جاحدين .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



(24)

حرف الياء :

651) في ص 573 ، ع ل ترجمة لابي الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي زعيم اليمانية في اشبيلية عند دخول عبد الرحمن الاول الى الاندلس ، عنون لها بقوله يحصبي ابو الصباح يحيى ؛ فحذف اداة التعريف من نسب المترجم ، وهو على مخالفته لوجوب مطابقة النعت لمنعوته في التعريف ، ربما اوهم انه اسم له على ما جرى به العرف اليوم من حذف لفظة ابـن فيقولون محمد ابو الفضل ابراهيم مثلا .

652) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة ليحيى بن معين الامام المحدث النقاد ، ضبط معين فيها بضم الميم على صيغة اسم الفاعل من الاعانة وهو بفتحها لا غير ، وقال فيها مري بغدادي غطفاني ، وكان الصواب ان يقول مري من مرة غطفان ، لان مرة في العرب كثيرة ، فيحسن بيانها ، او يقول مري غطفاني قبل ان يقول بغدادي فيكون في ذلك بيان المراد من غير تشويش . ثم انه مري بالولاء وكان عليه ان يبين ذلك .

653) وفي هذا العمود ايضا ترجمة ليحيى بـن يحيى الليثي فقيه الاندلس المعروف قال فيها : اصله من البربر المصمودة ، ومصمودة جذر من البربـر معرف بالعلمية فلا تدخله الـ . فصواب العبارة ان يقول من بربر مصمودة او البربر المصامدة بصيغة جمع المنسوب ليتوافق الموصوف والصفة .

654) وفيه كذلك تعريف ببني يربوع من عرب تميم قال : منهم خرجت سجاح النبيـة الكاذبـة ، وضبطها بضم السين ، وهو بفتحها مع البناء علـى الكسر كحزام وقطار واشباهها من أسماء النساء .

655) في ص 574 ، ع ل ترجمة لابي يزيد مخلد ابن كيداد الخارجي الافريقي المشهور ، نسبه فقال : البفرني الزناتي ، وهو يعني اليفرني فصحفها هـذا التصحيف الغريب ، ولعل ذلك ان يكون من المطبعة . ثم انه كان يجب ان يذكر في حرف الميم لان اسمه مخلد ، ولكن المنجد اعتبر كنيته ابا يزيد بذكره في حرف الياء ، ومع ذلك كان عليه ان يذكره هناك ويحيـل عليه هنا او العكس .

656) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة ليوشع ابن نون النبي عليه السلام ، سماه فيها يشوع وهو في العربية انما يعرف بيوشع ، فكان من حقـه ان يعتمد ذلك او يشير اليه على الاقل .

657) في ص 575 ، ع ل ترجمة ليوسف بن عبد المومن الموحدي قال فيها : بحر الى الاندلس والصواب ابحر بهمزة ، رباعي ، نعم قد يكون ذلك من خطـأ الطبع .

658) وفيه ايضا ترجمةلابن يعيش النحوي ، قال فيها درس الفراماطيق في حلب ودمشق الـخ والتعبير بالفراماطيق عن النحو في معجم عربي مـن العجائب ، ومع انه ذكر من مؤلفاته شرح المفصل ،

الا ان القارىء العادي ، وبالاخص الطالب الــــذي يستعمل المنجد ، لا يمكن ان يعرف ان ابن يعيش من علماء النحو ، لان هذه المادة لم ترو فى الترجمة بلفظها العربي اصلا .

659) وفيه كذلك كلمة عن بلاد اليمن قال انها بين البحر الاحمر والمملكة العربية وعدن ، وظاهر ان المراد بالمملكة العربية هنا السعودية ولكن كان من حقه ان يذكرها .

660) فى ص 577 ع ل ترجمة بعنوان اليمني للشخص الذي ترجم له فى نفس الحرف بعنـــوان اليافعي مع اختلاف يسير فى تاريخ الولادة والوفاة ، وعلى كل حال فشهرة الشخص باليافعي لا باليمني . فيجب ادماج هذه فى تلك بعد تحرير التاريخ .

661) فى العمود نفسه كلمة عن بلدة ينبع قـال فيها انها مرفا صغير اشتهر بالحنة ، وهي الحناء بالمد لا بالتاء .

662) فى ص 678 ، ع ل ترجمة ليوحنا الدمشقي قال فيها انه حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية 1 وفيه خطأ من وجوه ، فان معاوية الاول لم يكن له وزير لا هذا ولا غيره ، والوزارة فى الاسلام انما تقررت فى ايام العباسيين ، ثم ان صواب الاسم سرجون بـن منصور كما فى كتاب الوزراء للجهشياري ، وكان كاتبا للخراج فى ايام معاوية وولده يزيد ومروان بن الحكم ، ولم يكن قط كاتبا بالمعنى الخاص حتى يقال فيه وزير .

663) فى ص 680 ، ع ني ترجمة لسيدنا يونـس عليه السلام سماه يونان ، وهو فى العربية لا يعرف الا بيونس فكان عليه ان يذكره بهذا الاسم ، ويشير ان شاء الى اسم يونان . ثم قال دعا اهل النيوى الى التوبة ، وهي نينوى بدون الـ .

664) وفى العمود نفسه ترجمة ليونس النحوي ، قال فيها ولد فى جبول ، وهي جبل بفتح الجيم وضم الباء مع التشديد ، كما فى قاموس الاعلام ، ثم قال تعلم على ابي عمر بن العلاء وهو ابو عمرو وبفتح العين وسكون الميم وزيادة واو صغيرة بعد الـراء فرقا بينه وبين عمر .

665) وفيه ايضا ترجمة لابن اليونيني قال فيها : له « النهاية فى علم النهاية » والصواب فى علم الرماية .

666) فى ص 583 ، ع ل من الملحق كلمة عن افني قال فيها مقاطعة اسبانية فى جنوب غربي المغرب ، وكيف تكون مقاطعة اسبانيـة ، وهـي فى المغـرب ؟ فالمقاطعات تكون فى داخل الارض التي تنسب اليها لا خارجها ، فكان حقه ان يقول منطقة تستعمرها اسبانيا فى الجنوب الغربي للمغرب .

667) فى ص 584 ، ع ل منه ترجمة لابن سليمان الجزولي جعله الجازولي بألف بعد الجيم وهو خطأ .

668) فى ع ني من هذه الصفحة بعنوان الحمادشية قال طريقة صوفية فى المغرب ، ومعلوم انه يريــد الحمدوشية نسبة الى الشيخ ابن حمدوش .

669) فى ص 585 ، ع ل ترجمة للسيد محمـــد رشيد رضا صاحب المنار اسقط من اسمه اســم رشيد واقتصر على محمد رضا ، وهو بذلك لا يكون تام التعريف .

670) فى ص 586 ، ع ني ذكر تحت نسب المريني اسم بعض ملوك الدولة المرينية ، ولكنه ضبط المريني بتشديد الراء وهي مخففة ، وقد كنا نبهنا على هــذا الخطأ فيما مضى .

671) فى نفس العمود كلمة عن وادي ملويــة بالمغرب ضبطه بضم الميم وهو بالفتح

672) وفيه أيضا كلمة عن الدولة الموحدية ذكر فيها اسماء بعض ملوكها ، ولكنه ضبط الموحدين بفتح الميم وهو بالضم .

والحمد لله اولا وآخرا .

طنجة : عبد الله كنون



للدكتور مصطفى جواد

أثناء مرضي العضال ، الذي مازال (1) ولا يزال ناهكا لقلبي ، منحلا لجسمي ، وصل الي الجزء الثاني والعشرون من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة والجزء الثامن من دعوة الحق هدية من السفارة المغربية بمدينة السلام بغداد ، أنجح الله مساعيها ، وقد قرأت فيما قرأت من المجلة اللغوية مبحثا للدكتور محمد كامل حسين عنوانه « أخطاء اللغويين » فيه آراء مفيدة وأقوال غير سديدة ولا رشيدة ، قال — حفظه الله تعالى — في أوله : « تتشابه اللغات كثيرا في نموها وتطورها ويمر بكل لغة عصر يحرص فيه علماء اللغة على ما يسمونه نقاء اللغة وصفاءها ، هذا الحرص يحملهم على أن **يحيطوا اللغة بقواعد** تزداد تعقيدا كلما أوغلوا في بحثها وتنميتها ، وفي هذا العهد يرى اللغويون أن لهم وحدهم القول الفصل في تحديد الصواب والخطأ، والصواب عندهم ما طابق قواعدهم والخطأ ما خالفها ولا يعنيهم كثيرا أثر الذوق والاستعمال في تطور اللغات » (2) .

والفقرة الأولى من هذا القول سديدة ، وما يليها مدعاة الى التعقيب فاللغويون على اختلاف عصورهم ليس لهم أن يبتدعوا قواعد للغة من عند أنفسهم أو نفوسهم أن شئت ، وإنما تعتمد القواعد على القياس المستنبط من كلام العرب الفصحاء ، والقاعدة اذا كانت مطردة — كما قالوا — كانت كالقوانين الوضعية ، وكما يصيب التعديل القوانين يصيب القواعد العربية ؛ ولمثل هذا التعديل أنشئت المجامع اللغوية في العالمين ؛ وألفت من علماء باللغات متبحرين ، قد بلغوا من علمها أطوريه ، وعرفوا من دقائقها كثيرا ، ومن أسرارها مقدارا وفيرا ، الا أن اللغة العربية تخلفت عن اللغات المتقدمة فبقي حالها (3) على قدمها ، ولما ألفت لها مجامع كانت المحاباة الرسمية (4) متحكمة في الانتخاب لأن من البلاد العربية ما لا يزال في حكم وراثة الخنوع والخضوع ، والذل والاستخذاء حتى في الشؤون العلمية ، وهذا تحيف لحق اللغة العربية ، عماد الامة ووجهها الواضح ، ومظنة مجدها ، ومركز حضارتها ، ورباط ألفتها فضلا عن كونها لغة القرآن الكريم والدين .

والنقد اللغوي يتناول فساد تركيب الجمل واساءة استعمال الافعال والاسماء والحروف ، وقد

1) هذا تام ومضارعه « يزول » .
2) مجلة اللغة العربية « ج 22 ص 105 » .
3) الحال تؤنث وتذكر وتأنيثها أفصح من تذكيرها .
4) أنا عضو عامل في المجمع العلمي العراقي وعضو مراسل في مجمع دمشق فلا يحملن أحد قولي على كوني موتورا .

الفت كتب ورسائل فيه كثيرة ، منذ تأليف الكسائي لرسالته فيه في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة المباركة ، واشتهر من هذا التاليف بعد رسالة الكسائي كتاب «ليس في كلام العرب» لابن خالويه ودرة الغواص للحريري وشرح شهاب الدين الخفاجي المصري لها مدمجا في تعقيب عليها ، وهو الشرح المعروف بالغرة وشرحها للسيد ابي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي ثم البغدادي وهو الموسوم بكشف الطرة عن الغرة لانه ادمج فيه شرح الخفاجي والف ابن الجواليقي تتمة لدرة الغواص* سماها « التكملة فيما تلحن فيه العامة » مع أن درة الغواص خاصة بأوهام الخاصة ، وهو من الكتب المطبوعة المتداولة المشهورة ، والف ابن مكي الصقلي المتوفى سنة 501 هـ — 1107 م كتابا في هذا الموضوع سماه « تثقيف اللسان » وقد نشره بالطبع الآلي الدكتور الفاضل عبد العزيز مطر بالقاهرة سنة 1386 هـ — 1966 م ، وفي القرن السادس الهجري الف العلامة ابن الجوزي كتابا في ذلك وسمه بتقويم اللسان ، ونشره بمساعدة مالية من المجمع العلمي العراقي ، ناشر تثقيف اللسان ، ولم يكن ابن الجوزي — رحمه الله تعالى — من فرسان هذا الميدان ولكنه ركض فرسه في هذا المشوار . والف صفي الدين الحلي الشاعر كتاب أغلاطي (1) .

وفي هذا القرن ظهر الشيخ ابراهيم اليازجي ناقدا لغويا ، ثم الاب أنستاس ماري الكرملي اللغوي المشهور وكلاهما لبناني في الاصل وان ولد انستاس وعاش في العراق وهما في معالجتهما للنقد اللغوي قد ذكراني بالعالم الفاضل ابن كمال باشا احمد سليمان التركي العلامة المتوفى سنة (940 هـ في تأليفه رسالة « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » وقد طبعه الاستاذ لذبرك الالماني مع طرف عربية كما جاء في معجم المطبوعات ، ثم طبعه الشيخ عبد القادر المغربي بدمشق سنة 1344 هـ — 1925 م ، والبرهة بين الطبعتين أربعون سنة ، فالمؤلف ايضا غير عربي الاصل .

وقد جمع بعض المعنيين بالطباعة الآلية مقالات الشيخ اليازجي ونشرها في كتيب هو « لغة الجرائد » وذكر انها المقالات التي نشرت تباعا في مجلة الضياء . واليازجي مع علمه باللغة العربية لم يسلم انشاؤه من اوهام ولا اقواله من التعقيب ، ومن يقل لنا فيها حدباك نقل له جئناك (2) . وجاراه في ذلك الاب انستاس الكرملي الا انه لم يكن هناك ولا بذاك .

وفي مجلة « لغة العرب » جملة صالحة من النقد اللغوي ، وعلم المصطلحات قديمها وحديثها هو الذي كان غالبا عليه ، ولم يخل انشاؤه من الغلط كسائر اناشيئنا (3) ، ثم رعف الدهر بالكاتب اسعد خليل داغر فاخذ ينشر نقدات لغوية في مجلة المضمار راسما لها بسمة « تذكرة الكاتب » ثم ضمها الى غيرها واخرجها بالطبع الآلي كتيبا بالاسم نفسه سنة 1923 — 1342 هـ حاويا ستا وثلاثين واربع مئة (4) نقدة ، فيها الغث والسمين ومن غثها ما لم نزل ولا نزال نعاني منه باسا على العربية ، كاصلاحه قولهم « السكة الحديد » بالسكة الحديدية ، واصلاحه قولهم « توفرت الشروط » توافرت الشروط ، مع ان القاعدة النحوية توجب « السكة الحديدية » فهو لم يدرسها ، ومع أن « توفر الشروط » هو غير « توافرها » فالتوفر التمام والكمال ، والتوافر هو التكاثر ، فهم ارادوا توفر الشروط اي تمامها وكمالها لا توافرها اي تكاثرها ، وكان انشاؤه اقل صحة من انشاء الشيخ ابراهيم اليازجي ، الا تراه يقول في اول التذكرة — ص 5 — « وحدث أن حكومة السودان انتدبتني » ولم يذكر « انتدب »متعديا ، من اللغويين الاصاحب المصباح المنير ، ولا يعتمد عليه اذا لم يسند قوله الى لغوي قديم او كتاب قديم الزمان ، ومن ذلك تخطئته وصف الرجل بالكسول ، زاعما أن الكسول من صفات المرأة الخاصة ، وهذا الراعي من اشعر الشعراء في عصر بني امية المتقدم وافصحهم يقول :

طال التقلب والزمان ورابه
كسل ويكره ان يكون كسولا (5)

---

1) منه نسخة في خزانة الكتب المصورة بالجامعة العربية في القاهرة .
2) بلغت بابراهيم اليازجي دعواه ان غلط الحارث بن حلزة اليشكري صاحب المعلقة « ص 18 من لغة الجرائد » وهو أمر مضحك وذلك في تانيث الحارث « الضوضاء » مع أن وجود العلامة يدفع كل مؤاخذة وملامة .
3) الاناشي جمع الانشاء وهو جمع قياسي ، لانه مصدر نقل الى الاسمية .
4) هو الرسم الجديد الصحيح للاعداد المقرونة بالمئة
5) جمهرة اشعار العرب « 344 »

وكتب ناس غير هؤلاء في النقد اللغوي كان علمهم باللغة ناقصا فجاء نقدهم المقتبس من كتب غيرهم تغاب عليه الصحة ، ونقدهم الصحيح يحتاج الى نظر وتعقيب فضلا عن انشائهم غير البريء من المعايب اللغوية ، واذكر منهم احد اخواننا المقتبسين فأول كلمة بدأ بها رسالته بعد البسملة الكريمة لحن فيها وهي في قوله : « يحوجنا ونحن في ابان نهضة علمية حديثة يتمخض بها الشرق العربي أن نتجه في استكمال أسباب هذه النهضة الى احياء الآداب العربية » (1) اراد بقوله « يحوجنا » معنى « يعوزنا » و « بنا حاجة اليه » و « تحتاج اليه » وما في معناها مع أن معنى « يحوجنا » هو « يجعلنا محتاجين » فالتركيب فاسد بفساد استعمال الفعل في غير موضعه .

ومن ذلك قول العالم الفاضل محمد علي النجاري (2) في كتيبه « لغويات » — ص 11 — ولم اقف على الثلاف فيما رايت من المعاجم » . والمعاجم جمع المعجم بفتح الميم ؛ قال العلامة الزمخشري في اساس البلاغة : « وفلان صلب المعجم لمن اذا عجمته الامور وجدته متينا » . وقال في « ص د ن » من الاساس : « وفلان صدق وصدق المعاجم » ، وهو جمع المعجم المذكور ، فالمعجم في اصل معناه موضع العجم اي المضي للاختبار كعجم العود لمعرفة صلابته من رخاوته ، والقياس الشائع للمعجم بضم الميم هو « المعجمات » ودونه في القياس ايضا « المعاجم » بزيادة الياء ، وهي قاعدة جمع التكسير لجميع الاسماء الرباعية والخماسية الميمية الاوائل المضمومتها كالموسر والمياسر والمفطر والمفاطير والمطفل والمطافيل والمخنث والمخانيث والمخبل والمخابيل والمزورة والمزاوير لدواء من الاطعمة .

وقد ضمن العالم النجاري — ر ح — كتيبه المذكور آنفا سبعا وخمسين ومائة نقدة لغوية ، فيها فوائد مبينة ، ومن الغريب في كتابه استعماله غير الفصيح فيه كقوله في الصفحة 74 :

« كما يثبت وجود هذا الضرب من التجار في المدينة الاسلامية في عصورها الغابرة » ، اراد « عصورها الماضية » والسالفة والمنصرفة والمنسلخة وما في معناها ، مع ان « الغابرة » عند الفصحاء هي الباقية اي الحالية والمستقبلة ، وقال الراغب الاصفهاني في غريب القرآن : « الغابر : الماكث بعد مضي ما هو معه قال (تعالى) : الا عجوزا في الغابرين . يعني فيمن طال اعمارهم . وقيل : فيمن بقي ولم يسر مع لوط ، وقيل فيمن بقي بعد في العذاب ، وفي آخر : الا امرأتك كانت من الغابرين ، وفي آخر : قدرنا انها لمن الغابرين ومنه الغبرة ، البقية في الضرع من اللبن ..

وقيل : يقال للماضي غابر وللباقي غابر فان يكن ذلك صحيحا فانما قيل للماضي غابر تصورا ، بمضي الغبار من الارض ، وقيل للباقي غابر تصورا لتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه » . وجاء في لسان العرب، وقوله في الحديث : انه كان يحرر فيما غبر من السورة اي يسرع في قراءتها ، قال الازهري : يحتمل الغابر هذا الوجهين ، يعني الماضي والباقي فانه من الاضداد. قال : والمعروف الكثير ان الغابر الباقي ومنه الحديث: انه اعتكف العشر الغوابر من شهر رمضان اي البواقي جمع غابر.. وقال غير واحد من الائمة(3) انه يكون بمعنى الماضي .. قال الازهري : والمعروف في كلام العرب أن الغابر الباقي ..! ابن الانباري : الغابر الباقي في الاشهر عندهم ، قال : وقد يقال للماضي غابر ، قال الاعشى في الغابر بمعنى الماضي :

عض بما أبقى المواسي لـه
من امه في الزمن الغابر

اراد الماضي » ، قال مصطفى جواد كاتب هذه المقالة : لا أرى وجها للاحتمال الذي أشار اليه الازهري — ر ح — فالغابر لم يرد في القرآن الكريم الا بمعنى الباقي فيحمل الحديث عليه ، وأما « الغابر » المظنون في بيت الاعشى فهو عندي تصحيف « العابر » بالعين المهملة لان العابر بمعنى الماضي في بعض معانيه ، ومنه العابر للميت جاء في لسان العرب : « ويقال : عبر فلان ، اذا مات فهو عابر كأنه عبر سبيل الحياة وعبر القوم أي ماتوا ، قال الشاعر :

فان نعبر فان لنا لمات
وان نغبر فنحن على نذور »

---

1) اغلاط الكتاب « ص 1 »

2) كان — ر ح — يسمي نفسه « محمد علي النجار» والتسمية خطأ لانه لم يكن نجارا بل كان ابوه او جده فهو نجاري ، وهو عالم ازهري مشهور ومن اعضاء مجمع اللغة العربية بمصر وكان رحمه الله مفتونا بعلمه انتقد علي انكاري وجود « المطاوعة » في العربية ، في مجلة الازهر فلم اجبه ، فما كل قائل يجاب .

3) اعترض بعض الاعاجم المبتدئين بعلم اللغة علي في همزة « الائمة » مع انها القراءة الشائعة قديما وحديثا في القرآن الكريم وكسرة الهمزة هي التي قرتها على البقاء كما تقول « أؤيدك » بتحريك الثانية.

فالزمن العابر هو الذي عبر زمن الحال وجاوزه والتصحيف في العربية سيء الاثر فهو الذي ولد في عصرنا « التحوير » من التحويل ، و « التكاتف » من التكاتف ، و « التجول» من التجوال ، و «الجمعية» من الجميعة تصغير الجماعة ، وولد قديما « التلخيص» من التخليص . فالتلخيص المولد هو غير التلخيص القديم وهما متناقضان . وولد الامعان من الانعام . و « الماليخوليا » من المالنخوليا وعشرات غيرهن .

فاللغويون لم يكن لهم وحدهم القول الفصل في تحديد الصواب والخطأ ، وانما كانت اقوالهم تنبيهات مستندة الى القواعد والمسموع الفصيح من كلام العرب . ومع هذا فقد انتقد بعضهم على بعض والفت كتب في انتقاد النقد ، وكتيبات ورسائل . مثال ذلك ان ابن الخشاب البغدادي النحوي انتقد على الحريري ما عده غلطا في مقاماته ، فانتصر ابن بري للحريري ورد على ابن الخشاب (1) .

والدكتور محمد كامل حسين نفسه في هذه المقالة عينها رد على من انكر استعمال الفعل « برر » و « المبرر » من اللغويين قال : « ولا يزال من اللغويين من ينكر كلمة « مبرر » لانها لم ترد بهذا المعنى ويفضلون كلمة المسوغ وعندي أن المسوغ هو ما تقوله قبل ان تعمل عملا ما ، و « المبرر » هو ما تقوله بعد ان يقع الامر ، فكل حرب لها مسوغات ادت الى قيامها وقليل منها ماله مبرر . ويستحسن أن تكون هناك كلمتان مختلفتان تدلان على المعنيين . والتبرير كلمة عربية في صيغتها واشتقاقها ودلالتها على ما لا تدل عليه كلمة اخرى في اللغة . فبقاؤها واجب وهي صحيحة بكل معاني الصحة » (2) .

وكنت انا من الذين يجدبون (3) استعمال « برر » ومصدره بالمعنى الذي يراد من « سوغ » ومصدره ، فرايت الثقات الدكتور الدافع المذكور المنتقل من الدفاع الى الهجوم صوابا في توجيه « برر » . اماكلامه على « التسويغ » فهو من بنات خياله ، ولو لم يكن كذلك لشفعه بنص لغوي مروي عن الثقات الاثبات ، فلا يشترط في التسويغ ان يكون قبل العمل كما ادعى ، ففي مختار الصحاح « وساغ له ما فعل اي جاز ، وسوغه له غيره تسويغا اي جوزه » وقال في ج و ز « وجوز له ما صنع تجويزا واجازه له اي سوغ له ذلك » . فالمضي مقدم على غيره في النص اللغوي ، ولا فرق بين المضي والاستقبال في الاستعمال ،

واول من استعمل « برر » بالمعنى المذكور آنفا المترجمون من اللغة الفرنسية وهي اشيع اللغات الغربية في الشرق ، والمترجمون عيال على معجم الاب J. B. Belot وقد ذكر بازاء Justifier برا وبرر وزكى وسوغ وغيرهن فاختاروا « برر » لانسها (4) وخفتها وشيوع مادتها .

فاللغويون لم يحكموا أحكاما قطعية بل تركوا باب الاستدراك والاستئناف وباب التمييز مفتوحة كما هو الامر في احكام القضاء في القوانين الوضعية ، لعلمهم ان باب الاستعارة في العربية مفتوح ابدا وكذلك باب الاشتقاق والقياس، وما قيس على كلام العرب الفصحاء كان مثل كلامهم . اما اقتباس الاستعارات من اللغات الاعجمية فمنه ما يوافق اللغة العربية ومنه ما لا يوافقها (5) ، فلا يصح ان يقال في هذا الرفض وهذا الاباء وعدم الموافقة انها جامدة ، لان للغات اذواقا ايضا ، والفرنج اشد تمسكا باستعارات لغاتهم من العرب في هذا العصر ، ولم انس أن احد الطلاب العرب الذين درسوا العلم والادب في فرنسة كتب رسالته لنيل شهادة الانجاح باللغة الفرنسية ، فلما اطلع عليها استاذه المشرف عليه المشارف على تاليفه قال له : هذه عبارات عربية مكتوبة بكلمات فرنسية . ذلك لانه رأى الاستعارات وهي الغالبة على كل انشاء ادبي هي استعارات غير فرنسية والكاتب عربي فهي عربية .

---

1) طبع النقد والرد في مطبعة الشركة الطبعية بخان الوزير باسطنبول سنة 1328 هـ .
2) مجلة مجمع اللغة العربية « 22 : 108 » .
3) يجدبون : يعيبون . وفي مختار الصحاح « والجدب ايضا العيب وبابه ضرب ؛ وفي الحديث انه جدب السمر بعد العشاء اي عابه » . وكتاب العصر يستعملون « شجب يشجب شجبا » مكان « جدب » ومضارعه ومصدره وذلك خطأ .
4) التأنيث باعتدادها كلمة .
5) تطرقت الى ذلك في كتيبي « المباحث اللغوية في العراق » .

وقولنا ان باب الاستعارة مفتوح معناه تنشيط اللغة العربية ، ونريد قوتها ، وتكثير ثروتها وتوسيع مجادلها ، فدونك الفعل « عشر » على سبيل التمثيل، فلك ان تستعيره لغير الانسان ، فالمعتمد على الله العباسي في النصف الثاني من المئة الثالثة للهجرة سمى قصره الفخم العظيم القائمة اطلاله حتى اليوم بغربي سامرا أي سر من رأى التي انشاها الخليفة الهمام قاهر الفرنج ونصير الاسلام المعتصم العباسي — ر ح — (المعشوق) ، ووصف ابو حيان التوحيدي بليغ القرن الرابع للهجرة ومؤلف الامتاع والمؤانسة والصداقة والصديق ومثالب الوزيرين وغيرهما يقول في كتابه الاخير : « .. ايام راسك فينان ، وانت كالصعدة تحت السنان ، شطاطك (1) معجب ، وحديثك معجب ، وحديثك (معشوق) ، وقربك متمنى ، والليل بك قصير ، والنهار عليك مقصور ، والعيون اليك طوامح ، والعوازل دونك نوائح ، وذاك زمان قضى فانقضى (2) ».

فهذه الاستعارة مضى على استعمالها السائغ بل المعشوق اكثر من مئة والف سنة فائدة من الجدل فيها ، واللغويون المتحرون لا يحولون دون استعمالها الا من خفي عليه امرها فهو معذور واحسبه اذا رأى الحق والصواب في استعمالها لم يعرض عنهما .

ونفضل الرجوع الى قول الدكتور محمد كامل حسين فيما نقلناه من كلامه : « هذا الحرص يحملهم على ان يحيطوا اللغة بقواعد » ، فنسأله أولا من استعمل « احاط يحيط » هذا الاستعمال من الفصحاء، واذا قال باب الاستقامة والقياس مفتوح ، قلنا : اجل لعلك اخذته من « حاطه يحوطه حوطا وحياطة وحيطة» اي كلأه ورعاه ، لان الكالىء والراعي يدور حول المكلوء والمرعي ، فالدوران والحف هما اصل المعنى ، فمعنى قوله : « على أن يحيطوا اللغة بقواعد » هو « ان يديروا اللغة حول القواعد ويحفوها بالقواعد » مع انه اراد ان القواعد تدور حول اللغة وتحف بها . فاللغويون يعدون الدكتور محمد كامل مخطئا ، ويقولون له : قل : على ان يحيطوا قواعد باللغة » . فهذا وجه الصواب ، ولا تعكر ولا تقلب .

ونأتي الى قوله الصفحة المئة والعشر : « فاذا كان كل ما ورد عن العرب صحيح(كذا) فكل ما يشبه كلامهم صحيح » . وهذا القول مطلق فضلا عن الغلط النحوي الذي فيه ، والمعروف أن ما ورد عن الفصحاء من الكلام هو الصحيح ، وقد وسم الدكتور عبارته بسمة الركة حين اخر « كلامهم » فخرج عن قوله « كل ما ورد » . وكان حريا أن يقول « كل ما ورد عن العرب من كلام » حتى يرد اليه قوله « ما يشبه كلامهم » .

وقال في الصفحة 107 : « فنتبع قواعد الصرف المعروفة اتباعا دقيقا **لا يتفق والحاجة** الى دقة الدلالة» ومقالته محشوة باستعارة « الدقة » فيما يسوغ وما لا يسوغ ، فلندع حسن الاستعارة وقبحها ، ونذكر غلطه النحوي في قوله « لا يتفق والحاجة » بعطف الحاجة على الضمير المرفوع اي ضمير الرفع المستتر في الفعل « يتفق » وذلك غلط ، الا اذا فصل بين المعطوف والفعل بفاصل لفظي من ضمير وغيره كقوله تعالى « اسكن انت وزوجك الجنة » . فالفاصل الضمير وكذلك الحال في العطف على ضمير الرفع الظاهر ، كقوله تعالى : « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا » فالفاصل هو « لا » . ولا يجوز للدكتور محمد كامل حسين أن يجعل « الحاجة » مفعولا معه لان الفعل « يتفق » مشترك يجب ان يستوفي مرفوعيه اللذين يتم بهما الاتفاق .

وقال في الصفحة المذكورة : « ولا ضير على اللغة **ان تخرج على ما ورد** في المعاجم (كذا) **بل وعلى** القياس اذا كان التمسك بذلك يؤدي الى تسمية منطقة الحديد في أسوان بكلمة تدل على « حزام المرأة » . قال ذلك منكرا استعمال « المنطقة » لمنطقة الحديد في اسوان ، ولكنه أجاز استعمالها « للحزام الكهربائي » الذي يحيط بالارض ، وما درى أن « الحزام » الذي ذكره هو « المنطقة » . والمنطقة ترجمة الكلمة الفرنسية Zone وقد أثبت الاب بلوفي معجم المقدم ذكره بازائها : « منطقة من مناطق الارض » . ونحن يهمنا قوله : « أن تخرج على ما ورد » باستعماله « على » بدلا من « عن » . وقوله : « بل وعلى القياس » بجمعه بين حرفي العطف المتناقضين : حرف الجمع وحرف

1) الشطاط حسن القوام واعتداله .
2) اخلاق الوزيرين « ص 32 طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق » . والصحيح تسميته باحدى تسمياته المختلفة وهي « مثالب الوزيرين » لانه جمع المثلبة والبذاءة والاختلاق باسلوب بديع وانشاء بارع وبلاغة مطنبة لان الغالب على البلاغة الايجاز كما هو معلوم .

الاضراب ، واستعماله « على » قد قاسه على قولهم : « خرج فلان على السلطان » أو ، « على الدولة » مع انه تعبير خاص بالعصاة وبالعصيان ، كالخوارج الذين خرجوا على الامام علي بن ابي طالب — ع — فمن البداهة انه لا يقال : « خرجوا عن علي » لان المراد « عصوه » وفي تعبير مولد « عصوا عليه » . ولو علم أن معنى قوله : « ان تخرج على ما ورد » هـو « ان تخرج على حسب ما ورد » وهو ضد ما أراده ما قاله ، الا ترى قول الشريف الرضي في كتابه المجازات النبوية : « وهذا القول خارج على طريق المجاز » (1) والشريف الرضي من فصحاء الامة العربية .

فكيف يغمض اللغويون عن الدكتور محمد كامل في هذه العبارة وهو قد استعملها بضد ما يستوجبه تركيبها من المعنى ؟

وقال الدكتور في الصفحة 105 من المجلة : « حتى لا تكون هناك فرقة بين اللغة وتفكير أهلها » . واستعماله « هناك » حشو لا محل له وهو من محدثات الترجمة السيئة ، لانه اشارة الى غير متقدم ولا ماثل بازاء المشير ، فان اراد الظرفية اغنته « بين » عن غيرها ، فهي المرادة وهي المقصودة .

وتكلم الدكتور في الصفحة 106 على « المتحف » بفتح الميم و « المتحف » بضمها ، فجدب الثانية ثم قال : « والحاجة التي دفعت العربي الى صياغة فاسدة أو شاذة ليست اشد من حاجتنا الى صوغ كلمة تدل على مكان تكثر فيه التحف ولذلك تكون كلمة متحف بفتح الميم هي الكلمة العربية الصحيحة » . ومن جدبه للثانية اي المتحف بضم الميم قوله : « اما الذوق اللغوي فيأباه ، والذوق يدق عن القواعد ، ذلك أن اشتقاق اسم المكان من افعل المستدي نادر جدا واكثره من الافعال اللازمة » .

فنقول : أما تسويغه « المتحف » بفتح الميم فلا وجه له في السماع ولا في القياس ولا في الاشتقاق ويقترن القياس والاشتقاق احيانا ، والقاعدة في صوغ كلمة تدل على مكان يكثر فيه الشيء المصوغ له ، أن تأتي الكلمة على وزن « مفعلة » بفتح الميم والعين مثل « مأسدة ومذأبة ومقثاة ومرزة لوضع الرز ، ومسبعة ، وعلى هذا ينبغي أن يكون الاسم « متحفة » بفتح الميم والحاء لموضع التحف ، وعلى هذا القياس يجري في صوغ اسم لمنطقة حديد اسوان التي جدبها ، فيقال « محدة » اسوان بتشديد الدال ، كالمرزة بتشديد الزاي ، فاللغويون يريدون اتباع القياس اللاحب والاشتقاق الصائب .

أما قلة ورود « المفعل » بضم الميم وتسكين الفاء وفتح العين اسم مكان فليس مرجعها الذوق ، بل روح العربية ، لان اكثر الافعال الثلاثية في العربية متعدية وذلك لان التعدي في الافعال هو الاصل واللزوم طارىء عليها ، فاستغنى العرب بصوغ اسم المكان من الثلاثية المتعدي عن صوغه من « افعله يفعله افعالا » ، ولم يفكروا فيها لا حاجة بهم اليه وان ورد نادرا كالمخمد لواد باليمن والمدرك لموضع في جزيرة العرب والمراح لموضع قرب المزدلفة والمراد لحصن قريب قرطبة والمعظم لموضع في بلاد العرب ، ومع ندورها يجوز اعتدادها أسماء مفعول في الاصل ، فهو نادر كما قال الدكتور ونعم ما قال .

وبما قدمنا يظهر للدكتور أن اللغويين يريدون المبنى والمعنى معا لا كما قال : « مقاييس الصحة في هذه الامور هو عند اللغويين صحة المبنى على حين ان القياس يجب ان يكون وضوح المعنى وصدق الدلالة (2) . قوله « هو » للاخبار عن المقاييس غلط والصواب « هي » بالبداهة .

وقال الدكتور محمد كامل حسين وهذا القول من اقوله هجوم ولا دفاع ، وهو يذكر اللغويين : « ومن اغفالهم المعنى قولهم في تفسير عبارة (قدم) انهميقولون ان (حدث) لم يرد في كتب اللغة وانها هنا للاتباع . وما هي من الاتباع في شيء وانما (حدث) فيه معنى الحداثة وهو ضد قدم ، ولا يدل على المعنى ان تقول : وما حدث ، بفتح الدال فهذا من الحدوث وذلك من الحداثة » .

وهذا القول فيه جراءة غير مستندة الى علم ، فاللغويون نصوا في كتبهم على أن « حدث » بضم الدال لم يسمع ولم ينقل عن العرب الا أن في العربية انواعا من التحسين اللفظي ، وتنسيقه ، فكانوا يقولون : **« ما قدم وما حدث »** على سبيل الاتباع والازدواج . اما الحداثة التي ذكرها الناقد على اللغويين قولهم فهي مصدر « حدث » ايضا بفتح الدال ، قال مؤلف لسان العرب : « الحديث نقيض القديم والحدوث نقيض

---

1) المجازات النبوية « ص 26 طبعة مصطفى البابي بالقاهرة 1356 — 1937 م
2) مجلة مجمع اللغة العربية « 22 : 106 » .

القدمة . حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة .. حداثة السن كناية عن الشباب واول العمر .. ورجل حدث السن وحديثها : بين الحداثة والحدوثة » . فالحداثة عندهم كالحدوث .

والناقد يريد وجود « حدث » لوجود الحداثة وكأنه يشير الى ان احد مصدري « فعل يفعل » (بضم العين) المشهورين هو « فعالة » كالحداثة ، فغلط اللغويين — أدام الله علمه الغزير — كأن ذلك من دعاواهم ، وما درى أن ذلك من أسرار العربية التي لا يطلع عليها الا بالتبحر وتوفيق من الله تعالى ، فوزن « فعل يفعل » ككرم أبدعته العرب — بعد ضيق الاوزان بالمعاني — للتحويلات الغريزية وشبهها ، ولابد للتحول الغريزي وشبهه أن يسبقه طور من الاطوار ، فيقال : « حدث الشيء » اي كان حديثا لم يسبقه طور لانه جديد ، فاذا بعد زمان حدوثه قيل « قدم » بضم الدال ، لتحوله شبه الغريزي ، فهل يجوز أن يكون القديم « حديثا » بالنسبة الى حالته وحدها ؟ هـذه مسألة علمية والدكتور الناقد علمي لا ادبي ، وهـل يعود أمس فيكون اليوم القابل اي غدا ؟ ليكون حديثا وجديدا ؟ فالذي حدث سيكون قديما ، وهذا وزنه . والذي « قدم » لن يكون حديثا . فتأمل دقائق هذه اللغة المنطقية .

وقال الدكتور في الصفحة 110 « ويجدر بنا ان نتبين مقاييس الخطأ » فعكس استعمال الفعل فالانسان هو الذي يجدر أن يكون جديرا ، فالصواب « ونجدر أن نتبين » ولعله اراد « يحسن بنا » و« يليق بنا » فهل من فائدة في ذلك القلب ؟ هذا كلامنا في مقالة واحدة من مقالات مجلة — مجمع اللغة العربية — ، فنسأل الله الشفاء لنطارحها الفوائد والآراء .

بغداد — مصطفى جواد



تقويم اللسانين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 8 -

39 ـ من الاخطاء الشائعة في هذا الزمان قولهم يستهدف كذا او يهدف الى كذا يريدون انه يقصده ويتخذه هدفا ولم تستعمله العرب بهذا المعنى قال صاحب اللسان الازهري : روى شمر باسناد له ان الزبير وعمرو بن العاص اجتمعا في الحجر فقال الزبير: اما والله لقد كنت اهدفت لي يوم بدر ولكني استبقيتك لمثل هذا اليوم فقال عمر وانت والله لقد كنت اهدفت لي وما يسرني ان لي مثلك بفرتي منك قال شمر قوله اهدفت لي ، الاهداف الدنو منك والاستقبال لك والانتصاب يقال اهدف لي الشيء فهو مهدف واهدف لك السحاب والشيء اذا انتصب . ثم قال وفي حديث ابي بكر قال له ابنه عبد الرحمن لقد اهدفت لي يوم بدر فضفت عنك فقال ابو بكر لكنك لو اهدفت لي لم اضف عنك اي لو لجأت الى لم اعدل عنك دكان عبد الرحمن وعمرو يوم بدر مع المشركين وضفت عنك اي عدلت انتهى . ومن ذلك تعلم ان استعمال العرب للاهداف والاستهداف في واد واستعمال المعاصرين لهما في واد آخر فالعرب تقول اهدف الشيء واستهدف بمعنى قرب وانتصب وصار امامك، كالهدف الذى تتمكن من رميه اذا كان قريبا ومنتصبا امامك اما استعمال المعاصرين فانه يريدون به القصد الى الشيء ومما يزيدذلك وضوحا قول العلماء من الف فقد استهدف اي نصب نفسه هدفا للمنتقدين يرمونه بسهام نقدهم وكان قبل ذلك مستورا وقول ابي بكر رضي الله عنه لابنه عبد الرحمن : لكنك لو اهدفت لي لم اضف عنك اي لو تمكنت من قتلك ما ابقيت عليك دليل على قوة ايمانه وتحقيقه لقوله تعالى في سورة التوبة الآية 24 (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لايهدي القوم الفاسقين). فهذه المحبوبات الثمانية اذا لم يكن معها حب الله ورسوله تلقى صاحبها في التهلكة واذا كان معها حب الله ورسوله وقع التنازع بين الحبين، الصديقون والصالحون لا يبالون بهذه المحبوبات وهي المذكورة في الآية وهي : الآباء والابناء والاخوان والازواج والعشيرة والاموال والتجارة والمساكن الطيبة اذا تنافت مع حب الله ورسوله فيقدمون حب الله ورسوله عليها ولذلك قال الصديق لابنه عبد الرحمن (لكنك لو اهدفت لي لم اضف عنك) ولا شك ان الصديق كان يحب ابنه عبد الرحمن لان حب الولد من طبيعة البشر وغير البشر ولكن لما التقيا في الحرب ابو بكر ينصر الله ورسوله وابنه عبد الرحمن كان ينصر الشرك ويوالي اعداء الله كان ابو بكر عازما ان يقتله لو عرض له وتمكن من قتله ترجيحا لحب الله تعالى على حب غيره وهذه المحبوبات الثمانية هي عقبات في سبيل الايمان الكامل الذى يفوز صاحبه برضوان الله تعالى ويسعد السعادة الابدية وكم فتنت هذه المحبوبات من ناس اذا تغلب حبها عندهم على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فخسروا وضلوا ضلالا بعيدا .

40 ـ ومن الاخطاء التي جاءتنا بها الترجمة الفاسدة وهي من استعمار اللغات الاجنبية للغتنا العربية قولهم فلان يؤدي واجبه نحو الله وواجبه نحو وطنه وواجبه نحو ابنائه وما اشبه ذلك والصواب ان يقال فلان يؤدي حقوق الله الواجبة عليه وحقوق المواطنين وحقوق الابناء وهكذا يقال في الكلام الفصيح عندما يقول من احسنت اليه لك علي فضل هذا من حقك علي هذا واجب لك علي والكلمة التي اوقعتهم ترجمتها في هذا الخطا في اللغة الانجليزية مثلا Toward وفي كل من اللغة الالمانية والفرنسية كلمة تؤدي معناها واساليب هذه اللغة هذه اللغات ونظمها متقارب في القالب كما ان نظمها العربية واخواتها كالعبرانية والسريانية متقارب وسبب وقوع مثل هذه الاخطاء ان المترجم يكون متمكنا من اللغة الاجنبية ضعيفا في اللغة العربية يترجم كلمة بكلمة والمترجم الكامل يقرا الجملة من اللغة التي يترجمها ويستوعب معناها في ذهنه ثم يصوغ لها جملة فصيحة في اللغة التي يترجم بها حتى اذا قرا القارىء العربي كتابا مترجما لا يشعر انه مترجم حتى يخبر بذلك كما نرى في ترجمة ابن المقفع لكتاب كليلة ودمنة وترجمة البنداري للشاهنامة .

41 ـ ومن الاخطاء الشائعة استعمالهم كلمة بالرغم او على الرغم في غير موضعها فيقولون مثلا حضر فلان الاحتفال بالرغم من كونه مريضا او بالرغم من كثرة اشغاله والآن ندرس ما قاله الائمة في استعمال الكلمة قال صاحب اللسان الرغم مثلثة الراء الكره والمرغمة مثله قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت مرغمة للمشركين المرغمة الرغم اي بعثت هوانا وذلا للمشركين ثم قال ابن الاعرابي الرغم التراب والرغم الذل والرغم القسر وفي الحديث وان رغم انفه اي ذل وفي حديث معقل ابن يسار رغم انفي لامر الله اي ذل وانقاد وتقول فعلت ذلك على الرغم من انفه انتهى . وهذا الاستعمال الصحيح لهذا اللفظ اذا فعلت شيئا وهناك من يكرهه تقول فعلت ذلك على رغم انفه فاما ان يراد بذلك يقصد ان اذله وعبر بالانف لان المستكبر يشمخ بانفه اي يرفعه عزا وتكبرا انتهى فخفض الانف والصاقه بالتراب واذلاله ضد شموخه وهو رفعه فلذلك يعبر برغم الانف عن الذلة والاهانة والقسر والاكراه وبشموخ الانف عن الرفعة والتكبر اما قوله حضر الاحتفال برغم كثرة اشغاله مثلا فهو استعمال فاسد ماخوذ من الترجمة الفاسدة لكلمة In spite وفي كل من الفرنسية والالمانية كلمة تشبه هذه الكلمة في المعنى والاستعمال العربي الصحيح ان يقال فلان حضر الاحتفال مع كثرة اشغاله او مع كونه مريضا وتستعمل على في موضع مع قال تعالى في سورة البقرة الآية 117 « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآت المال على حبه الآية اي اعطى المال مع حبه له ولا يقال بالرغم من حبه له كما يقوله من ياخذ انشاءه من الصحف والاذاعات وقال تعالى في سورة الرعد الآية 6 «وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» وقد استشهد ابن هشام في المغني باية البقرة وآية الرعد على ان (على) فيهما للمصاحبة بمعنى مع ولا يقال ولو في خارج القرآن وان ربك لذو مغفرة للناس بالرغم من ظلمهم وقد تبين معنى على وبقي علينا ان نذكر تفسير قوله تعالى «وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» فقد يتوهم متوهم ان المعنى ان الله يغفر للناس مع اصرارهم على الظلم ظلم بعضهم لبعض وذلك باطل قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي انه تعالى ذو صفح وستر للناس مع انهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بانه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى : « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » انتهى ومثل آية البقرة في قوله تعالى في سورة الانسان رقم 8 ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا » اي مع حبهم له ولا يقال في خارج القرآن فلان يطعم الطعام المساكين بالرغم من حبه له او بالرغم من قلة ما عنده منه .

42 ـ ومن الاخطاء الشائعة في هذا الزمان في الصحف والاذاعات وعلى السنة الناس قولهم القطاع الزراعي والقطاع الصناعي ويضيفون الى ذلك خطأ آخر فيجمعونه على قطاعات والمصدر الاول لهذه الكلمات هي اذاعة لندن ومنها سمعت ما يلي : والملونون في بريطانية يشكلون قطاعا كبيرا من عمال النقل فالقطاع عندهم يطلق على جماعة من الناس يجمعهم عمل واحد ولم تستعمل العرب القطاع بهذا المعنى البتة وسترى ما يقوله ائمة اللغة فقد وجدنا القطاع بكسر القاف يجيء مفردا ويجيء جمعا فاما المفرد فقال فيه ابن منظور والقطاع اي بكسر القاف وفتحها صرام النخل مثل الصرام والصرام بكسر الصاد وفتحها انتهى . قال محمد تقي الدين وهو ماخوذ من القطع لان الصارم يقطع العكاكيل وهي في النخل بمنزلة العناقيد في الكرم، وهو شجر العنب

واما الجمع فقال فيه انه جمع قطع بكسر القاف وسكون الطاء وهو السهم وما تقطع من الشجرة وقطع الليل طائفة منه والبساط والطنفسة تكون تحت الراكب وضرب من الثياب الموشاة وقطيع الغنم ايضا يجمع على قطاع الى غير ذلك من المفردات التي تجمع على هذا الجمع والقطع والقطعة والقطيع والقطع والقطاع طائفة من الليل تكون من اوله الى ثلثه وقيل للفزاري ما القطع من الليل فقال حزمة تهورها اي قطعة تحزرها ولا تدري كم هي والقطع ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى «فاسر باهلك بقطع من الليل» قال الاخفش بسواد من الليل والصواب ان يقال بدل القطاع الزراعي والقطاع الصناعي القسم الزراعي والقسم الصناعي وان يقال بدل قولهم الملونون في بريطانيا يشكلون قطاعا كبيرا من عمال النقل : والملونون في بريطانيا يؤلفون جماعة كبيرة من عمال النقل والعرب تعبر بالجماعة والطائفة والفريق والجمع ولا تعبر بالقطاع وكذلك تعبر بالامة قال تعالى في سورة الاحزاب رقم 13 « واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا » والطائفة هنا جماعة من المنافقين وقال تعالى في سورة الصف رقم 14 «فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة» وقال تعالى في سورة آل عمران رقم 113 «ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» وقال تعالى في سورة الاعراف رقم 30 « فريقا هدى وفريق حقت عليهم الضلالة ».

43 ـ ومن التراكيب الركيكة الفاسدة لفظا ومعنى وهي استعمارية بلا ريب ماخوذة ترجمة حرفية من اللغات الاجنبية قولهم منحتهم السماء كذا وكذا فاسناد المنح الى السماء فاسد عقلا ونقلا ولغة اما عقلا فان السماء لا تعطي ولا تمنع وليست سببا في الاعطاء حتى يقال ان الاسناد اليها مجاز عقلي كما في قولهم انبت الربيع البقل وبنى الامير المدينة لان السببية في هذين المثالين ظاهرة اما قولهم منحتهم السماء فليس كذلك والاوروبيون ينسبون الاشياء الى السماء في لغاتهم ويدعونها ويستغيثون بها كما يفعلون مع الله تعالى ومع المسيح وامه ومن العجائب التي تستنكرها عقول الموحدين واذواقهم انهم اذا اصابهم فزع يهتفون قائلين يا ام الله ومقصودهم بذلك مريم الصديقة فاذا قلنا لهم ان الله لا ام له ولا اب يشمئزون ويغضبون ولا يصح ان يكون قولهم منحتهم السماء مجازا عقليا بالنسبة الى المسلم لان المسلم يعتقد ان السماء لا تمنح شيئا وليست سببا للمنح كما في بنى الامير المدينة فان السبب في بنائها هو الامير لانه امر العملة ببنائها والحقيقة العقلية هي اسناد الفعل او ما في معناه الى ما هو له في اعتقاد المتكلم كقول المومن انبت الله البقل وانزل الله المطر وكقول الكافر انبت الربيع البقل، وانزلت السماء المطر، وكقول النصارى في عيسى وامه، انهما يعطيان ويمنعان كقول الكافر شفى الطبيب المريض فهو اسناد حقيقي لان الكافر يعتقد ان الطبيب هو الفاعل الحقيقي والنصارى يعتقدون عيسى وامه الاهين والمجاز العقلي كقول المومن انبت الربيع البقل وشفى الدواء المريض لانه يعتقد ان الله هو الذي انبت البقل والربيع سبب وان الله هو الذي شفى المريض والدواء سبب ومن المجاز العقلي قول الشاعر وهو ابو النجم :

قد اصبحت ام الخيار تدعي
على ذنبا كله لم اصنع

من ان رات راسي كراس الاصلع
ميز عنه قنزعا عن قنزع

جذب الليالي ابطئي او اسرعي

والدليل على انه مجاز قوله بعد ذلك :

افناه قيل الله للشمس اطلعي
حتى اذا واراك افق فارجعي

هذا الشعر من مشطور الرجز وهو لابي النجم العجلي وام الخيار زوجته وكانت تعيب عليه صلع راسه لكبر سنه وكانت ابنة عمه بدليل قوله في موضع آخر من القصيدة :

يا ابنة عما لا تلومي واهجعي
لا تسمعيني منك ما لم اسمع

يمشي كمشي الاهدا المكتع
الم يكن يبيض لو لم يصلع

فهي تعيب عليه شيخوخته وما يلازمها من الانحناء والاكباب فان الاهداء هو الذي يمشي منحنيا مكبا كانه راكع والمكتع المتقبض : يقول لها يا ابنة عمي لا تلوميني على كبر سني وضعفي وصلع راسي فانه لو لم يصلع وبقي فيه شعره لثار ابيض بالشيب وانت تكرهين رؤية الشيب كما تكرهين الصلع . والشاهد في قوله ميز عنه قنزعا عن قنزع. جذب الليالي اي فرق شعر الراس حتى صار قنازع مجموعة شعيرات هنا واخرى هناك . جذب الليالي اختلافها ذهابا ومجيئا يعني ان سبب الصلع كثرة الليالي التي

مرت عليه حتى طعن في السن فاسناد ميز الى جذب الليالي من المجاز العقلي لان الشاعر لا يعتقد ان شيخوخته هي التي جعلته اصلع وانما هي سبب الصلع والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه بدليل قوله فيما بعد : افناه قيل الله للشمس اطلعي يعني افنى شعر راسه قول الله للشمس اطلعي كل يوم . وقوله حتى اذا واراك افق فارجعي دليل قاطع على ان العرب من قديم الزمان وان لم يشتهروا بتعاطي العلوم بل كانوا امة امية اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون كانوا يعرفون ان الارض كرة وان الشمس حين تغيب عن قوم تكون مشرقة عند قوم آخرين لانها لم تنعدم وانما سترها افق اي جانب من الارض وان الله هو الذي امرها بذلك كما كانوا يعلمون ان المطر ينشا سحابا من البحر حتى اذا علا السحاب في الجو وبرد ساقته الرياح الى الارض التي يريد الله ان ينزل فيها المطر فينزل المطر بقدرة الله يدلك على ذلك قول شاعرهم:

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج

قال الخضري في حاشيته على شرح الالفية لابن عقيل ما نصه قول شربن الخ ضمنه معنى روين فعداه بالباء او هي بمعنى من التبعيضية . واللجج جمع لجة بالضم وهي معظم الماء ونئيج بنون فهمزة فياء فجيم كصهيل اي صوت عال وجملة لهن نئيج حال من نون شربن العائد للسحاب لزعم العرب والحكماء انها تدنو من البحر الملح في اماكن مخصوصة فتمتد منها خراطيم عظيمة كخراطيم الابل فتشرب من مائه بصوت مزعج ثم تصعد في الجو فيلطف ذلك الماء ويعذب باذن الله تعالى في زمن صعودها في الهواء ثم تمطره حيث شاء الله تعالى انتهى

وحكاية الخراطيم التي ذكر للسحاب وانها تدنو من البحر في اماكن مخصوصة فتشرب بصوت عال تدل على ان الخضري لم يفهم قول الحكماء ، والذي قاله الحكماء هو ان ماء البحار يتبخر بحرارة الشمس فيصعد في الجو بخارا فاذا بلغ اعالي الجو برد ثم نزل مطرا كما تقدم . وقول الخضري يلطف ويعذب يريد انه صفي من الاملاح فيصير ماء عذبا صالحا للشرب ولسقي الاشجار والنباتات وقد اخبرني بعض الاخوان في الكويت ان الماء الذي يصفى في معامل التصفية يصير عذبا كماء المطر ولكنه لا يصلح لسقي الزرع والاشجار الا اذا موزج بماء الآبار وهذا ان صح يدلنا على السر الكامن في تصفية الله تعالى والفرق بينها وبين تصفية الانسان بالآلة والصنعة اما العذوبة فهي كماء المطر ولا فرق وقد شربت الماء المصفى بالآلات في مطار الظهران بالمملكة العربية السعودية فوجدته كما ذكرت ولله في خلقه شؤون .

بقلم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي



عرض تاريخي لإيران منذ أقدم العصور

للأستاذ محمد بن تاويت

اذا ذكرت ايران فى القديم فانها كانت تشمل افغانستان وجزءا من التركستان ، ولهذا فاقليمها الطبيعي كانت تحيط به الجبال من جميع نواحيه ، ففى الشمال جبال البرز وفى الغرب جبال كردستان، وفى الجنوب سلسلة جبال كزجروس ، وفى الشرق جبال سليمان وهندكوش .

اما تاريخ ايران ، فتتجاذبه الاساطير فى قدمه، شان كل امة ضاربة حضارتها فى القدم ، وبالرغم من كون تاريخها هذا مهما من الناحية الادبية ، فاننا سنتركه ونعتمد على التاريخ الصحيح لهذه البلاد .

وهذا التاريخ ، يمكن ان نضعه فى اطارين : ما قبل الاسلام ، وفى الاسلام

ففى ما كان منه قبل الاسلام ، نترك ما يذكر قبل التاريخ من العصور التى انفصل فيها الايرانيون عن باقي الامم الآرية ونبتدي من عهد الاشوريين الذين كانت ايران تحت سلطانهم السياسي والادبي ، منذ القرن التاسع قبل البلاد .

ثم كانت دول ايرانية بعد هذا العهد ، اقدمها الدولة الميدية التى نشات فى اقليم ميديا فى شمال غربي ايران وكانت عاصمتها مدينة أكبتانا (همذان). وقد اثبت البحث ان هذه كانت طورانية، وكانت تسمى مندامبديا ، وقد اعانت هذه الدولة التى نشات فى احضان البابليين هؤلاء على اسقاط دولة الاشوريين ، وان هذه المذكورة كانت تسمى عند القدماء الاسكيت ، نشات فى القرن السابع قبل الميلاد وانتهت عند السادس، بثورة كوريش على الملك استياجس جده واستيلائه على ميديا ، وهو اول ملك ايراني عظيم اجتاحت جيوشه الشرق الادنى واسس امبراطورية مترامية الاطراف وعهد لابنه قنبيز ان يفتح مصر فيما بعد وخضعت له المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى ، ثم امتد سلطانها الى قسم من اوربا . وهذه الدولة هي التى وقعت بينها وبين اليونان حروب معروفة فى التاريخ وملاحم الامتين ، الى ان انتهت بغارات الاسكندر على ايران نفسها سنة 330 قبل الميلاد وظلت ايران بعد ذلك بنحو خمسة قرون ليست لها دولة موحدة ، بل كانت تخضع لخلفاء الاسكندر ، ثم قامت، بعد هذا التاريخ دولة الاشكانية المعروفة باسم دولة البرس نسبة الى الاقليم الشمالي ، فطردت الاوربيين من بلادها وبقيت حتى القرن الثالث للميلاد . والواقع ان هذه الدولة لم تكن ايران كلها خاضعة لها تماما اذ كانت تحت سلطان دول الطوائف وكانت هي نفسها خاضعة للتاثير اليوناني فى الحضارة على الخصوص . ولهذا لم يكن لها ذكر ذوبال في اساطير الفرس وآدابها . وقد انتهت هذه الدولة سنة 226 وحلت محلها دولة بني ساسان ، تلك الدولة التى عاشها العرب وبقيت حتى الفتح الاسلامي ، وعرف من اعاظم ملوكها كسرى انو شيروان ، وقد انتهت بيزدكرد ايام خلافة عمر رضي الله عنه . وكان الصراع بين هذه الدولة وروم بيزنطا على اشده ، وجاء الاسلام وبعض الاقطار من

الجزيرة العربية تحت سلطانها ، وفتح اليمن وهو آنذاك من مستعمرات ايران بهذه الجزيرة .

لما كان الفتح الاسلامي لايران ظلت هذه البلاد تحت التبعية المباشرة للخلافة الاسلامية الى ان كان عصر المامون الذي كافأ قائده المظفر طاهر بن الحسين بن مصعب بتولية ايران تولية شبه استقلالية مدى الحياة ، ثم ورثها ابناؤه من بعده .

وقد عرفت سياسة الاستقلال الداخلي في الاطراف ، منذ هارون الرشيد الذي سنها للاغالبة بافريقيا .

ومهما يكن ، فقد ورث هذه الامارة بعد طاهر ابنه طلحة الذي كانت له حروب مع حمزة الخارجي . ولما توفى جعل المامون لاخيه عبد الله خراسان ، وجعل هذا اخاه عليا خليفة له عليها ، واقام هو بدينور وصار منها يبعث الجيوش لحرب بابك الخرمي الذي عظم امره وأمر الخوارج الذين صاروا يداهمون نيسابور ، فامر المامون حينئذ عبد الله بالذهاب الى نيسابور حيث وفق في اخضاع هؤلاء . وظل في امارته الى ان توفى في خلافة الواثق عام ثلاثين ومائتين ، فولى هذه الولاية ابنه طاهر المكنى بابي الطيب فجعل هذا اخاه مصعبا خليفة له ، وكان الخلفاء الآتون بعد الواثق يجددون له العهود على امارته الى ان توفى في خلافة المستعين عام ثمان واربعين ومائتين ، فولى المستعين ابنه محمدا الذي كان غافلا عن الامر ضعيفا منهمكا في اللذات والشراب والطرب فثارت عليه طبرستان ، وخرج عليه الحسن بن زيد العلوي ، وكان على طبرستان سليمان بن عبد الله بن طاهر عمه فحارب الحسن الذي هزمه واستولى عليها ، ثم ثارت جهات اخرى ، كما انقلب عليه ابناء اعمامه الذين انحازوا الى يعقوب بن الليث الصفار مؤسس دولة الصفاريين .

وكان هذا رجلا مغمورا من رستاق سيستان الا انه استطاع ان يصل الى الامارة بمواهبه التي ذكرها الكرديزي في كتابه « زين الاخبار » وعظمت شوكته في سيستان ثم قصد خراسان وقبض على آخر امراء بني طاهر محمد المذكور . وبذلك كانت نشأة دولة بني الصفار ، التي رأت الخلافة العباسية ان تعترف بها وتوليها الصورية الشرعية لقيامها ، وان كان يعقوب قد قال وقد أخرج سيفه من تحت سجادته : « عهد ولواى من اين است » اي هذا عهدي ولوائي ، فالحق انه ثار على الخلافة واستولى على جهات تمتد من الافغان الى العراق .

وقد لاقى يعقوب في سبيل توطيد هذه الامارة الناشئة ، التي يعدها بعضهم أول امارة فارسية على الحقيقة ، كثيرا من الصعاب ولكنه تغلب عليها كلها ، وتوفى عام 265 ، فخلفه اخوه عمرو الذي جعل له المعتمد والموفق خراسان وسيستان واقليم فارس ، فاضطلع بالامر ، ولم يقل في كفاءته عن اخيه ، لكنه طمع في ما وراء النهر واراد اخراجها من يد اسماعيل بن احمد بن اسد بن سامان، حاملا المعتضد على ذلك ، فكان ان واجه حروبا طاحنة لقي نهايته في بعضها ، وانهزم عسكره عام سبع وثمانين ومائتين فسر بذلك الخليفة المعتضد وارسل الى خراسان عبد الله بن الفتح عام ثمان وثمانين ومائتين ، الى اسماعيل بن أحمد بعهده فكانت دولة بني سامان ، كما سيأتي ، وانقرضت دولة بني الصفار وقضي نحبه عمرو بسجن بغداد عام تسع وثمانين ومائتين وقد استطاع بعض ابناء الصفاريين ان يقيموا لهم امارات في جهات مختلفة ، لكن امارتهم الكبيرة انتهت بعمرو المذكور، وكان بزوغ الفارسية على عهدها اما دولة السامانيين فكان مبدأ امرها ان اجدادها الزردشتيين ، اسلم منهم على يد المامون وهو امير بخراسان سامان جداة بن حامتكان ، وكان له ابن يدعى اسدا رعاه المامون وحظي عنده ، وكان لهذا ابناء اربعة : يحيى واحمد ونوح والياس ، فكانت لهم مكانة لدى المامون ولما جعل المامون خراسان لغسان بن عباد وصى على هؤلاء الذين جعل منهم غسان نوحا على سمرقند ، واحمد على فرغانة ، ويحيى على وجاج وسرشنة ، والياس على هراة . فلما خلفه طاهر بن الحسين جعل هؤلاء على خزائن الاعمال ، وكان منهم احمد صاحب الشان العظيم . فلما توفى هذا ترك ابنين : نصرا واسماعيل ، وكانت بخارى وسمرقند يتوليانها على عهد بني طاهر ، سمرقند لنصر وبخارى لاسماعيل . وبعد حرب بينهما صار الاقليمان معا لاسماعيل ، ثم صير اخاه خليفة له على ما وراء النهر .

لقد تولى امارة ايران اسماعيل بن احمد ، فضبط الامارة ووطد لها في جهاتها البعيدة وظل كذلك الى ان توفى عام خمس وتسعين ومائتين وكان يلقب بالماضي ، فتولى بعده ابنه ابو نصر احمد الذي لقب فيما بعد بالشهيد ، لانه قتل على ايدي غلمانه الذين يقال ان ابا الحسن بن اسحاق كاتبه كان قد تواطأ معهم على قتله ، وكان ذلك عام احدى وثلاثمائة، وكان كاتبه قائما على شؤون الامارة عاملا على اخضاع الثائرين عليها (ابن الاثير والطبري) ، ثم تولى ابنه

السعيد نصر وكانت سنه آنذاك ثمانا ، فكان صاحب تدبيره ابو عبد الله محمد بن احمد الجيهاني الذى أحسن التدبير والسياسة ، وكان عالما ضليعا وعاقلا مترسا جلدا صبورا فاضلا، له تآليف عديدة في كل فن وعلم كما يقول صاحب (زين الاخبار) ، وقد اتسعت الامارة اتساعا عظيما وظهر رجال ذوو كفاءة واخلاص في كل ميدان ولم تخل ايامه على الرغم من ذلك ، من ثورات ومؤامرات . وفي عام احدى وثلاثين وثلاثمائة توفي الامير السعيد ، وحصل الخلاف بين اولئك الرجال الذين كان منهم محمد بن حاتم المصعبي ، ومحمد بن عبيد الله البلعمي ، والجيهاني المذكور فخلفه الحميد ابو محمد نوح ابنه، الذى ظل اميرا اثني عشر عاما وثلاثة اشهر الى ان توفي عام ثلاثة واربعين وثلاثمائة . وكان وزيره ومتولي امره ابو الفضل محمد بن احمد الحاكم . وكان حبل الامارة لعهده مضطربا ، وتفشت المؤامرات واشتد التنافس بين الرجال . وكان لنوح اربعة ابناء ، عبد الملك واحمد ونصر وعبد العزيز ، فجعل لهم الامر بعده على هذا الترتيب ، وبذلك تولى الامارة الرشيد ابو الفوارس عبد الملك ، الذى نصب لتدبير وزارته ابا منصور محمد بن عزيز (كما يذكر ابو سعيد الكرديزي في كتابه السالف الذكر) وكانت في ايامه حروب وثورات ، واجهها رجاله الذين كان منهم القائد العظيم البتكين . وتوفي عام تسعة واربعين وثلاثمائة من سقطة عن فرس فتولى بعده اخوه السديد ابو صالح منصور بن نوح ، وقد حصل النزاع والحروب بين رجال الدولة في شأن هذه التولية استمرت الى ان توفي من علة عام خمسة وستين وثلاثمائة ، فتولى ابنه نوح وهو لما يبلغ الحلم فكان على حاشيته ابو الحرث محمد بن احمد بن فريغون وتاش الحاجب وغيرهما وبقي اميرا واحدا وعشرين عاما وتسعة اشهر وتوفي عام سبعة وثمانين وثلاثمائة وهو في طريقه الى غزنة . وكان يلقب بالرضي، وكان له ابن يسمى منصور كان وليا لعهده وهو دون البلوغ ايضا ، ويكنى ابا الحارث وكان وزيره ابو المظفر محمد ابن ابراهيم البرغشي . وقد خلع عام تسعة وثمانين وثلاثمائة بوساطة بكتوزون وفائق ونصب بدله اخوه ابو الفوارس عبد الملك ، وفي ذلك الوقت اتى الامير محمود الى مرو مطالبا بثار ابي الحرث ، ولكن وسطاء تدخلوا فحصل الصلح بينهما ، وسنرى فيما بعد الدور الذى قام به محمود في التاريخ الاسلامي عامة وايران بصفة خاصة .

فانعقد الصلح على ان يكون للامير محمود هرات وبلخ مع جميع الاموال التى كانت للدولة بهما . فرجع الامير محمود على ذلك (زين الاخبار)

اما ابو الفوارس فقد انتهى به المطاف الى ان قبض عليه واتى به الى ابي الحسن ايلك بن نصر اخي الخان فامر بحبسه فكانت سنة 389 حيث توفي ابو الفوارس نهايتها . وفي ايام هذه الدولة ظهر بوضوح الادب الفارسي والشعراء الكبار كالدقيقي وترجم تاريخ الطبري وتفسيره وغيرهما . وقد استمرت هذه الدولة من عام 261 الى 389 تولى فيها عشرة امراء اولهم نصر بن احمد وآخرهم عبد الملك الثاني ، وبذلك انقرضت دولة السامانيين ، التى اعتمدت على الاتراك، فقربت كما راينا البتكين الذى عينه عبد الملك بن نوح قائدا عاما لخراسان قصد اقصائه . ولما توفي انسحب البتكين الى غزنة واعلن ملكه عليها بعد انتصاره على ابي بكر لاذك ، فهب جيش منصور الساماني لقتاله ، وبعد هزيمته اضطر للاعتراف به حاكما لغزنة. ولما توفي ظل سبكتكين وفيا لابنه اسحاق الذى توفي فاتفق على تولية سبكتكين ، مؤسس الدولة الغزنوية (تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان) .

والى جانب هذه الدولة العظيمة لقد كانت هناك امارات اخرى بجهات متعددة من البلاد مثل امارة بني زيار التى استقلت في جرجان جنوبي شرق قزوين، واستمرت دولتهم من عام 316 الى عام 470 . ولهذه الامارة مكانة خاصة في التاريخ الادبي حيث كانت تضم كثيرا من الادباء والعلماء . وقد الف لها بالعربية والفارسية ، بل كان من امرائها اديب عظيم في العربية هو قابوس ابن وشمكير، الملقب بشمس العالي، الذى كان من آثاره الخالدة رسائل فنية طبعت بعنوان (كمال البلاغة) ، وله شعر عربي وفارسي .

كما كانت هناك دولة بني بويه التى قامت عام 320 في الاقليم الشمالي لايران وامتد سلطانها الى الجنوب الى فاس والعراق وكانوا في اول امرهم مع مؤسس الدولة الزيارية في جيشه ، اذ كان بويه يعمل في خدمة مرداويج بن زيار الديلمي ، فكان علي ابن بويه حاكما على بلاد الكرج ثم ثار على سيده واحتل اصفهان ، ووفق بالتحالف مع اخوته الى بسط سلطانه على مناطق جديدة ، ولما قتل جند مرداويج سيدهم استولى الحسن اخو علي على الجبال ، في حين كان اخوه احمد قد استولى على كرمان ، ثم اتجه الى العراق فرحب به المستكفي، فدخل بغداد ظافرا ، وقلده الخليفة امرة الامراء ، وشرفه بلقب

« معز الدولة » (تاريخ الشعوب الاسلامية) فاصبح البوهيون المتسلطين على الخلافة التى لم يتركوا لها الا السكة والخطبة ، ثم حصل النزاع بينهم كما كان من عضد الدولة بن الحسن مع ابناء عمومته وظلت هذه الدولة الى عام 447 حيث دخل السلاجقة بغداد . ومما يذكر لهؤلاء الاخوة ان عضد الدولة المذكور كان ممدوح المتنبي ، بقصائد كانت آخرتها التى ودعه بها. وتطير على نفسه فى مواضع منها ، وهي آخر قصائده مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا
فلا ملك اذن الا فداكا

وكان نفسه اديبا عالما بالعربية ينظم الشعر ونعته الذهبي بالنحوي ، وصنف له ابو علي الفارسي كتابي الايضاح والتكملة ، كما صنف له ابو اسحاق الصابي كتب التاجي فى اخبار بني بويه ، وممن مدحوه الشاعر السلامي، وقد ذكر له ابن الاثير فى الكامل مناقب كثيرة اما عمهعلي فقد لقبهالخليفة بعمادالدولة ومات عقيما بعد ان ملك ست عشرة سنة . (وكان ابوهم فى مبدا امره صيادا) لقد عاشت هذه الدولة متماسكة ثم تفرقت امارات متشعبة ، بحيث انه من العسير تتبع تاريخها . وعلى كل فهي دولة ايرانية من الديلم وكان وزراؤها من كبار الادباء كابن العميد والصاحب ، الف لهم غير واحد كما تقدم مثل الصابي والمهلبي ، وكان لهم اثر محمود فى العربية ولم يكن لهم فى الفارسية اثر يذكر ، لان البلاد التى حكموها او كان لهم فيها شأن كانت خاضعة لسلطان الادب العربي كالعراق وغربي ايران ، بخلاف بني سامان الذين مدحهم الشعراء بالفارسية

لنعد الى دولة الغزنويين ، نسبة الى غزنة ، فقد نشأت هذه الدولة عام 351 واستمرت الى عام 589 ، وهي من الدول العظام حكم فى اولها ـ كما تقدم ـ سبتكين الملقب بناصر الدولة وهو والد محمود العظيم تولى الامر عام ستة وستين وثلاثمائة ، وكان يبدي خضوعه للسامانيين . وتوفي عام سبعة وثمانين وثلاثمائة ، فخلفه ابنه اسماعيل ثم ثار عليه اخوه محمود وغلب عليه، وظل محمود ملكا الى عام 421 . كان قد قاسم السامانيين عند نهايتهم فى الملك كما تقدم ، ثم بسقوط ابي الفوارس آخرهم انفرد بالامر ومد سلطانه الى الشرق والغرب والشمال فبلغ فى الشرق مدينة لاهور فى الهند ، وامتد سلطانه فى الغرب حتى اعترف به العباسيون ، ولقبوه بيمين الدولة وامين الملة (تاريخ العتبي). وبعد محمود الفاتح الاسلامي، بحق وجدارة، للهند الذى قضى فى فتحه ستة وعشرين سنة ، استولى فيها على غنائم وتحف استعان بها على تجميل عاصمته غزنة ، التى اجتمع فيها من العلماء والفلاسفة والادباء والشعراء عدد كبير ، وقد كان من بين الشعراء الفردوسي الذى مدح محمودا فى مواضع كثيرة من الشاهنامة . ولبديع الزمان قصيدة فى مدحه ، يقول فيها :

اطلت شمس محمود
على انجم سامان

يمين الدولة العقبى
لبغداد وغمدان

وفى كتاب « جهار مقاله » للعروضي نجد كثيرا من اخباره مع الفلاسفة والادباء والعلماء والشعراء : كما نجد منها كذلك فى «وفيات الاعيان» لابن خلدون وقد تداول الملك بعده من ولده اربعة عشر ، وظلوا كذلك الى 553 حيث استولت الدولة الفورية الافغانية على غزنة ، فنقلوا عاصمة ملكهم الى لاهور بالهند . بعد محمود جاءابنه محمد ثم اخوه مسعود وهو اعظمهم على الاطلاق ثم ابنه مودود ، ثم ابنه مسعود ، ثم ابنه على ، ثم عبد الرشيد بن محمود ، ثم فرخزاد بن مسعود ، ثم ابراهيم بن مسعود ، ثم ابنه مسعود ، ثم ابنه شيرزاد ثم اخوه ارسلان شاه ، ثم اخوه بهرامشاه، ثم ابنه خسروشاه، ثم ابنه خسروملك الذى انتهت الدولة به على يد دولة كان لها شأن فى الهند بالخصوص ، بالرغم من امدها القصير، تلك هي دولة الفوريين وتنتسب هذه الدولة الى الضحاك الذى يذكر فى القصص بأنه ملك الف سنة ، الى ان قضى عليه افريدون، وتذكر بآل شنسب ، وهو جدهم فى الاسلام كما يقال ، اسلم على يد علي بن ابي طالب ، ولهذا ظل ولاؤهم لآل البيت، كما يذكرون بني سورى احد اجدادهم فيما بعد . وينسبون الى غور ، اقليم بافغانستان ، شمال شرق ايران ، وكانت افغانستان فى القديم ضمن ايران ، ولهذا تعد هذه الدولة من دول ايران ، وان كانت افغانية الاصل او تركية ، كما كانت سالفتها دولة الغزنويين ، التى اتجهت الى الهند كما اتجهت هذه ، فعدت ثانية دول الاسلام التى تعاقبت على الهند .

كان امراء هذه الدولة فى مبدا امرهم يحكمون غور التى كانت قصبته فيروز كوه ، موالين للدولة الغزنوية وهؤلاء هم اصول هذه الدولة او الامارة ،

ومنهم من كان الى جوار الغور ، يعرفون بأمراء باميان ، وهم حكامها وحكام طرخستان .

وكان حكمهم جميعا قائما على تفاهم فيما بينهم ومشاركة فيه، الى أن حصلت مشاحنة بينهم ترك فيها فيروز كوه اميرها محمد قطب الدين بن عز الدين حسين ، وتوجه الى غزنة ، حيث اميرها بهرامشاه ، الذي رحب به وصاهره ، الا انه وقد عظم شانه خافه هذا الامير ، وقد انهى اليه — كما قيل — انه يدبر مؤامرة ضده ، فما كان منه الا ان سمه ، فلقي حتفه عام 541 .

فلما علم بذلك اخوته وطنوا العزم على الثار ، فأتى اخوه سوري الذي ولوه عليهم الى غزنة التى فر عنها بهرامشاه الى الهند ، عام 543 ، فاقام بها سوري الى عام 544 حيث عاد بهرامشاه وتمكن من سوري فقتله ورجاله شر قتلة . وفي هذا التاريخ كان اخوه الآخر بهاء الدين سام يلي حكم فيروزكوه ، فتولى عام 544 هذه الامارة اخوهما علاء الدين وأتى الى غزنة مدمرا لها ، سابيا لحريمها ، وقاتلا لرجالها ، ومطلقا النار بها طيلة اسبوع ، فلقب بذلك جهانسوز اي محرق العالم ، وكانت هذه الحادثة الفظيعة ، عام توليته ، او بعدها بعام او عامين ، فيكون ذلك في حياة بهرام شاه الذي فر الى الهند مرة اخرى. (وقيل بعده بثلاث سنوات ، في امارة ابنه خسروشاه ، أي عام 550)

ومهما يكن ، فقد ترك علاء الدين عاصمة الغزنويين قاعا صفصفا ، واستعمل عليها اخاه سيف الدين محمدا ، وتوجه بعد ذلك الى هراة ، حيث اشتبك مع الملك سنجر السلجوقي الذي تمكن من اسره طيلة سنتين ، وكان معه عروضي صاحب « جهار مقالة » ، الذي اشار الى هذه الواقعة في الحكاية العاشرة من مقالة النجوم في كتابه المذكور ، وجعلها عام 547 . ولما اطلق سراحه عاد الى ملكه الى ان توفي عام 556 ، فتولى بعده ابن أخيه غياث الدين بن بهاء الدين؛ فكان اخوه شهاب الدين او معز الدين عضده الايمن وشريكه في الفتوح ، وكان عمهما فخر الدين مسعود يحكم لاول مرة باميان ، فخلفاه عن هذه الامارة ، ووسعا ملكهما فشمل معظم خراسان والهند الى جانب افغنستان . وعلى يد شهاب الدين انقرضت دولة الغزنويين بالهند عام 582 ، وقد خلع آخر ملوكها خسروملك بن خسروشاه ، وكان غياث الدين قد جعل لشهاب الدين هذا غزنة وكابل ، عام 569 ، ولقب هو بغياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم

امين المومنين الى أن توفي بالنقرس عام 599 ، فتولى شهاب الدين الذي عاد فهاجم خوارزم عام 601، ولكنه اخفق في مسعاه ، وفتك بجيشه ، وفي عام 602 اغتيل، فانتقلت الدولة الى مملوكهم قطب الدين، وبقيت في عقبه ، وان كان اميران غوريان عادا الى هذه الامارة وظلا بالتعاقب الى عام 610 وآخرون ظلوا في امارة باميان الى عام 612 حيث قضى على آخرهم خوارزمشاه ، وكان جلال الدين بن بهاء الدين بن شمس الدين بن مسعود .

لقد عرفت هذه الدولة ببعض رجالها من العلماء والادباء والشعراء ، مثل ابي القاسم الرفيعي وابي بكر الجوهري وعلى الصوفي ونظامي عروضي الذي ذكر في كتابه هؤلاء ، كما كان غياث الدين نفسه على حظ من العلم ، كما تجد ذلك في ترجمته باعلا الزركلي ومن علمائها العظام القاضي منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد ، صاحب التاريخ « طبقات ناصري » ، وهو المرجع الاول في هذه الدولة ، (طبع في مجلة « ببليوطيكا انديا »)

السلاجقة

ينسبون الى جدهم سلجوق التركماني ، الذي تولت اسرته الوزارة لخاقات تركستان ، بصفتهم رؤساء عشائر بها ، وقد نشات دولة السلاجقة بهجرة سلجوق وكثير من الاتراك الى العالم الاسلامي ، التي كانت قد نشات به دويلات عديدة ، وكانت الخلافة العباسية تحت سيطرة المتغلبين كبني بويه في الشرق، والى جانبها دولة الفاطميين بالغرب الاسلامي ، فما كان من هؤلاء السلاجقة وهم امراء الا ان حاولوا ضم هذه الاشتات المتناثرة ، فبداوا بالاستيلاء على البلاد من حدود افغنستان الى الابيض المتوسط ، حيث استطاعوا ان يقفوا في وجوه الصليبيين ويصدوا هجماتهم المتكررة .

لقد تفرعت منهم امارات ، اهمها السلاجقة العظام ، الذين احتفظوا بالدولة الاصلية ردحا من الزمان ، والى اطراف هذه الامارة كانت امارات اخرى .

اما ايران بالذات ، فانها كانت حين هجرة هؤلاء، تتقاسمها امارات ، كالغزنوية الناشئة والسامانية المحتضرة التى جنح اليها هؤلاء السلاجقة ، فعاداهم لذلك الغزنويون؛ فنفى محمود احد رؤسائهم الى الهند ، وهو اسرائيل بن سلجوق او اخوه ميكائيل كما عند العماد الاصفهاني ، والظاهر انه الاول وفاقا

لصاحب زين الاخبار ، الذى كان من رجال الغزنويين انفسهم ، قريب عهد بهجرتهم .

لقد وقع السلاجقة اثر وفاة محمود فى حرب لابنه مسعود ، فهزموا جيوشه واستولوا على خراسان ، ودخل ابن اخي اسرائيل وهو طغرل بك محمد نيسابور ، التى خطب له بها ، على حين كان اخوه جغري بك داود يستولي على مرو فيخطب له بها، ثم ملك بلخ، وملك طغرل بك جرجان وطبرستان، التى كانت تحت حكم انو شروان بن منوجهر بن قابوس الزياري .

وتعد سنة 429 ، وهي التي خطب فيها لطغرل بك ، مبدا الدولة السلجوقية، اي بعد ثمان سنوات من وفاة محمود الغزنوي او عام 432 ، حيث اعلن طغرل بصفة خاتمة ، استقلاله عن الغزنويين والسامانيين معا ، فعد اول السلاطين ، ولم يعد اخوه داود وان سبقه بالعمل الذي توج بالانتصار ، لانه لم يكن قد استبد بالامر ، فاعتبرت الرئاسة لاخيه الذى اعلن استقلاله .

ثم اتجهوا نحو الغرب، وما مضت عشر سنوات حتى كانوا قد استولوا على عاصمة الخلافة ، بعدما كانت بيد البوهيين طيلة مائة سنة ، فاعترف الخلفاء بسلطان السلاجقة، وتوجوا طغرل بك وعمومه، اشادة الى كونه صار ملك العجم والعرب ، ثم استولوا على الشام وغيرها. وتوفى طغرل بك عام 445 ، فتولى ابن اخيه محمد بن داود ابو شجاع عضد الدولة الب ارسلان ، وظلت البلاد فى يدهم الى عام 485 حيث توفي ابنه ملكشاه ، ابو الفتح جلال الدين ، فتنازع ابناؤه الاربعة الملك بعده ، وهم ناصر الدين محمود وركن الدين ابو المظفر بركيارق وغياث الدين ابو شجاع محمد وابو الحارث معز الدين سنجر ، الذى تولى آخرهم عام 511 ، فاعاد الى الدولة ما استطاع من مجدها ، ولكنه لاقى فى سبيل ذلك مصاعب جمة وخاض معارك عصيبة ، وقع اسيرا فى بعضها ، بيد الدولة الناشئة ، الخوارزمية ، وتوفي عام 552 فانطوت به صفحة السلاجقة العظام ، وان عاشت بعدها امارات اخرى اهمها امارة سلاجقة كرمان ، التى استمرت حتى عام 582 ، وكانت بايران ، كما عاشت اخرى خارجها ، مثل سلاجقة الجزيرة والعراق وكردستان الى عام 590 ، وسلاجقة الاناضول والروم الى عام 808 .

وقد نشأت من السلاجقة دولة اخرى ، تسمى دولة الاتابيك (اتا = اب ، بك للتعظيم) وهو لقب كان يعطيه سائقوهم لمربي الامراء ، فكان لا يناله من قواد السلاجقة الا من كان له شأن عظيم فى الدولة ، وهم اتراك كذلك ، وان لم يكن لهم نسب واحد كما كان السلاجقة قبلهم ، وقد تشعبت اماراتهم ، وكان منهم امارات لم تلقب بلقب اتابك ، بل بلقب شاه .

ويعنينا من هؤلاء الاتابكة ، الذين كانوا بفارس ، وهم المنسوبون الى سلقر احد قواد التركمان فى العهد السلجوقي وامارته هذه ابتدات بفارس عام 543 وانتهت عام 686 على ايدي المغول ، وكان اول ملوكها سنقر (بنطق القاف غينا) بن مودود بن سلغر وآخرهم ايش بنت سعد بن ابى بكر، وابيش خاتون هذه كانت زوجا لمنكو تيمور بن هولاكو خان ، وكان حكمها بتبريز اسميا ، والا فان نهاية بني سلغر تعتبر عام 663 حينما قتل المغول سلجوق شاه بن سبغر شاه بن سعد الاول بن زنكي

ومن هذه تفرعت اتابكة لورستان المنسوبين الى هزارسب (الف فرس) وقد اسس دولتهم ابو طاهر بن محمد وكان احد قوادهم عام 543 ايضا ، وقد قدر لهذه الدولة ان تعيش مدة اطول من اصلها السلغري، حيث ظلت قائمة الى القرن التاسع ، وسقطت على يد الدولة التيمورية ، وكان آخر ملوكها غياث الدين .

وهناك كذلك اتابكة اذربيجان ، واولهم ايلدكز الذى اسس الامارة عام 536 ، فكانت تحكم على اذربيجان واقليم الجبال وهمذان واصفهان ، وكان آخر ملوكهم مظفر الدين ازبك بن محمود الذى قضى عليه شاهات خوارزم اواسط القرن السابع .

وهؤلاء وان كانوا من الاتابكة الا انهم كانوا يعرفون بخوارزم شاه ، واولهم محمد خوارزم شاه بن انوشتكين (صاحب الشراب) احد مماليك السلاجقة، ساقي الملكشاه السلجوقي ، وفى ايام ابنه بركياروق ظهرت كفاية ابنه محمد ، فولي خوارزم ، ولقب خوارزمشاه ، فعظم امره وزادت نباهته ايام اخيه سنجر ، وظل كذلك الى ان توفي عام 521، فخلفه ابنه اتسز الى عام 551 ثم ابنه ارسلان الى عام 568 ثم ابنه محمود سلطان شاه الذى لم تطل ايامه حيث خلفه اخوه تكش فى نفس السنة وظل الى عام 596 ثم تولى ابنه علاء الدين الى عام 617 ثم ابنه جلال الدين منكبرتي البطل العظيم الذى وقف فى وجه المغول واحرز انتصارات عظيمة عليهم ، ولكنه اغتيل عام 629 فانقرضت دولة السلاجقة بخراسان وما اليها من بلاد الري والجبل وما وراء النهر .

والى جانب هذه جميعا كانت امارات اخرى لا تهمنا، بالشام والعراق ، كما كانت شاهات اخرى بارمينية قضى عليهم الامراء الايوبيون .

وفى شاهات خوارزم ، يقول المستشرق برون ، فى كتابه تاريخ ايران الادبي ، انهم اهم اثرا وابلغ دلالة فى تاريخ ايران من دولتي الغزنويين والغوريين ، وقد خطر امرهم على السلاجقة الاول ، اواخر ايام سنجر الذى خاف اتسز ، فحاربه ، ثم وقع الصلح بينهما واعلن هذا استقلاله عام 546 ، اما الصلح فقد وقع قبيل وفاتهما وقد ازدهرت الحركة الادبية فى ظل هؤلاء الشاهات ، وكان من شعرائهم : معزى واغوزى واديب صابر ورشيد الدين الوطواط .

التتار

بدات غزوات التتار على العالم الاسلامي اوائل القرن السابع ، وكان ذلك بسبب النزاع الذى قام بين جنكيز خان ومحمد خوارزمشاه الملقب بعلاء الدين ، لكن هذا لم يثبت للتتار ، بل سرعان ما فر من وجوههم الى جزيرة ببحر قزوين ، فتصدى لهم ابنه منكبرتي ، الذى هزمهم فى عدة معارك ، الى ان اغتاله كردي منتقم عام 629 ، فلم يقف امام الغزاة غيره وقسم جنكيز العالم على اولاده الاربعة ، الذين كان منهم متولي ، صاحب العالم الاسلامي فقد خلف ابنا يدعى منكو ، وهو الذى ارسل اخاه هولاكو عام 651 فقام بتلك الغزوات المدمرة ، وقضى على الخلافة العباسية ، بعدما اكتسح فى طريقه ايران كلها

وبالرغم من المظهر الذى ظهر به هولاكو من عداء للمسلمين بلغت الى حد الهمجية ، فقد كان فى جيشه بعض علماء الاسلام ، كما كان يشجع بعض العلوم خصوصا علم النجوم منها ، وهي غريزة معروفة للتتار والمغول منذ القدم وما زال اثرها فى الروس.

لقد ظلت هذه الدولة حاكمة للعالم الاسلامي الشرقي مائة سنة ، وكان ثالث ملوكها احمد يحاول ان ينشر الاسلام فى قومه فقتلوه، ولكن السابع محمود استطاع ان يفعل ذلك ، ويقوم بنصرة الاسلام ، الذى قوض صرحه اجداده الوثنيون ، ثم كان اخوه اولجايتو ، فأبو سعيد الذى كان له شأن عظيم تجاه الاسلام والحضارة الاسلامية ، وهو آخر سلاطينهم العظام ، توفي عام 736 .

كانت هذه الدولة قد عرفت فى العراق وايران بدولة الايلخانيين (اي ملوك الاقاليم) فكانت دولتهم فى رقعتها الواسعة تشمل مساحة تمتد بين نهر جيحون والمحيط الهندي الى الفرات وآسيا الصغرى ، ولما كان قلبها ايران ، فقد عدت من الدول التى تعاقبت على حكمها بصفة خاصة ، وان كانت فى الواقع تضم بلادا اخرى كالسند والعراق وجزء من الشام والقوقاز .

بعد موت ابي سعيد انقسمت المملكة على امراء متنازعين ، وقد حكم بعده سبعة فى ظرف ثمانية عشرة سنة ، وكان النزاع محتدما بين حسن بزرك وحسن كوجك ، اللذين كان كل منهما يقيم ملكا ثم يخلعه ، واخيرا اسس بزرك الدولة الجلائرية وهناك دولة اخرى قامت فى اقليم فارس وكرمان على ذلك العهد ، وهى الدولة المظفرية ، التى استمرت من عام 713 الى عام 795 وكانت عاصمتها شيراز ، ومن امرائها المشهورين فى الادب الفارسي منصور وشجاع الوارد ذكرهما فى شعر حافظ الشيرازي .

كما كان الى جانبها قبائل تركيا تتحكم فى اقاليم اخرى من اذربيجان وارمينية اواخر عهد التتار ، واهم هذه القبائل اسرتان : اسرة قره قيونو (اي الكبش الاسود) واسرة آق قيون (اي الكبش الابيض) فقد نشأت هاتان الاسرتان فى القرن السابع ، وظلت اولاهما الى التاسع والاخرى الى العاشر ، فتلك حكمت اذربيجان والعراق وامتد حكمها حتى عام 874 وهذه حكمت ديار بكر وغربي ايران وشاركت الاولى بعض الاحيان فى اذربيجان ، وامتد حكمها حتى عام 904 .

والدولة التى ظهرت فى منتهى القوة آنذاك ، هي الدولة التيمورية ، التي اقامها تيمور كورخان قطب الدين ، الملقب تيمور لنك (لنك = اعرج ، لانه اعرج) وهو من ولد جنكيزخان ، ولهذا عدت هذه الدولة بعثا لسابقتها ، مع فارق الدين ، وان لم يكن هناك فارق فى الاكتساح الذى تجلى به تيمور الخطير ، ظهرت تيمور بسمرقند عام 774 ثم تجلت فتوحاته فى ايران عام 782 فاستولى فى ظرف ثمان سنوات على اقطار شاسعة تمتد ما بين تركستان وسمرقند وبين بغداد ، وفى سرعة تحول من الغرب الى الشرق فوجدناه فاتحا فى الهند عام 800 وبعدها بثلاث سنوات كان قد عاد الى الغرب فكان يغزو الاناضول محاربا للعثمانيين ثم آسرا للسلطان بايزيد فى موقعة انقرة 804 ثم بعد ذلك بثلاث سنوات اخرى نجده قد اغرق فى الشرق فهو يفتح الصين الذى كان اعظم آماله ، ولكنه يتوفى بعد سنة 808 فانقسمت الدولة بين ابنائه ، كما حصل بعد جدهم جنكيز ، وكان اكبر هؤلاء الابناء شاه رخ ، وهو اطولهم مدة فى

الحكم حيث حكم حتى عام 850 ثم خلفه ابنه اولوغ بك الملقب بعلاء الدولة ، فلم يستمر الا ثلاث سنوات ، حيث قتله ابنه عبد اللطيف، الملقب بركن الدولة ، والمتولى بعده سنة واحدة حيث اغتيل في ربيع الاول من عام 854 ، ومن ولد تيمور السلطان حسين المعروف ببيقرا والمكنى بابي الغازي ، وكان من امراء خراسان التى كانت تعد من الامارات الصغرى ، وليست الكبرى التى تولاها اولئك المذكورون سلفا وقد اشتهر بيقرا بمجالسه العلمية والادبية في هراة بالخصوص وكان الشاعر عبد الرحمن الجامي من المتصلين به ، تولى من عام 878 الى عام 912 ، اما الامارة الكبرى ، فكان آخر امرائها محمود بن ابي سعد الذى تولى عام 899 وانتهت به عام 907 .

وقد اشتهرت الدولة التيمورية بتشجيعها للفنون والآداب ، وهي ظاهرة تجلت حتى في عهد هولاكو خان قديما .

وبعد هذه كانت دولة اخرى تنتمي الى اصل عربي، وان عدت اول دولة يعتز بها الايرانيون حتى اليوم وهي دولة الصفويين ، التى قامت حوالي عام 907 واستمرت الى عام 1148 ، وهي تنتسب الى جدها صفي الدين ، من ولد موسى الكاظم ثامن الاثني عشرية ، وكان صفي الدين يتمتع بجاه عظيم في شمال ايران ، فلما كان حفيده حيدر بن الجنيد اشترك وابوه في سياسة بعض الامارات المجاورة، حيث قتلا الجنيد عام 868 وحيدر عام 894 تباعا في حوادثها بصفتهما أميرين للحروب ، وبقتل حيدر استولى خصمه يعقوب بن اوزن حسن وهو من امراء آققيون على اردبيل ، ونفى اولاد حيدر الى اقليم فارس ، فاقاموا به الى ان عادوا مرة اخرى الى اردبيل وقد تحارب ابناء يعقوب وكان في هؤلاء الابناء اسماعيل بن حيدر ، الذى وقعت له مع الامارات المجاورة وقائع انتهت بانتصاره وزوال اسرة آق قيولو المذكورة فاستولى على تبريز عاصمة قراقيونلو ثم على جميع ايران وعلى معظم العراق ، وبذلك زالت جميع تلك الامارات الصغيرة ، وتأسست الدولة الكبرى التى ادى توسعها في الغرب الى الاحتكاك بالدولة العثمانية ، فكانت لها وقائع تسببت في خلق عداء محكم بين الدولة استمر طيلة وجود هذه الدولة ، بل استمر حتى بعدها .

لقد حدثت بين اسماعيل وبين السلطان سليم الاول موقعة عظيمة تعرف بموقعة شجلديران ، كان النصر فيها للعثمانيين الذين سقطت في يدهم تبريز عاصمة الصفويين، الذين انهزموا الى الاقاليم الشرقية وكان كلا الرجلين في منتهى القساوة والقدرة الحربية ، تجلى ذلك في حروبهما العنيفة وفي معاملة كل منهما لاصحاب المذهب الذى كان يخالف مذهبهما ، فاسماعيل اضطهد السنيين اضطهادا لا يمكن ان يصدق، وكذلك فعل سليم الثاني بالشيعيين ، مستغلا كل منهما هذا الخلاف بين المذهبين لسياستهما ، ولهذا فما كان اسماعيل رحيما مع غير السنيين ولاكان سليم رحيما مع غير الشيعيين، الا ان الخلاف السياسي والاستبداد بالملك اطلق يدي الرجلين في اولئك الذين ذهبوا ضحية الاطماع .

ومهما يكن فقد استمر الخصام بين الدولتين وبقي توسعهما في مد وجزر ، الى ان فتح مراد الرابع بغداد ، فتأخر عن العراق الصفويون وعادت الحدود الايرانية الى قريب من حدودها اليوم .

وحكم اسماعيل 23 سنة، ثم خلفه ابنه طهمسب عام 930 وحكم 54 سنة ، ولما توفى سنة 984 جاء بعده تسعة ، كان اعظمهم عباس الذى اتصل بالاوربيين ، واستعان بالانجليز منهم على تنظيم جيشه ، وكان الاوربيون لا يحجمون عن تقديم المعونة لهذه الدولة باعتبار انها خصيمة للعثمانيين ، اعداء المسيحية، على كل حال، وهي سياسة اتجهوها منذ القرن السادس عشر ، حسب الوثائق التى بأيدينا، كانت سياسة اسماعيل الصفوي سياسة صارمة ، فانه عادى السنيين الذين لاقوا منهم عنتا شديدا كما كان الشيعة يلاقون ذلك في تركيا العثمانية ، وبذلك لم يبق في ايران سنيون الا في بعض الاطراف التى توجد بها جالية تركية او كردية، اما الباقي فهو شيعي على الاطلاق يمثل هذه الوحدة التى احكمها اسماعيل احكاما شديدا ، واخضع اليها حتى الادب الايراني نفسه ، فاتجه اتجاها شيعيا وقوى في هذه المواقف التى تعرف في رثاء آل البيت ونحوه ، وبذلك ضعف الادب ، على حين ارتقى الفن المعماري والصناعة اليدوية مما هو مشاهد الآن.

ومن آثارهم الفنية القائمة حتى الآن مسجد الشاه في اصفهان الذى يعد من عجائب الفن في هندسته ، ففيه قبة اذا حدث فيها صوت تردد صداه عشر مرات ، وفوقها قبة اخرى ، ويقع هذا المسجد على ميدان كبير كان ملعبا لكرة الصولجان ، ايام الصفويين ، وهو أكبر ميدان في العالم يقع محاطا بالابنية ، وهناك مسجد آخر عجيب الصنع هو مسجد الشاه لطف الله، كما ان هناك الباب العالي

وهو بناء فخم ايضا كان الصفويون يجلسون فيه ويستقبلون السفراء ، وفيه قصر الاربعين عمودا ، وسمي كذلك ، وان كان في الواقع له عشرون عمودا فقط ، لان امام هذه العشرين صهريج عظيم تنعكس على صفحة مائه تلك الاعمدة فتصير كانها اربعون في عددها .

نعم هذه آثار فنية يفخر بها العصر الصفوي والايراني عموما ، ولكن اشتداد الصفويين في المذهب جعلهم ، مع الاسف ، ينظرون الى اخوانهم نظرا معاديا ، وانطووا على انفسهم وانفصلت دولتهم عن باقي العالم الاسلامي وصارت لها صبغتها الخاصة التي ميزتها عن غيرها ، وتمكن هذا من الذين اتوا بعدها ، الى ان كان هذاالعصر الذي نعيشه ، حيث وجدنا فيه اول بادرة للاتصال ، على عهد الامبراطور الراحل ، بربط علاقة المصاهرة مع بعض البلاد الاسلامية غير الشيعية ، ثم على عهد هذا الامبراطور، الذي يستقبل الآن جلالة الحسن الثاني في تلك الحفاوة التي شارك فيها الشعب الى جانب الدولة ، فهذه الزيارة تعد من الخدمات الكبرى التي تؤدي للعالم الاسلامي عامة .

لقد اتى بعد عباس ستة ملوك ، لم يكونوا بقدرته وذكائه ، وكان آخرهم حقا ، هو تاسعهم السلطان حسين الذي تولى عام 1105 وكانت الاحوال قد بلغت الى درجة من الضعف جعلت الاضطرابات تنجم في الاطراف فقد واجه هذا الملك ثورة عارمة من محمود بن ميرويش الافغاني ، الذي استطاع ان يستولي حتى على عاصمة البلاد (اصفهان) التي اتخذوها كذلك ، بعد سقوط العاصمة الاولى تبريز بيد الاتراك ، كما تقدم ثم خلعه عام 1135 وبذلك صارت ايران موزعة بين الافغانيين وهؤلاء الصفويين الضعاف الذين لجؤوا الى شمال البلاد ، وقد تقلص ظلهم فيها ، ودام ملك الافغانيين في ايران سبع سنوات، الى ان كان عام 1142 حيث قيض لها رجل عظيم من اصل تركي ،وهو نادر قلي ، الذي استطاع ان يطرد الافغانيين والاتراك معا عن اطراف البلاد وداخلها ، ولم يكتف بذلك حتى استولى على قسم كبير من افغنستان متوجها شرقا الى الهند ، حيث استولى على جهات بها عام 1153 ، بعدما قضى على الاتراك بالغرب، وبعد خلع السلطان حسين كما تقدم، وقتله عام 1141 بيد اشرف بن عبد الله ، خليفة محمود اجلس نللنوا طهمسب 2 ، ثم خلع هذا واجلس مكانه الطفل عباس الثالث عام 1144 تمهيدا لتوليته الملك ، بعد ما خلعه وسمل عينيه عام 1148 واصبح يدعي نادر شاه ، وبعد ما قتل عام 1160 تولى عادل فابراهيم ثم شاهرخ الذي تولى 1161 ، ثم عزل وسملت عيناه عام 1163 ، ثم اعيد ثم عزل ثم تولى للمرة الثالثة ثم عزل نهائيا عام 1210 ، وبه انتهى حكم هذه العائلة الافشارية ، التي كان جدها امام قلي والد نادر المذكور

وبعدهم قام نزاع كبير على الدولة ، والواقع أن الاضطراب وقع بعد قتل نادر مباشرة ، فلما كان ابنه رشاهرخ بخراسان ، كان الزنديون الذي اسس دولتهم محمد كريم خان عام 1163 قد استقلوا بجهات اخرى كشيراز واصفهان نفسها ، ثم كانت امارة اخرى كتب لها بقاء مائة وخمسين سنة ، تلك هي دولة القجاريين (بالجيم الفارسية) .

تولى في هذه الدولة ثمانية ملوك ، اولهم اقا (بنطق القاف غينا) محمد عام 1193 ، وهو مؤسس الدولة حقا ، وكان قديرا مصلحا ، الا انه كان قاسيا يضرب بقسوته الامثال ، وهو الذي قضى على امارة زاند المذكورة ، وقتل ءاخر ملوكها لطف علي ، وختم حكمه بمذبحة عظيمة في كرمان ، فكان شعبه لذلك يكرهه ، وصد عن بلاده حملات الروس ، وغزى ولاية جرجيا ، واغتيل عام 1212 ، فتنفس قومه الصعداء ، وتولى ابن اخيه فتحلي شاه ، فحكم في رفق وطال حكمه الى عام 1250 حيث توفى ، واضطرب الامر بعده ، ولكن محمد بن عباس استطاع ان يتغلب على بعض المصاعب الى ان توفى عام 1264، ثم تولى ناصر الدين الذي قضىعليها نهائيا وحكم الى عام 1313 ثم مظفر الدين الذي عادت اليه نذر الصعاب والاضطراب وتوفي عام 1324، فتولى محمد علي الذي لم يطق مواجهة لذلك فاعتزل عام 1327 وكانت مطامع الاجانب قد اشتدت على ايران ، وكانت الدولة قد حاولت الاتصال بأوربا والاستفادة منها ، ولكن ذلك ما زادها الا مصاعب تعددت التنافس التقليدي بين روسيا وانجلترا ، الى تنافس جديد بين هذه وفرنسا ، على عهد نابليون بونبرت ، فاستمر ذلك الى سنة 1230 هـ . 1814 م. حيث عقدت انجلترا معاهدة مع ايران، وبعد ذلك وقعت حوادث بين هذه وروسيا على اقليم جورجيا وقفقسيا انتهت بغلبة الروس وبعقد معاهدة 1828 م 1244 ، تعرف بمعاهدة تركمنجي ، تخلت ايران المغلوبة ، بموجبها عن الحدود الشمالية الطبيعية من بلادها لروسيا ، ولم تقف المصيبة عند هذا الحد ، بل عادت

انجلترا مرة اخرى لتزيد فى منافسة روسيا على ايران ، مع انها تركتها فى محنتها لتواجه ذلك المصير القاسي ؛ لكنها ما دفعت حسابها لروسيا حتى كانت انجلترا تقلب لها ظهر المجن وتعاديها معاداة شديدة، لانها ادركت ان عقد هذه المعاهدة مما يمكن للروس ان يسيطروا على البلاد حينئذ وقفت وقفتها التى لا هوادة فيها وتصدت لايران فارجعتها بالقوة عن هراة التى هي فى الواقع من بلادها الشرقية ، وبذلك كانت ايران مضطرة لوقف القتال الذى نشب بينهما الى عقد معاهدة صلح ، تخلت بموجبها عن هراة لافغنستان التى كانت تهم انجلترا لتخومها مع الهند ، وبذلك كان تخليها هذا لفائدة انجلترا .

وفى سنة 1289 هـ 1872 م حصل الاتفاق بين ايران وتركيا على الحدود المتاخمة غربا، كما حددت هذه الحدود شرقا بالاتفاق مع الافغان وروسيا وانجلترا (صاحبة الهند آنذاك) .

ومهما يكن فقد نعم حكم ناصر الدين شاه ببعض الاستقرار ، الذى ساعده طول مدة الحكم وهي خمسون سنة كاملة .

ولما توفى عام 1313 خلفه ابنه مظفر الدين ، فاضطربت الاحوال لعهده ، ووجدت الدسائس الاوربية ميدانها ؛ وربما كان لها يد فى هذه الاضطرابات ، التى اشتد فيها التنافس بين انجلترا وروسيا ، فتدخل كل منهما فى شؤون البلاد ، وتوفي مظفر الدين عام 1324 ، فتولى ابنه محمد علي الذى زادت الاحوال سوءا لعهده ، وانتهى التنافس الانجليزي الروسي الى تقسيم البلاد بين الدولتين عام 1325 هـ 1907 م فاخذت روسيا القسم الشمالي ، وانجلترا القسم الجنوبي ، بعد ما كانت كل منهما قد وضعت يدها بالعمل على نصيبها المغتصب قبل ذلك بسنة، وكان ذلك اواخر ايام الملك المتوفى، فقد كانت المطالبة بالحكم النيابي قوية مما جعل مظفر الدين يخضع لهذه المطالبة ، ويمنح البلاد حكمها النيابي سنة 1906 ، وكان ذلك لمواجهة هذه الفوضى التى وجدت فيها الدسائس الاجنبية حقلها الخصب ، وطبعا ان الحكم الدستوري لم يسر الدولتين المتنافستين على البلاد ، فما كان من انجلترا الا ان جعلت تحت حوزتها فى هذه السنة الاقاليم الشمالية ، على حين جعلت لها روسيا الاقاليم الجنوبية .

فلما جاء ابنه محمد علي وجد نفسه مضطرا الى الاعتراف بهذا التقسيم ، فكان ذلك فى 21 رجب من العام السالف الذكر ، وبعد ذلك اضطر الى حل البرلمان فى 20 جمادى الاولى عام 1326 فازدادت البلاد اضطرابا وهيجانا ادى الى خلعه فى عام 1327 الموافق تاريخه سنة 1909، بعد انقلاب حدث فى شوال 1326 ، فاقيم على العرش ابنه الصغير احمد شاه الذى ظل فى حكمه الى عام 1342 هـ 1925 م وفى اثناء هذه المدة كانت الحرب الكبرى قد وقعت ، فاحتل الروس عسكريا بعض الجهات ، وتمكن الاتراك من احتلال جهات اخرى من البلاد ، كما احتل الانجليز بجيشهم اقطارا اخرى كذلك ، ونشطت العمليات الالمانية في تاليب هذه الاقطار على الانجليز فصارت ايران ميدانا للتطاحن الدولي ؛ الذى انتهى بفوز الروس وتسلطهم على اقطار شاسعة من البلاد ، الى جانب انجلترا المتسلطة كذلك على اقطار اخرى ، ولما قامت الثورة البلشفية وانتهت بالنجاح ، تنازلت عما كان لروسيا بايران ؛ وبذلك صفا الجو لانجلترا ، فبقيت وحدها المتسلطة على شؤون البلاد ، فى الداخل والخارج ، حيث ادخلت ايران عصبة الامم ، وعقدت معها معاهدة اواخر سنة 1919 ، وكانت طبعا ، معاهدة مجحفة انتهازية من جانب الانجليز ، الذين اغضبوا الشعب الايراني ، وقام بحركته الوطنية يقاوم التدخل الاجنبي الذى كان ممثلا فى هؤلاء الانجليز .

وفى هذا الظرف شكلت وزارة رشيدة تولى رئاستها رجل فاضل عرف بصلاحه واخلاصه ، وهو ضياء الدين ، الذى اسند وزارة الحربية الى رجل عسكري ماهر ، تخرج من المانيا ، ثم ترقى فى الجيش ونال ثقة قومه بجده واخلاصه، وهو رضى بهلوي، الذى قوى امره واتجهت نحوه الانظار ، وشعر بدور خطير لابد ان يقوم به رجل شجاع مثله ، فما كان منه الا ان جعل ضياء الدين يتنحى عن الرئاسة التى تولاها هو ثم زين لاحمد شاه الذهاب الى اوربا ، وفى كونه بها اعلن ان الملك لم يعد صالحا للبلاد لاستهتاره وعجزه ، وبذلك حمل المجلس على خلعه سنة 1925 ، كما تقدم ، وبقي الشعب يفكر فى امره وكيفية الحكم الذى يختاره لنفسه ، ورئيس الوزارة قابض على شؤون البلاد بيد من حديد ، تاركا للامة أن تختار لها من يتولى الجلوس على عرشملكها او الجلوس على كرسي الجمهورية ان شاءت ، وكان قوم يرون الاستمرار فى الملكية وآخرون يرون استبدالها

بالجمهورية، واخيرا رجحت كفة الملكيين الذين نصبوا رضى بهلوي ملكا عليهم فى ابريل سنة 1926 ، ومات احمد شاه بعد ذلك بقليل ، وجعلت الملكية وراثية فى اولاد الملك المتوج ، الذى ما نسى صفته العسكرية الجدية ، فحكم البلاد حكما قائما على انجاز الاعمال انجازا سريعا واصلاح البلاد اصلاحا جذريا ، وعمل بكل ما فى وسعه ان تتخلص ايران من ربقة الهيمنة الاجنبية فاستطاع أن يسلك بها سلوكا حرا وان يختار لها اتجاها تمليه المصلحة الوطنية المجردة ، وظل هكذا لا يخلع عنه اللباس العسكري الى ان حصلت الحرب العالمية الاخيرة ، وبدات الاطماع تتجه من جديد الى ايران ، واخيرا كانت سنة 1941 تزحف فيها انجلترا على ايران من جهة وروسيا تزحف من جهة اخرى ، وبعيد التاريخ صفحته المشئومة ، فتحتل الدولتان ايران ، التى لم يشا ملكها أن يعلن الحرب الانتحارية على الدولتين المتيدتين ، وسرعان ما تنازل عن الملك لابنه شاه بور الامير ، الذى اصبح شاه ايران محمد رضى بهلوي وكان ذلك فى شعبان عام 1361 ، واعلن تشرشل نفي الملك السابق الى الهند حيث قضى نحبه ، ثم جيء بجثمانه الى القاهرة فشهدت الصلاة عليه بجامع كيخيا ، وانا طالب ، كما كنت رأيت الامير فى زيارته لكلية الآداب واستاذنا احمد امين يلقي محاضرة كان موضوعها « الوزارة » .

تطوان : محمد بن تاويت





امير القوافي جئت بالشعر هاديا
وخلفت فيـه الذكـر لله شاديـا

وسبحت خلاق البرية حينمـا
وجدت سنيات المعـاني بواقيـا

فهل عرف التاريخ فى الله شاعرا
يضاهيك ؟ لا والله لم نلق ثانيـا

فليتك جئت البيت تلقى جماله
على مكة البطحاء بالخلـد باديـا

ومن حوله العباد بالوجـد عكـف
يناجـون ربـا للخليقـة راعيـا

اذن لكتبت الشعر من وحي (احمد)
وصفت الدراري فى الزمان قوافيا

. . . . . .

حين راح « شوقي » ابان الحرب الكونية الاولى مختارا النفي الى ديار الاندلس ، وقد ساء ما بينه وبين صاحب القصر الخديوي ، الذى خلف «عباس حلمي» وكان شوقي شاعره الاوحد ، حط رحاله فى البلاد التى بلغها بنو امية وراء البحار . من ارض الاسبان . فى العدوة الاوربية بعد المجاز الافريقي . لقد ذهب ومعه مواجده فى الشعر وروعات بيانه . فلم يكد يطوف بآثار المسلمين فى تلك الديار النائية المفتان . وقد راى شواهدهم فى البناء الصاعد بمئذنة « الجرالدا » باشبيلية ، وفى قصر الحمراء والدارة الزهراء والمسجد الجامع بقرطبة على نهر الوادي الكبير فراى الطواحين الاسلامية القديمة وابراج الحصون الشواهق من دنيا حملة القرآن الفاتحين ؛ استلهم التاريخ الاعظم قصيدته السينية يعارض بها ابا عبادة البحتري ، التى قالها فى وصف ايوان كسرى . ولا يحسن دارس الادب العربي الحديث ؛ ان شوقيا كان يبتغي بالمعارضات التقليد ، فان هذا الراي فائل ولا ينهض عليه من دليل. وانما ارى ان شوقيا كان يريد ليظهر لمعاصريه ومن ياتي بعدهم . فى دهر الامم ؛ انه عارض الشعراء ليبزهم وليجري كما جروا وليسابقهم فى المضمار ؛ وهو قد سبق الجموع منهم ، الا واحدا فانه لم يستطع ان يتقدم عليه فى اية معارضة . وهو ابو الطيب المتنبي ؛ فاحب شوقي ان يعارض قصيدته الميمية التى يرثي المتنبي بها جدته فراح شوقي يرثي امه «تمراز» واذا به يظل دون المتنبي ، حتى النشور ؛ كما تظل الصقور دون النسور .

وقد تقاوى شوقي، تقاوى البحتري فى السينية وجاء موفقا فقال فى مطلعها :

اختـلاف النهـار والليـل ينسى
اذكـرا لي الهـوى وايـام انسى

حتى يقول :

وعظ البحتري ايوان كسرى
وشفتني القصور من عبد شمس

تلك سانحة غير مبارحة ، مست شعوري وانا بمكة فى بيت الله الحرام ، اجيل نظري فى جبالها المحدقة بها ، والمترامية على دراتها ، ذوات الحنين ، اجدها جبالا جلادا جرارا ، لكنها عطوف رفت منذ الف عام باجوائها الندايا ، على رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الرحمن عليه . ومن هذه الجبال تفجر ينبوعه الاعظم الذى روى الظماء فى الاداني والاقاصى .

ولقد جعلت وانا اشاهد هذه الاعالى السوامق ، ادير فى خاطري لشاعر العصر الحديث « احمد شوقي » ابياتا وقصائد فى التضرع والدعاء وفى الايمان بالقضاء وفى التامل والاستغراق ، وكلها فياضة المعاني بشعوره الديني . حتى وقف نـاظري على الجبلين الاخشبين المحيطين بمكة فهتفت بقول شوقي يخاطب الله سبحانه ويذكر الرسول .

سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الاولى

فجرت ينبوع البيان محمدا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

وانحط عقلي على بادرة العصر الصاعقة فى ايامنا ، التى هزت الكائنات وطارت نحو السماوات وهي القوة الذرية التى فجرها الانسان العاني . فوجدت كلمة «التفجير» التى جاء بها شوقي سباقة فى الدنيا بتفجير قوة هائلة الرجحان كانت للخير والبناء ولم تكن للشر والتهديم . وهي قوة الرسول الاعظم التى فجرها خالقها فدوى صوتها الناعم فى ارجاء الدنيا .

وبت اذكر شوقيا، وهو الخالد ابد الضاد، فأرى الروح الاسلامية تتجلى فى شعره بافضل حلة ما خطر فيها ، ناظرا عطفيه ، شاعر اسلامي قبله ، فى دنيا العرب والاسلام جعلتني امارس الموازنة بين شعره وبين الدين سبقوه . فوجدت شعراء بني امية قد الهاهم التفاخر والجدال ، وعلقوا بالسباب والشتائم واستغلت الستهم السياسة بالنقائض التى سلخوا اعمارهم بنظمونها فى الهجاء المقذع الطعان ، فلم يذكروا الله فى شعرهم ذكرهم دنياهم ولا استلهموا الفضائل الالهية والرسولية اللهم الا نفرا فى العهد الراشدي وفى مقدمتهم حسان بن ثابت الانصاري، الذى وقف شعره الاسلامي على المنافحة عن الرسول، وكان ذلك من حق الشعر على حسان وهو من الانصار الذين نصرت مدينتهم « يثرب » رسول العرب والانسانية كافة ، وقد نهضوا منجدين للرسول فى بطون الاوس والخزرج ، ووجد المسلمون المهاجرون عندهم الفؤاد الحاني والفياث الحالي والايواء الكريم . وقد اختار القدر للرسول وصحبه مضاجع الراحة الابدية فتوسدوا تراب المدينة المنورة . ولعل هذا كان كفاء ما صنع للاسلام اهل المدينة فى نصرة الرسول فكانت تجاليد الرسول معترفة لهم بهذا الجميل الذى لا يفنى .

وكيف استطعت ان ادير التعليل ، فان الشعراء كانوا كلما بعدوا عن عهد الرسول وصدر الاسلام قل وجود الروح الاسلامية فيهم . ولم يظهر الشاعر الاسلامي الذى عليه ان يحمل لواء الاسلام فى شعره ، ليعرف بانه رافع شعلته الدائمة ، وكان الشعراء فى العصر العباسي والاندلسي وعصر الانحطاط قد شغلتهم السياسة والفتن والتواقع على المديح ابتغاء الجوائز ، فتوزعوا فى البلاد وراء اغراضهم ومرت بهم عواصف ونكبات شغلتهم عن كل شيء حتى عن انفسهم .

وحين تضع موازين الدراسة والمقارنة بين الثلاثة الاعاظم فى الشعر العربي فى عصر بني العباس ابي تمام والبحتري وابي الطيب المتنبي ، نجد الاول شاعرا اسلاميا سياسيا ، ليس مدينا للتحدث عن الروح الاسلامية فى كل شعره ، وان تحدث طويلا عن البطولة فى شخص ابي سعيد الثغري قائد الحملات الاسلامية على بيزنطة قبل عصر سيف الدولة ونجد شعر شحنات لاهبة من الدفاع عن حوزة الاسلام فى قصيدته البائية التى وصف فيها فتح حصن عمورية، فوصف تحريقها ، وقيادة الخليفة الاعظم المعتصم للجيش زاحفا حتى صدم حصنها ودكه فصور ابو تمام هذه الحرب بانها ليست حرب العرب للروم وانما حرب الاسلام للشرك كله .

واما البحتري فشغله الزخرف فى اللفظ والمعنى ان يكون شاعر الاسلام ، ولم يخل شعره من النزعة الاسلامية والحفاوة بالدين ، ولكنه لم يستطع ان ينهض بهذا العبء الجسيم فى الشعر العربي خلال عهده الذى عاش فيه .

وجاء ابو العلاء المعري جبار الشعراء والفلاسفة بعد هؤلاء ـ ليحتل زعامة الشعر العربي فلـم يجـد الاسلام فى شعره مناه ، وان وجد العبقرية واللغة ، والفهم العميق والقدرة الفنية التى لا تضاهي ، فظل الاسلام محروما شاعره الاعظم المنتظر ، حتى جـاء شوقي شاعر عصرنا فوهب نفسه للاسلام وهي مفتحة الابواب على مصاريعها ، وكان ايمانه السليم مفتـاح هذه الابواب، وقد خلق شاعرا مؤمنا رضيا ، نولت الطمانينة على قلبه الشاعري الرهيب ، ولـم تكـن قصائده الاسلامية ولا ابتهالاته القوانت سوى فيوض روحية فى صميم الاسلام ، وراى جوال فى مشاهدة الآثار الاسلامية فى السماء والارض وخلال النفوس فى نطاق الفرد ودوائر المجتمع .

لقد كان ايمان شوقي الحار هو الذى دعاه ليكون شاعر الاسلام ، فبدا شاعرا صافيا ، لا صوفيا يفتـن بالقول ، او متواريا وراء الروح غيبـيا ، فشاقتـه «البردة» وهي قصيدة ميمية كبيرة نظمها الشاعر البصيري من شعراء عصر الانحطاط السيـاسي فى القرن السابع الهجري بعد سقوط بغداد تشوقا الى الرسول وابتهالا للخالق بداها بقوله :

امن تـذكر جيـران بذي سلـم
مزجت دمعا جرى من مقلـة بدم

فشاق شوقيا ان يجرى على غراراها فى قصيدة ميمية كبيرة اولها :

ريم على القاع بين البان والعلـم
احل سفك دمي فى الاشهر الحرم

ولقد جعلها شوقي لنفسه حلـة كالبـردة الرسولية ليلبسها ـ كما قلت فى شعري ـ فتجلله بالرضوان حتى الحشر . وتسبغ عليه الرحمة الالهية والثواب المستديم ، ولقد انطلق بانشادها صوت ملائكي حنون طالما شق اجواف الليالي من نحو ارض النيل ، فعم ارجاء الدنيا ، وتغلغل فى الاسماع القانتة ، بذلك الصوت الفياض من قدرة الخلاق الذى اطلقـه مـن حنجرة انسانة سماها اهلوها ـ فى تاريخ الفـن ـ باسم مبارك عرفه التاريخ منذ عهد الرسول .

وصاغ شوقي همزيته الدينيـة يعارض بهـا همزية البصيري ايضا ، ورفع فى شعـره جميعـه منارات الاسلام مثل اعلام وصوى فى طريق الادب العربي الكبير والشعر الاسلامي البانى للغة العرب ودين المسلمين .

ومارس شوقى فى شعره الاسلامي اثبـات العدالة الاسلامية التى ملأت الدنيا، وكان من توالي دابه التوحيد وتبيان القدرة الالهية ، عـلى الخلـق ، والاشادة بالعبقرية الخالدة التى تجلت فى رسالـة الرسول ، الذى اعطى العالم النظـام والسلام وعمـر القلوب بالايمان والتقوى . .

وظل الشعر الديني مرصودا ، خلال العصـور الاسلامية ليسلم قياده الى شاعر عصرنـا « احمـد شوقي » الذى دخل التاريخ من بابه الكبير ـ كمـا يقول الفرييون ـ والتعليل النفسي فى تحليل شعور شوقي حيال الاسلام ، انه منسكب الطبع والخاطر فى الروح . ومترامي الوجدان فى رحاب الايمان ، لم تسـود عقله وساوس الشكوك ، والريب التى دخلت حياة كثير من شعرائنا فى القديم والحديث فعطلت فيهم الناحية الاسلامية ، فقد كان قلبه مغسولا مـن الشك عامرا باليقين . . وكان عقله الوضاء صافيـا فاظل عقله على قلبه ، مثل اظلاله على بستان ، فلم يفـد عقله قلبه ، كما افسـد كثيرا من الشعـراء فى القديم والحديث ولست ازعم ان شوقيا تقـرب من معاصريه او بخاصة اهل مصر . حيث وجد ان الشعر الديني يروح بين اظهرهم ، فقال فيه قصيدة ، فان هذا المذهب فى دراسة الشاعر لا يجوز دليـلا ، ولا ينهض اتهاما .

لقد كان يحب الرسول فظهرت فى كلماته معالم الصدق والاجلال المتصاعد ، وكان شوقي يمزج شعره الديني بالمثل الاخلاقية ويبني به الامة وقد ابتهل الى الله بمثل هذه الابيات داعيا ومريدا .

سـالت اللـه فى ابنـاء ديـني
فان تكـن الوسيـلة لي اجابـا

وما للمسلميـن سـواك حصـن
اذا مـا الضـر مسهمـو ونـابـا

ومـزج الناحيـة التاريخيـة القديمـة بالحيـاة الحديثة للمسلمين .

يا رب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت امم من رقدة العدم
فالطف لاجل رسول العالمين بنـا
ولا تزد قومه خسفا ولا تـسـم

ولم يكن شعور شوقي الديني جديدا بعد رجعته من الاندلس ، وانما كان اقدم ، فانه كان يدعم الخلافة الاسلامية بنصر من بيانه واشاد بالحركة الكمالية اواخر الحرب الكونية الاولى فقال لكمال اتاتورك :

« يا خالد الترك جدد خالد العرب »

وتلك القصيدة البائية :

بسيفك يعلو الحق والحق اغلب
وينصر دين الله ايان تضرب

حشد فيها شوقي فى العهد التركي كل شعوره الديني نحو الخليفة والفتح والنصر .

وحين جاء شوقي ديارى الشامية قال فيها قصائد لم يمنحها الدهر مثلها علقا نفيسا يزين وجودها حتى الابد ، فقد عمل فيها قصيدة وصفية كانت عجبا عجابا فى الشعر العربي الحديث .

بداها بقوله :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم احداث وازمان

فنثر ازاهير اوصافه على دمشق بما يتعايا عنده الخيال دون التمثل . وراح يسابح سائح من الشعور الديني يجول خلال مسجد بني امية الدمشقي الذى بناه الوليد بن عبد الملك فوقف طويلا تحت قبابه وبين عواميده ، ونظر الى المنبر ، فقال له وقد جثم المنبر امامه تلقاء ضريح النبي يحيي :

ووقفت بالمسجد المحزون اساله
هل فى المصلى او المحراب مروان

تغير المسجد المحزون واختلفت
على المنابر احرار وعبدان

فلا الاذان اذان فى منارته
اذا تعالى ولا الاذان اذان

وفى معركة ميسلون التي نال فيهاالقائد السوري المشهور يوسف العظمة الشهادة بقنابل الفرنسيين الداهرين على ديار الشام فى معركة ميسلون بظاهر دمشق فى صحراء الديماس فسكب شوقي عليه تراتيل الدموع فى رثاء البطل العظيم .

ساذكر ما حييت جدار قبر
بظاهر جلق ركب الرمالا

تغيب عظمة العظمات فيه
واول قائد لقي النبالا

مشى ومشت فيالق من فرنسا
فلما زال قرص الشمس زالا

وشوقي يخاطب دمشق بنت الاسلام وربيبة الدين فى القافية التى رثى فيها شهداءها يوم ضربها الفرنسيون بقنابل الطائرات سنة 1926 للميلاد .

ألست دمشق للاسلام ظئرا
ومرضعة الابوة لا تعق

ولا يبنى الممالك كالضحايا
ولا يدنى الحقوق ولا يحق

ثم طرح فى هذه القصيدة بيته الخالد الذى سار «كعملة» الشرف فى ضمير الزمان ، لا تشترى بها الا الحريات :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة تدق

وتكاد لا تخلو قصيدة فى دواوينه الاربعة وفيما صنعة مدة اربع سنين صديقنا بالقاهرة الدكتور السوربوني محمد صوري ـ رئيس قسم التاريخ فى الجامعة المصرية الذى نشر كتابين كبيرين جمع فيهما شعر شوقي الذى لم يطبع فى دواوينه ولا عرفه الا خاصة اصحابه فسماه « الشوقيات المجهولة » وقد نظرت فى ذلك كله فلم اجد فيما صنع شوقي من شعر الا بدافع نفسه على مشكلة الاسلام يقبس منها اهوار بلاغته الخالدة . وفى تلك المجموعة الكبرى من شعره قل ان نجد قصيدة لم يذكر فيها الله والرسول والدين والاسلام والمروءة والتقوى والخلق مازجا كل ذلك بروائع الوصف ناضرات الحكمة وفصل الخطاب .

فاذا جاز الاساتذة الادب ان يقرروا فى التاريخ الادبي المعاصر وفى حواضر العربية والاسلام ، اسم الشاعر الاسلامي الاكبر ، فاني اجده (احمد شوقي) واطلق عليه لقب (شاعر الاسلام) .

دمشق ـ الدكتور زكي المحاسني

على هامش زيارة إفريقيا :

نظرة على أحوال المسلمين ببعض أقطار إفريقيا الغربية

للأستاذ أبي بكر القادري

ان الدارس لاحوال اقطار افريقيا الغربية يلاحظ ان نسبة المسلمين العددية تفوق غيرهم بكثير فهناك اقطار يبلغ المسلمون فيها تسعين في المائة كالسينغال وغينيا مثلا . واقل نسبة للمسلمين في بعض الاقطار كساحل العاج تبلغ خمسين في المائة .

وان امتزاج المسلمين العرب مع المسلمين الزنوج وتصاهرهم معهم ادى الى محو الفوارق وازالة المركبات وجعل المسلمين هناك يشعرون بارتباطهم الدائم باخوانهم في العالم الاسلامي يتألمون لالمهم ويفرحون لفرحهم . الامر الذي يخيف المستعمرين والصليبيين والصهيونيين . ويجعلهم يقراون الف حساب لمستقبل افريقيا المتحررة التي يخشون ان تصبح عمليا افريقيا الاسلامية .

وهذا ما يفسر الحملات التي يقوم بها التبشير المسيحي والمجهودات والاعانات التي تبذلها اسرائيل لتقوية العنصر المناوىء للاسلام ، ولتكوين اطارات كفوءة لا تدين بالاسلام حتى تبقى الاقطار الافريقية في قبضة يدها وحتى توقف المد الاسلامي الذي اصبح يهدد وجود الديانة التي مهدت للاستعمار وتشجعت من الاستعماريين وهو مايفسر استيلاء طائفة من المسيحيين والوثنيين حاليا على الحكم ببعض هذه البلدان رغم اكثرية سكانها المسلمين .

فالاسلام والمسيحية هناك في صراع خفي . والمسيحية تحاول ان تحل مكان الاسلام في افريقيا وهي تنفق على ذلك بغير حساب ، والمبشرون على اختلاف مذاهبهم سواء منهم الكاثوليكيين او البروتستانت نشطون كل النشاط في تشييد الكنائس وبناء المدارس وتوزيع الاعانات ؛ والاسلام لا يتلقى اية اعانة تذكر من البلاد الاسلامية وانما يدافع عن نفسه بنفسه او كما قال احد المعلمين الافريقيين : انه نور من الله يشق طريقه لنفسه رغم ما يتلقاه معتنقوه من عنت وحرب وارهاق .

ولسنا بصدد توضيح الاسباب التي جعلت الاسلام ينتشر بكثرة في اقطار افريقيا فقد تكفل بذلك الباحثون المسلمون والاجانب على السواء .

ولكني اود ان أؤكد بهذه المناسبة ان رسالة قادة المسلمين لا زالت مستمرة وان آمال سكان افريقيا الغربية المسلمين قوية في مساعدتهم لهم وامدادهم بكل ما من شأنه ان يحي عقيدتهم ويصون كيانهم الاسلامي. ان سكان كل الاقطار الافريقية يعانون كثيرا من المشاكل التي تتخبط فيها الدول المتخلفة . فزيادة على تخلفهم الاقتصادي وقلة الاطارات الفنية والتخلف الفكري لدى اغلبية المجتمع فان مشاكل اخرى عقائدية وفكرية يعاني منها السكان .

ان اغلبية المسلمين هناك ليس لهم من الاسلام الا الانتساب اليه فهم لا يدركون حقائقه وهم لا يستطيعون التعرف الى مراميه وتعاليمه ؛ وحتى اداؤهم للشعائر الاسلامية انما هو مجرد عمل تقليدي ؛ لا يتذوقون

روحه ، ولا يدرون حتى معنى الالفاظ والكلمات التي يتلونها او يتلى عليهم اثناء الصلوات وكل هذا ناتج عن انتشار الجهل وعدم معرفتهم للغة العربية (الا القليل) التي بها يتعبدون والتي بها نزل القرآن وبها يتلى عليهم .

لقد حضرت اداء صلاة الجمعة فى كثير من مساجد افريقيا الغربية : دكار ــ ابيدجان ــ باماكو ــ كوناكري فكان الخطيب يلقي خطبة الجمعة بلغة عربية ربما كان لا يدري لها هو نفسه معنى فاحرى السامعين والمنصتين وهذا ما يفقد لصلاة الجمعة حكمتها حيث انها ما شرعت وشرعت فيها الخطبة الا لارشاد المسلمين وتوجيههم فى حياتهم الدينية والدنيوية .

انه لا ينبغي ان ينكر ما قامت وتقوم به بعض الطرق الدينية كالتيجانية والقادرية وبعض الجماعات الاسلامية كجماعة فولتا العليا من دعوة الى الاسلام وتبشير به ولكن هذه الطرق نفسها فى حاجة الى من ياخذ بيدها حتى لا يبقى الاسلام محرفا وحتى تزول منه الاساطير والاوهام التي الحقوها به .

ولقد استطعت ان اجتمع مع بعض الشخصيات الشابة فى الاقطار التي زرتها فوجدتها متالمة من الاوضاع التي عليها اخوانهم متخوفة على مستقبل الاسلام هناك حيث ان التبشير يساعد اطارات ويكون مثقفين ويتبنى مدارس بينما المسلمين لا يلقون اية مساعدة جادة من اخوانهم لتكوين نخبة مسلمة شاعرة بمسؤولياتها مثل ما يعمل المسيحيون كما وجدتها متذمرة من اساليب الطرقيين وتعاليمهم التي يدركون انها اصبحت تنفر الافراد والجماعات الواعية من المسلمين . ولا تستطيع ان تقف امام التيارات والمذاهب والافكار المعاصرة والمنحرفة .

ويزيد من خطورة الوضع ان المدارس الرسمية الموجودة فى بعض الاقطار الافريقية كفولتا العليا يتصرف فيها ويديرها مسيحيون يعملون جهدهم ليكون المعلمون بها من المسيحيين وحدهم ويضعون العراقيل امام التلاميذ المسلمين ، كما يقومون بتادية الشعائر الدينية امام التلاميذ حتى يقلدوهم ويسيروا على منوالهم يضاف الى ذلك ان بعض معلمي اللغة العربية فى بعض الاقطار يعانون اضطهادا ومتاعب ويعرضون للطرد من الوظيف اذا ما بدرت منه اية بادرة تتعلق بالنشاط الاسلامي ، ولقد اتصلت بي جماعة من هؤلاء وعبرت لي عن المها من الاوضاع التي تعانيها ، واسفها من فقدان المساندة من اية حكومة اسلامية .

ورغما من الدعاية التي تقوم بعض الحكومات الافريقية فان اللغة العربية لا تلاقي مناصرة ولا مساعدة ولا تأييدا بل بالعكس من ذلك ينظر اليها كشبح مخيف رغم تطلع الكثير من الطبقات الشعبية لتعليمها لابنائها حيث يعتبرها الافارقة المسلمون من تراثهم الوطني باعتبارها اللغة التي نزل بها القرآن ، والتي يتوقف على معرفتها اداء الواجبات الدينية ومعرفة أحكام الدين .

ومن الغريب الذي يجب ان يذكر بهذه المناسبة ان اسرائيل محاولة فى التودد الى الافارقة وتحايلا فى استجلاب رضاهم اقترحت على الجماعة الاسلامية بسراليون ان تزودها بمعلمين للعربية ولكن الجماعة ادركت المغزى من هذا العرض فرفضته . كما ان السفير الاسرائيلي قدم للجماعة الاسلامية بفولتا العليا جملة وافرة من المصاحف القرآنية ولكن الجماعة المذكورة لم ترض ان تتلقى هذه المنونية من اسرائيل. وهذا كله يبين بوضوح ان اسرائيل تشعر بالحاجيات التي يتطلع اليها المسلمون فتريد أن تؤثر عليهم ما من شانه ان يكسبها عطفهم .

كما تبث دعايتها من طرق اخرى وذلك باعطاء القروض وتاسيس الشركات واعارة الخبراء والفنيين وبذل المنح لبعض الطلبة والطالبات الافارقة الذين يوجدون بفلسطين ويتجاوز عددهم المائة والعشرين .

ووسط هذا الخضم من المشاكل التي يعانيها المسلمون يضاف عنصر جديد هو النشاط الذي تقوم به الجماعة الاحمدية التي تتستر بستار الاسلام ولكنها تعمل على تحريفه واعطائه معاني وتفسيرات جديدة .

فالجماعة الاحمدية نشيطة كذلك ولها امكانيات مالية ضخمة لسنا ندري من أين تتلقاها فهي تعمل على بناء بعض المساجد وهي تؤثر حتى على النخبة من الافريقيين وكمثال على ذلك اذكر ان الحاكم العام لكامبيا التحق بالجماعة الاحمدية ، واهمية منصبه تجعله يؤثر فى العامة ويقدم المساعدات للمتمذهبين بمذهبه، كما ان جماعة مهمة من المسلمين فى سراليون اعتنقت هذا المذهب وصارت تدعو اليه . وتوجد جماعة اسلامية اخرى بفولتا العليا تدعو الى ترك صلاة الجمعة وتدعي انها ليست بواجبة ، وتعمل جاهدة على نشر فكرتها ، ورغم مواجهة المسلمين لها وقيامهم ضدها فانها سائرة فى خطتها تعمل بجد وتكسب الانصار ولسنا نجد تعليلا لذلك الا ان يدا تعمل على محو معالم الاسلام والقضاء على شخصيات الجماعة الاسلامية .

ورغما عن هذا كله فليس هناك ما يدعو الى اليأس ولا الى التخوف الكبير على الاسلام فالمسلمون رغم جهلهم وتخلفهم وانتشار البدع والافكار السخيفة بينهم والحروب المسلطة عليهم من مختلف الجهات رغما عن هذا كله فهم متمسكون باسلامهم معتزون بديانتهم معتبرون ان الاسلام هو مظهر شخصيتهم والمحافظ على كيانهم .

فهناك طائفة من الشباب المثقف تتقد غيرة على الاسلام وحبا فيه وتعلقا به وتعمل جاهدة على بث الوعي الاسلامي الصحيح ، ولقد حكى لي احدهم وهو الدكتور صامبا من « كامبيا » ان شباب المسلمين المثقف شعر بعد الاستقلال بمركزه الاسلامي وأصبح مدفوعا بنوع من التحدي لاظهار شعائر الاسلام فصار يؤدي الصلوات ويؤدي صلاة الجمعة بالاخص في مظهر ينم عن روح صادقة واخلاص مكين . كما اجتمعت بطائفة أخرى من الشباب المسلم المثقف بابيدجان تشعر نفس الشعور وتبذل نفس المساعي.

ولكن هؤلاء وغيرهم من الجماعات الاسلامية ينتظرون العون ، ويستغيثون بالدول الاسلامية لتمدهم بالمساعدات والاعانات ، حتى يبقى الاسلام قويا حيا في قلوب معتنقيه ، وحتى يستطيع ان يصمد امام الهجمات التي تهدف الى تحطيمه واغنائه .

ان حكومات الدول الافريقية (الا القلة القليلة) لا تهتم بمشاكل المسلمين ولا تعيرها ادنى اهتمام بل ان البعض من هذه الحكومات يعمل معتمدا على تنويم الشعوب وابقائها تتيه في لجج الجهالات ، تسيطر عليها شخصيات مستغلة ، وتتركها في غفلة عما يقصده خصوم الاسلام من محو الاسلام . واذا كانت توجد بعض الكليات الجماعية بدكار وابيدجان فان اغلبية الملتحقين بها من الجماعات التي لا تهتم بقضايا الاسلام او من معتنقي المسيحية او الوثنية .

بل توجد بين هؤلاء وبين الذين يدرسون العربية والاسلام هوة عميقة يعمقها ويقويها خصوم الاسلام .

ومن جهة اخرى فان حكومات الدول الافريقية التي زرتها مسيطرة سيطرة كلية على مقاليد الامور ولا تسمح بادنى معارضة تذكر وهذا ما جعل بعض الجماعات الاسلامية القليلة التي لا تسير في ركاب حكوماتها لا تستطيع القيام باي عمل بنائي لصالح الفكرة الاسلامية وهو نفسه ما جعلها تنتظر المساعدة والمعونة والتأييد من الدول والجماعات الاسلامية في الخارج .

والظاهرة التي تثير الانتباه هي الفقر الضارب اطنابه بتلك الربوع ، فليس هناك مشاريع اقتصادية يقوم بها المواطنون بل ليست لهم امكانيات تجعلهم يقومون بها .

اما التغلغل الاسرائيلي فهو يختلف باختلاف الاقطار فبينما هو قوي في ساحل العاج مثلا وبالاخص في الميدان الاقتصادي اذا به لا يظهر في غينيا مثلا ، على انه يكاد لا يوجد يهود مقيمون بهذه البلاد وعلى فرض وجودهم في بعضها فهم قلة قليلة ، ووجودهم الحقيقي يتجلى في الميدان السياسي ومحاولة التاثير على الحكومات الافريقية بما يسمى ببذل المعونات وان كانت هذه المعونات تقل وتكثر حسب اهمية الاقطار.

ويبدو لي ان الدول العربية لو نظمت امرها واحكمت اساليب عملها لاستطاعت ان توقف هذا التغلغل الصهيوني في بعض الاقطار الافريقية على الاقل ، خصوصا تلك التي تتلقى مساعدات خفيفة واعانات رمزية كطبيب او فني مزارع .

وكيفما كان الحال فلقد اظهرت لي الاتصالات التي تمت بها في هذه الاقطار وبالاخص مع الجماعات الاسلامية ان اهم ما يتطلع اليه المسلمون هناك ، هو مساعدتهم في الميدان الثقافي والديني ، وذلك بتزويدهم بمعلمين واساتذة للغة العربية والديانة الاسلامية وتخصيص منح دراسية لتلاميذهم ومساعدتهم بكتب دراسية ومصاحيف قرآنية ، زيادة على منح جماعاتهم الاسلامية الموثوق بها مساعدات مالية لتأسيس المساجد والمدارس القرآنية ، التي يرون ضرورة الاهتمام بهما حتى يستطيعوا ان يقاوموا الدعاية التبشيرية التي يقوم بها الرهبان والتي يتلقون عليها مساعدات متدفقة من مجمعهم الكنسي . هذا المجمع الذي سبق له ان عقد جلسة استثنائية سنة 1962 لدراسة الاوضاع في افريقيا خاصة امام انتشار الاسلام وعجزهم عن مقاومته بل فشلهم الذريع في نشر المسيحية . وعلى اثر هذا الاجتماع ظهرت حركة لبناء الكنائس ومدارس التبشير وعيادات العلاج المجاني الى غير ذلك من وسائل الدعاية .

سلا : أبو بكر القادري



اللغة العربية ونحوها

للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

(9)

تحدثنا في الحلقة السابقة عن القتل الذى تسببه امور دنيوية ، واعطينا لذلك امثلة نعتقد انها كانت كافية لتوضيح الامر وتثبيته في الاذهان ، سيما وان هذه المسألة التى اثيرها جديدة عندنا في لغة الضاد ، لم يتطرق لها بهذا الشكل ، في علمنا ، باحث بعد .

لكنه بقي ان نتحدث الآن عن القتل الذى يسببه الدين ، والدين يلعب دورا خطيرا في حياة الناس ، ومن الاشياء التى تقوم عليها حياة الناس لغتهم ، واول شيء في حياة الناس يتأثر بالدين هي اللغة ، واللغة وتر البشرية الحساس يرن للمس الخفيف ويصرخ للوقع الشديد .

ولهذا فاول من حس بالدين الاسلامي الحنيف في مكة والمدينة لغة القوم كفارا معاندين او مسلمين جدد ، بدات لغتهم تنفعل باول آية نزلت على الرسول العربي الكريم يوم صعد بهذه اللغة بكلام لم تسمعه بعد : « اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ». علمت ان كلمة الرب يجب أن تتسع فتشمل الاها واحدا رب السماوات والارض ، لم يلد ولم يولد، ثم علمت ان كلمة الرب يجب ان يتقلص معناها ، فلا تشمل الا الواحد القهار الذى ليس كمثله شيء ويزيل من مضمونها صاحب الابل وسيد الارض ومالك الدار والمتحكم في رقاب الناس بحق وبغير حق .

وهكذا صارت اللغة تتأثر بكل ءاية تنزل على الرسول الكريم . القرآن لم يات فقط بدين حنيف قويم ، وشريعة سمحاء ، ومبادىء انسانية رفيعة ، وخلق مثالي شريف ، بل اتى ايضا باسلوب واضح، بين، ووسع معاني الفاظ ، وحدد معاني كلمات اخرى ووضح تراكيب ، وارسى محسنات معنوية ولفظية لا حصر لها على قواعد متينة مضبوطة ، وقنن امورا لغوية كانت من قبل فوضى لا حدود لها .

فضل الدين على اللغة كبير ، ولابد لكل دين من لغة ، والا فكيف تقوم الحجة على الناس وتشهد عليهم حتى جوارحهم . ومن حسنات دين الاسلام التى نغفل عنها هي وجود هذه اللغة العربية التى حملت القرآن الى اصقاع الدنيا النائية وبلغت الشريعة الاسلامية وعلوم الدين الى ذوي الالباب من ابناء البشر بشكل لم تستطع ، وما كانت لتستطيع اية لغة اخرى ان تفعل مثله . فهنيئا للاسلام بهذه اللغة وهنيئا لهذه اللغة بهذا الدين ، وفقنا الله لخدمتهما .

(10)

ان الالفاظ التى قتلت، وكان سبب قتلها الدين، كثيرة : منها مفردة النافجة وهو الشيء يضاف الى مال الرجل فيعظمه .

كانت العرب تقول في الجاهلية اذا ولد لاحدهم بنت : «هنيئا لك النافجة ، لانه ياخذ مهرها اذا كبرت، فيضمه الى ماله ، فينتفج .

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، لان هذا الرسول العظيم ، وهو سيد المصلحين لايرضى ان تكون المراة تجارة تروج بين الناس ، ولا سلعة تباع، ولا متاعا يمتلك وانما هو انسان له حرمته ، حقوقه حقوق الرجل ، وواجباته واجباته .

ومن هذه الكلمات المقتولة : « المرباع » ، ربع الغنيمة كان ياخذه الرئيس في الجاهلية و«النشيطة» و«الصفي» و«الاتاوة» و«المكس وهي الفاظ تهم الحياة الاقتصادية للامة ان استمرت مستعملة فيها كانت

بمثابة الداء في الجسد السليم فأصدر الدين حكمه عليها ، فأماتها .

ولم يمت الالفاظ العليلة في عالم الاقتصاد فقط، وانما حارب ايضا الالفاظ التي كانت تسيء الى ادب السلوك فأماتها بما لديه من قوة مطاعة من طرف امة متطلعة الى حياة سعيدة طاهرة .

فزال من الاستعمال قولهم : « انعم صباحا وانعم ظلاما » و«أبيت اللعن» .

وكان الدين والساهرون عليه لا يتحرجان من الضرب على يد من يخالف هذا الامر . فاذا لم تطهر اللغة التي تحمل تعاليم الدين وطقوسه ، عسر الوصول الى الغاية المثلى التي يتوخاها .

وكما كان الدين يميت الفاظا كان يحيي اخرى ، فيبعث فيها روحا جديدة قوية تبعث فيها النشاط والحيوية، وكما كان الدين يخمد الفاظا نابهة ، كان يشهر بالفاظ مهملة منسية ، فيطلقها من غفوتها ، لتسير بين القبائل مشهورة معروفة .

وكما كان الدين يقلص معاني الفاظ عديدة من دلالتها ، كان في نفس الوقت يوسع مدلول مفردات اخرى . لتشمل ميادين جديدة ، لم تكن قبل بزوغ الدين الاسلامي الكريم .

هذا الاثر البليغ في اللغة العربية من طرف ديننا الحنيف ، رفع من شأن هذا اللسان فجعله يسمو من لهجة محلية تكاد لا تعدو الجزيرة العربية الى لسان عالمي رفيع ، ولله الحمد وله الشكر .

(11)

لقد احيا القرآن الكريم ، كما سبق ان وضحنا الفاظا كانت نسيا منسيا واماتت مفردات عديدة كانت تصول وتجول في الميدان ، تسير في القبائل العربية حاملة معناها مؤدية مدلولها . وما كان القرآن ليقتصر على ذلك ، بل عمل زيادة على هذا في توحيد معاني الفاظ لا تحصى ، واطلقها في الناس واضحة الدلالة ، معروفة الاستعمال ، فعم استعمالها سائر البلاد التي تتكلم لغة الضاد ، في معنى شامل موحد ، فلم تكن الكلمات : « نفض ، ومسطور ، وعتي ، ومارب ، وفشل ، وزبل ، وسقاية ، وحماء ، ومسنون ، وغرام، وصرح ، وبعل ، ومقاليد ، ووتر ، ومعكوف ، والت، وزعم ، واعجاز ، ووبيل ، ومرقوم ، ورابية» ، معروفة في سائر اجزاء الجزيرة العربية بله في البلاد العربية الواسعة الاطراف . بل كان استعمالها منحصرا في البقعة التي كانت تسكنها قبيلة حمير ولم تكن المفردات : العنت ، وآناء ، وفور ، ومراغم ، وفرقان ، ووليجة ، وعيلة ، وغمة ، وحصيد ، وملتحد ، وهضم، وهامد، وثاقب ، واجداث ، واواب ، وورز ، ودهاقا ، وزرابي ، ومسغبة ، معروفة الا في البقعة الارضية التي كانت قبيلة هذيل تعيش عليها .

اما الالفاظ : شطر ، وحصور ، وملبس ، وسرابيل ، وابلاس ، والسرد ، ودحور ، وركن ، واسفار ، وثاقب ، وكنود ، فانها وان كانت معروفة في القبائل الاخرى ، معرفة تتفاوت في العمق والاتساع ، فانها كانت في قبيلة كنانة معروفة ، متداولة بين جميع افراد القبيلة لا يجهلها فرد منها .

والقرآن الكريم ، الذي شرف هذه القبائل ، فاختار منها هذه الالفاظ حيث استعملها في اسلوبه الناصع ، اصبغ عليها صفة الشمولية اذا لم نقل صفة القدسية .

(12)

ان القرآن الكريم ، كما سبق ان قلنا ، ساعد كثيرا على توحيد لغة العرب . . فبعد ان كانت بعض القبائل تستعمل الفاظا خاصة بها ، يغيب مدلولها في كثير من الاحيان عن افراد القبيلة المجاورة لها ، صارت تتبنى مفردات القبائل الاخرى فتدخلها في استعمالها اليومي ، كما صارت في نفس الوقت تستعير من القبائل الاخرى المجاورة لها او البعيدة عنها ، الفاظا لم تكن تعرفها ، فتدخلها في الاستعمال موسعة بذلك ثروتها اللفظية ، ومعلية من شأن لغتها التي ، بفتح صدرها للدخيل ، ترتفع من لهجة محلية ضيقة مقيتة ، الى لغة سيارة صالحة لحمل الافكار ونقل العلوم ، واستيعاب كل ما يحتاج اليه الانسان في حياته التي يحياها .

فلم تكن قريش تعرف معنى هذه الالفاظ : شرد، وارذال، ومحسور ، وحدب ، وودق ، وشرذمة ، وريع ، وشوب ، وقطر ، واستفتني ، كما كان يعرفها افراد قبيلة جرهم ، ولم تكن قريش تعرف لكلمة « آنية » المعنى الذي كان متداولا بين افراد قبيلة مدين . ولم تكن قريش تعرف كلمة « افضى » كما كانت قبيلة خزاعة تعرفها حتى استعملها القرآن بالمعنى الاصلي الذي كان لها في هذه القبيلة .

وماكانت قريش ولاالقبائل الاخرى تستعمل كلمة «مقيتا» كما كانت تستعملها قبيلة مذحج . وكانت

قبيلة اليمن تنفرد دون غيرها من القبائل العربيـــة باستعمال كلمة « لهو » مقابل « المرأة ».

جاء القرآن صارخا بهذه الالفاظ في آياتــه البينات واضطرت قريش ومعها سائر العرب ان تعرف لهذه الالفاظ هذه المعاني ، فوحد بذلك لغتهم ورقاها كما وحد صفوفهم وطهرها .

هذا وان كثيرا من الناس لا يريدون ان يمنحوا لمثل هذه البحوث العناية التي تستحقها ، رغم الحجج التي ما فتئت ادلي بها في كل مناسبة . ولن اقــف جهودي بحول الله الى ان تاخذ هــذه الدراســات مكانها اللائق بها ، وما ذلك اليوم ببعيد .

(13)

لقد احيا القرآن الكريم الفاظا وامات اخرى كما رايت وحدد من معنى كلمات ووسع استعمال آخــر ، لكنه زياده على هذا وذاك عرب كلمات لا حصر لها فلم يستنكف القرآن على ادخال الفاظ كثيرة في زمــرة اللغة العربية من لغات اعجمية . وهكذا استعار كلمة الصراط الموجودة في فاتحة الكتاب من اللغة اللاتينية واستعار كلمات : مقاليد ، وابليــس ، واساطيــر ، وانجيل ، وحوت ، ودرهم ، وزنجبيل ، وسندس ، وسيماء ، وفردوس ، وقسـط ، وقنطرة ، ومرجان ، وياقوت ، من اللغة اليونانية . واستعار الالفاظ : ادرك ودين ، وربا ، ودان ، واختطاف ، وحـسر ، وخمر ، وخياط ، وحاشا ، وحرب ، وحشرة ، وحصد ، وحكيم وحنان ، وحيوان ، وخاتم ، وخرطوم ، وفك ، وفرض ، وفرعون ، وفرقان ، وفاسـق ، وقـربان ، وقـس ، وقصر ، وقطران ، وقيوم ، وقيامة ، وكأس ، وكوكب ولات ، ومثقال ، ومدينة ، ومرج ، والمسيح ، ومسكين وملكوت ، ونبي ، من اللغة الآرامية . كما استعار من اللغة العبرية الكلمات : آمين ، وجدت ، (في بعض القراءات) وجهنم ، وحج ، وسبت ، وسبح ، وشيطـان ، كمـا استعار من الفارسية : اباريق ، واستبرق ، وبرهان ، وبستان ، وبلبل ، وجناح ، وسربـال ، وســروال ، وطبق الى آخر ما استعار من الالفاظ من مختلــف اللغات شرقا وغربا .

وبعد هذا الامر الذي نبقى امامه مبهوتين ، وهذا العمل الجبار الذي احيا اللغة العربية ورفعها من لهجة مهملة الى لغة سيارة ، احب ان اقول للسادة الذين يرون حرجا في تعـريب الالفـاظ العلميــة وغيــر العلمية التي نحن في امس الحاجة اليها ان القــرآن الكريم وهو كتابنا العربي المقدس الذي اعجز العـرب الفصحاء ببيانه لم ير حرجا في ذلك فهل تريد ان يكون انتاجنا من اللغة اقوى عربية منه واسلم اسلوبا .

(14)

النحويون على الخصوص ، وعلماء اللغة علـى العموم ، يقفون في كثير من الاحيان حجرة عثرة في تقدم اللغة .

ونسوا ان اللغة وسيلة للتفاهم وآلــة من آلات التعامل بين الناس ، وكل وسيلة تتطور بتطور الامور التي تعالجها ، وكل آلة تتغير بتغير الاشيــاء التــي تتعامل معها . ولذا يجب على اللغة على كــل لغــة ان تتطور ، وان تتغير تبعا لتطور الحياة وتغير وسائـل العيش فيها .

والنحاة وعلماء اللغة انــاس يصعب تطورهــم ويعسر تغيير آرائهم للسبب البسيط وهو انهم شبوا وشابوا على امور تعلموها ثم اتقنوها فاحترموها ، وهم يجدون الما لا يوصف عندما يشاهدون تغييرا بما الفوه وقــدسوه .

فبقدر ما تكون اللغة متطورة ، بقدر ما يكــون الساهرون عليها جامدون متحجرون .

اللغة تتطور وتتغير لانها جزء لا ينفصم عن حياة متطورة متغيرة ، سنة من سنن الله وعلماؤها ونحاتها وديعة من ودائع التاريخ ، وسنة الوديعة ان تكــون صامدة لا تأبه لتغير ولا ترضى بتطور .

خلق الله البشر الذين خلقوا بدورهم افعالهم ، فتفننوا في تنويعها ، ومنهم من اتى بافعال خارقة للعادة اشتهروا بها ، ومن بين هؤلاء الممثلة الفرنسيــة الشهيرة (Brigitte Bardot) التي بهرت العالم بحركات وافعال اطلق عليها ذوو الالباب ، من علمــاء امريكــا (to Bardot) وكان المفروض ان يعرف هذا الفعل في فرنسا اولا ، ما دامت الممثلة ، فرنسيــة اصلا وفصلا ، فيطلق الفرنسيون على كل من يــأتي بافعال وحركات تشبه حركاتها (Bardoter)

لكن علماء اللغة في فرنــا اقاموا الدنيا واقعدوها محرمين هذا الفعل ، مانعين استعماله في لغتهم لانهم يعتقدون ان دخوله في الفرنسية الفصيحة تشويه لها ومساس بكيانها واهانة لاصلها الشريف الذي وجب ان يترفع عن سفاسف الدنيا .

هم يعرفون ان الحركــة موجــودة . معروفــة باوصافها لدى العام والخاص ، ولكنهم يسيرون ضد تطور الحياة ، فيتركون الفعل الحقيقي الموجود بدون مسمى يدل عليه ، بدعوى المحافظة على كيــان اللغــة وهذا منتهى التزمت نعوذ بالله منه .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي

للأستاذ محمد بنعبد الله

(2)

غادر الوفد المغربي عاصمة الاتحاد السوفياتي التي قضى بها يوما كاملا يتفقد معالمها ، ويتعهد احوال المسلمين بها الى مدينة لنينغراد الواقعة على شاطىء بحر البلطيق . وقد عهد منظموا هذه الرحلة الى أن يكون هذا السفر لهذه المدينة بواسطة القطار ، لانه يتوفر على اسباب الراحة الهادئة ، والهناء المطمئن، ووسائل الترفيه .

وقد قطعنا الليل كله والقطار ينهب الارض نهبا الى ان استيقظنا صباحا على مدينة الليالي البيض التي طالما تغنى بها الشعراء ، ولهج بجمالها ذوو الاحساس المرهف . وخلدها الرسامون فى لوحاتهم الفنية الرائعة.

وجدنا فى استقبالنا جماعة من مسلمي هذه المدينة فى زيهم التقليدي ، فاظهروا حفاوة بالغة، وتقديرا عظيما لضيوفهم المغاربة .

كان البرد قارسا ، فلا يقوى احد على احتماله ، والمدينة يغلفها ضباب من السحاب الابيض الرقيق ، والعمال يركضون الى أوراشهم فى عزم وارادة ، ودؤوب ونشاط .

وكنا نستقبل ، او تستقبلنا ، مدينة لنينغراد الساحرة . التي تقع على ضفاف النيفرا (Nevera) بحدائقها الغناء ، وجنانها الناضرة ، ومناظرها الخلابة وشوارعها الواسعة ومتاحفها الخالدة ، وبناياتها الجميلة التي تعتبر من اجمل بنايات مدن العالم .

فمدينة «لنينغراد» تعتبر بحق مدينة التقدم التقني، والتطور العلمي . كما انها مركز هام من اهم المراكز الصناعية فى بلاد الاتحاد السوفياتي .

وهي ، ايضا ، مدينة التضحية والفداء ، ومهد الثورات الثلاث للاتحاد السوفياتي . فقد عاشت حصارا لم يعرفه التاريخ من قبل حيث دام تسعمائة يوم ، واستشهد فيه نحو سبعين واربعمائة الف من سكان هذه المدينة، ولاتزال المقبرة هؤلاء الشهداء التاريخية «بيسكاريفسكويي» الى يومنا هذا تشهد بالسنوات الستين الصعبة من الحرب العالمية الثانية .

* * *

كان الوفد المغربي على موعد مع برنامج حافل هيأته الادارة الدينية ، التي تشرف على مسلمي الاتحاد السوفياتي الاروبي وسيبيريا ، وهذه الادارة تقع بمدينة « اوفا » عاصمة جمهورية باشكيريا الاشتراكية وتعتبر اكبر مركز للثقافة والصناعة ، ويتألف سكانها الاصلاء من الباشكير والتتر .

فى مدينة القصور والمتاحف

لابد للوافد على هذه المدينة من زيارة قصورها الفخمة ، وجامعاتها العامرة ، وتماثيلها الرائعة ، وجسورها القوية المنيعة ومتاحفها الخالدة .

على أن مدينة لنينغراد ليست مدينة المتاحف . والاحجار المنقوشة ، والمآثر التاريخية فحسب ، بل انها مدينة شابة جميلة مغرية ... فقد واجه المهندسون السوفياتيون مشكلة من اكبر المشاكل ، وهي خلق لنينغراد جديد يتفق مع البنايات القديمة ، وتاريخها التليد ، وقد تغلبوا على هذا المشكل ، فضواحي المدينة تحولت الى احياء عصرية متحركة بزغت للوجود بعد حرب ضروس أضفت على المدينة جمالا ما بعده من جمال .

وبعض هذه القصور قد تحول الى معاهد وكليات وابرزها جامعة أ . أ . جدانوف ، التي تعتبر اقدم معاهد التعليم العالي بالبلاد ، فتاريخها وثيق الصلة بتطور

العلم والثقافة في روسيا ، كما أنها مرتبطة بعدد من الاسماء اللامعة في هذا القطر ، اذ منها تخرج السيد «لنين» عام 1891 من كلية الحقوق ، ويتابع بها اليوم نحو 14.000 طالبا ، وتحيط بها عدة معاهد ، وأندية الطلبة ومطاعم تضفي على الحي حيوية دافقة ، ونشاطا متفتحا ، كما أن بها كلية للصحافة ، وكلية اللغات وكلية المستشرقين ... وقد اتصلنا بكثير منهم وهم يتكلمون بعربية لا بأس بها .

وانه ليستحيل على الزائر لمدينة لنينغراد أن يمر مر الكرام على قصر « اسمولني » دون أن يغشاه، ويقف على معالمه الناطقة ، ويعطيه ما يستحقه من الاكبار والتقدير ؛ لذلك كان أول قصر قمنا بزيارته في جولتنا العابرة لهذه المدينة



في قاعة الاجتماع ببلدية لنينغراد

وقصر «اسمولني» عبارة عن قصر عظيم شامخ كان المجلس الرئيسي للقيادة الثورية في عام 1917 حيث حولت بنايته الى قيادة عليا ، ومنه قاد «لنين» الثورة، فطفنا بساحاته وباحاته ، وانحائه وأرجائه، كما غشينا الغرفة الخاصة التي كان يستعملها «لنين» فرأينا مكتبه وكرسيه وأدواته الخاصة .. وهي ادوات بسيطة جدا . وينظر اليها السوفياتيون على انها مظهر لعظمة الرجل، وانها من اقدس المقدسات التي لابد من زيارتها والوقوف على رسومها ومعالمها .

وقد قمنا بعد هذه الزيارة بالتوجه الى مقابر «بيسكاروف» وهي مقابر للشهداء الذين سقطوا ضحية الهجومات الالمانية قياما بواجبهم الدفاعي نحو وطنهم حيث بلغ عدد تتلاهم في يوم واحد ما يربو عن 470 الف ضحية ، مات جلهم جوعا ، وعريا ، وبردا . وقد حدثنا رئيس مجلس هذه المدينة لدى زيارة وفدنا الى المجلس البلدي الذي يقع ازاء كنيسة اسحاق الشهيرة عن اعمال التخريب التي لقيتها مدينة لنينغراد غداة الزحف الالماني الرهيب ، وان المجلس البلدي وحده وقعت عليه تسع تنابل ، ومع ذلك فقد احتفظت المدينة بطابعها الاصيل، وعمل رجال الدولة على ترميمها والسناية بها حتى اصبحت الان تحتوي على تسعة عشر مركزا اداريا وعدة معاهد ومؤسسات في مختلف المجالات .

ولقد كان لنا موعد آخر مع زيارة للقصر الشتوي (1762) الذي كان سكنا قديما للملوك القياصرة الروس وهو من اقدم البنايات الموجودة على الطراز القيصري، ومن خلف المهندس المقتدر السيد «راستريلي» .

اصبح اليوم هذا القصر الشتوي من أكبر متاحف العالم ، ومقر الفن العالمي ، فهو يضم نحو مليونين من التحف والاعلاق فالمجموعة النفيسة التي يحتفظ بها هذا المتحف تتكون من نفائس الثقافة العتيقة التي وردت على الاتحاد السوفياتي من الشرق والغرب .

ومن الروائع الفنية الخالدة في مدينة لنينغراد كنيسة اسحاق العظيمة العالمية ، ذات الشهرة الواسعة الحافلة بالتحف والآثار وروعة البناء وضخامته ، وقد حولت هذه الكنيسة الى متحف يضم مجموعة من فسيفساء القرن التاسع عشر ، كانت نتيجة عمل 460 الف يد صناع من البلاد الروسية ، وقد صبغت قببها بمآت الكيلوات من الذهب الابريز ، وفيها من الاحجار الكريمة مالا يقوم بمال الدنيا ، وترجع هندستها الى القرن التاسع عشر حيث دام بناؤها نحو اربعين سنة ، وتعتبر ثالث ثلاثة الكنائس في العالم ، وتؤوي في نفس الوقت خمسة عشر الفا من الزوار .

والحق اننا اندهشنا لروعة الفن المعماري الذي بنيت به هذه الكنيسة العالمية الفذة التي تترك الزائر مشدوها واجما ازاء ما تزخر به من ثمين المرمر والرخام المذهب،والاقبية السامقة التي تسافر فيها العيون ، وتحسر من بعد اقطارها .

وفي طريقنا الى مسجد لنينغراد الجامع عرجنا على الخزانة العظيمة التي تضم نحو خمسة عشر مليون مجلدا ، وتتلقى يوميا ستة آلاف نشرة ، وتبلغ مخطوطاتها العربية نحو الالف ، وقد طفنا بجنبات هذه المكتبة بالقسم الشرقي يرافقنا شاب مستشرق يتقن العربية ، وله المام بمعظم المخطوطات الشرقية لهذه

الخزانة . وقد وجدنا آثارا ادبية وعلمية وغيرهامحفوظة فى هذه الخزانة .

وقد كشف المستشرق السوفياتي البروفسور «شرباتوف» عضو وفد الصداقة السوفياتية العربية النقاب عن وجود ما يزيد عن اثنى عشر الف مجلد من المخطوطات العربية المدونة بالخط العربي فى معهد شعوب آسيا فى مدينة لنينغراد وقال هذا الاستاذ فى محاضرة القاها مؤخرا على مدرج جامعة دمشق وتحدث فيها عن الدراسات العربية فى الاتحاد السوفياتي ، ان مكتبات المخطوطات العربية فى الاتحاد السوفياتي قد توسعت خلال السنوات الاخيرة ، ومن اكبر هذه المكتبات مكتبة معهد شعوب آسيافى مدينة لنينغراد .

وفى مدينة لنينغراد صدرت ثلاث مجلدات تضمنت وصف عدد من المخطوطات العربية الادبية والتاريخية والجغرافية الموجودة فى مكتبتها ، وايضاح ما تحتويه بين دفتيها من علوم وتراث عربي ، ومن بين المخطوطات التي تم نشرها مؤخرا عدة كتب ، من بينها كتاب حققه احد العلماء السوفييت عن رسالة احمد بن فضلان حول رحلة قام بها الى «بولغا» فى الاتحاد السوفياتي خلال القرن العاشر لفائدة الدولة العباسية ، وهذه المخطوطة كما هو معلوم، قيمة جدا، لما فيها من المعلومات والفوائد التي انفردت بها ، والملاحظات الدقيقة التي لم يكذبها الزمن رغما عن تطورات الاحداث اليوم فى عالم الاتحاد السوفياتي ، ثم انها تظهر الصلات القديمة القائمة بين الشعوب العربية والاتحاد السوفياتي . وقد كان الاستاذ زكي الوليدي قد نشر جزءا من هذه الرحلة فى عام 1939 وبعضها الآخر بمكتبات الاستانة .

وقد وجدنا كثيرا من العلماء الشباب فى بلاد الاتحاد السوفياتي يبدون اهتماما كبيرا بدراسة الادب العربي ، ووضع رسائل علمية عنه لنيل الدكتوراه ، وهم يتكلمون بلسان عربي مبين .

فى مسجد لنينغراد

فى وسط هذه المدينة الصاخبة ، وفى صميم بلاد شيوعية ملحدة ، يوجد مسجد جامع خاص بأداء الشعائر الاسلامية لمسلمي هذه المدينة الاروبية ، انه مسجد يوحي بروحانية الشرق فى مظهره ، وعظمة الاسلام فى مخبره ، انه يقع فى مركز رائع من صدر المدينة ، لقد احتشدت امامه فى انتظار الوفد جماعة من مسلمي هذه المدينة ، وصالحي المومنين ، وقلوبهم تطير شوقا الى اخوانهم فى الدين ، واعينهم تفيض من الدمع فرحا باجتماعهم مع وفد يذوب وجدا للقياهم ، وتحمل عنت الرحلة ، وبعد الشقة ، وشط المزار لربط وشائج القربى ، واحياء اواصر العقيدة والدين .



مسجد لنينغراد

كان منظر هؤلاء الشيوخ الذين كانوا فى رحاب المسجد ينتظرون الوفد المغربي لاداء صلاة الجمعة فى مسجد لنينغراد مؤثرا ؛ فانهم لم يخفوا انفعالهم باجتماعهم باخوانهم فى الدين ، وتأثرهم العميق ، ولا سيما منظر المسلمات اللائي كن متلفعات بمروطهن ، وهن يلوحن ، فى استحياء ، بمناديلهن تحية بمقدم الوفد الاسلامي الذي وجهه مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده .

اخترقنا صفوفا متراصة ، والعيون تتطلع فى لهف وشوق، والدموع تجول فى المآقي، فالمسلمون هناك، وفى مدينة لنينغراد ، راوا ، وبعضهم قد تراخى به حبل الزمن ، وبلغ من الكبر عتيا ، ان الاسلام لازال بخير ، وانه اقوى رابطة بين اعضاء اسرة الاسلام .

قام سماحة المفتي الشيخ السيد ضياء الدين بباخانوف بتقديم اعضاء الوفد ، مشيدا بالروابط الاسلامية المتينة ، ومنوها بالمواقف الحاسمة التي يقفها امير المومنين جلالة مولانا الحسن الثاني لصالح امته والجماعة الاسلامية ، والاعمال الخالدة التي يقدمها للاسلام في قرنه العشرين حيث انه سمح ـ حفظه الله ـ للوفد الذي يترأسه وزيره في عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد أحمد بركاش الذي يمتاز بسمعة طيبة ، وذكر جميل ، واحدوثة حسنة ، ان يزور مسلمي هذه الاقطار .

وفي مدينة لنينغراد التي تحمل اسم نبي الشيوعية «لنين» وبعد اذان الظهر قام فضيلة الاستاذ السيد عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب خطيبا فوق منبر هذا الجامع العظيم الذي اكتظت جنباته بمآت المصلين المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون .



السيد المفتي ضياء الدين يقدم الوفد المغربي الى جمهور المومنين بمدينة لنينغراد

لقد حدثهم ، سيادته ، عن مبادىء الاسلام ، واسباب ظهوره ، ومواقف الرسول الاعظم في تبليغ دعوته للناس كافة ، كما اشار الى اثر العقيدة الاسلامية في نفوس اتباعه ، واستماتة المسلمين في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وقد اعطى نماذج من الصحابة الذين اوذوا في سبيل عقيدتهم ، والذياد عن عقيدة الاسلام ، وحماية الدعوة المحمدية .

ثم قام السيد باباخانوف بترجمة الخطبة التي القيت باللغة العربية الى اللغة الازبكية .

ويلاحظ بان جل المسلمين كانوا يصلون بأحذية من الجلد الاسود الرقيق الذي يرتفع الى الركبتين ، ولعلها اثر من آثار فرسان المغول .

وبعد اداء مراسم الصلاة ، والشكر لله ، انفض الناس وتفرقوا في امل ورضى ، وهم يودعون ضيوفهم في ايمان وحرارة ، وصدق واخلاص ، انهم سعداء بلقاء وفد مومن ، نشقوا فيه نسمات الايمان الندي ، واليقين الراسخ ، والحب الصادق لدينه ووطنه وملكه.

وبهذه المناسبة اقام الامام بداره المتاوحة للمسجد مأدبة غذاء اكراما للوفد المغربي ، حيث حضرها مسؤولون عن الادارة المركزية للشؤون الدينية لهذه المدينة ، وعقبها تفضل معالي الوزير بتقديم هدية مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني الى مسلمي آسيا الوسطى واوربا وسيبيريا بالاتحاد السوفياتي ، وهي عبارة عن المصحف الكريم الذي أمر صاحب الجلالة وزارة الاوقاف بطبعه ومجموعة من الكتب التي قامت بطبعها هذه الوزارة وغيرها .. مما يبعث المحبة والتقدير ، فكان مصحف الحسن الثاني يوضع على الراس والعين ، ويقبل في تجلة واكبار وخشوع .

ولا ريب في ان الهدية التي قدمها الوفد المغربي الاسلامي الى مسلمي الاتحاد السوفياتي وآسيا الوسطى باسم صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ذات مغزى عميق ، واثر بالغ ، ودلالة لها معناها وابعادها .

لقد اشعرت المسلمين هناك بان مولانا أمير المومنين وحامي حمى الملة والدين يهتم بأمور المسلمين، ويعتني بتربية عقائدهم وتهذيبها ، كما يتعهد برعايته تنمية الوعي الاسلامي في نفوسهم مما زاد تعلقهم به ، وحبهم له ، وراوا فيه راعيا امينا ، ومخلصا متفانيا في خدمة الحركة الاسلامية في كل صقع من أصقاع المعمور.

تجلى ذلك حينما كنا نغشى كل مجمع ، وندخل مع بعض الاوساط الاسلامية كل مكان ، فنتحدث اليهم حديث المتطلع المشوق الى معرفة ذات شؤونهم الدينية، ثم نقدم اليهم تلك الهدية ــ باسم جلالته ــ والتي كانت نورا من الحق يهدي به من يشاء من عباده ، وهو «مصحف الحسن الثاني» ، فكانت خير عهد بيننا وبينهم واوكد ميثاق واثقنا به اولئك المومنون الصادقون المخلصون الذين وجدوا في وفد امير المومنين مفيضا لخواطرهم الجائشة ، ومتنفسا لعواطفهم المتاججة .

كانت دموعهم ودعواتهم تشي بما يعتلج في نفوسهم من لواعج الحب والتقدير ، وصادق الود والاخلاص لامير المومنين ، وسبط النبي الامين .

وكفى وفد صاحب الجلالة فخرا ومجدا انه حمل هدية صاحب الجلالة الى مسلمين متطلعين لشؤون دينهم ، ومعرفة حقائق الاسلام على وجهها الصحيح.

وحسب سيد البلاد انه اضاف بطبعه لكتاب رب العالمين ، وتوزيعه في انحاء العالم منقبة جلى تضاف الى مناقبه العديدة الاثيرة التي تخلد مآثره علىصفحات الخلود .

الى طشقند :

المسافة الفاصلة بين مدينة لنينغراد الاروبية ، ومدينة طشقند الاسيوية عاصمة جمهورية عزبكستان نحو خمسة آلاف كيلومتر ، اي المسافة التي تفصل تقريبا بين مدينتي الرباط ونيويورك ، فلابد من قطع هذه الابعاد بواسطة الطائرة ، والطائرة تستغرق خلال رحلتها الطويلة الشاقة نحو احدى عشرة ساعة . وهذا مما يشق على النفس ، ويبعث القلق والقنوط ، لكن رحلتنا بواسطة طائرة عظيمة من نوع «تيبوليف» جعلت رحلتنا في منتهى الراحة والاطمئنان، اذ استطاعت ان تطوي هذه الابعاد السحيقة في مدة خمس ساعات بعد توقف ، دام ساعتين ، بمدينة «تشيلا بينسكي» التي تعتبر من اكبر مدن سيبيريا .

لقد بدت معالم هذه المدينة تظهر لنا من الطائرة، اذ كانت الانوار المضيئة تلمع في جل مدنها وقراها حتى ليخيل اليك انك في بلد غير سيبيريا التي يعرف الناس عنها ما يعرفون .

واذا ذكرت ، سيبيريا ، فان النفس تتجه الى ان هذا البلد يمتاز بطبيعة قاسية ، وصعوبة المناخ، ووعورة الجبال ، اذ تجلله الثلوج طوال السنة ، وانه كان منفى سحيقا لمعارضي الانظمة الروسية في مختلف عهودها ، لكن الحقيقة تختلف عن هذا كل الاختلاف ، فالى جانب معسكرات العمل التي يزج بالمسجونين والمحكومين عليهم فيها ، توجد ايضا ، مدن كبيرة حديثة ذات طابع عصري ومصانع ومعاهد للبحوث كما أن بها سدودا لتوليد الكهرباء وحقولا غنية بالبترول. ومناجم الذهب والماس ، والفحم والتصدير زيادة على الغابات الواسعة ، والاحراج الغنية التي تمثل ثروة خشبية ضخمة .

ويوجد بهذا القطر الفسيح اكبر مشروع لتوليد الكهرباء من المياه في العالم ، وهو مشروع سد «انجرا» الذي تتدفق منه المياه بقوة وغزارة ، وحول هذا السد تقوم مصانع قطع الاخشاب ، والورق ، والالومنيوم.

لقد أخبرنا مرافقونا بأن بسيبيريا عدة مؤسسات علمية تقوم بأبحاث في الذرة والكيمياء والاقتصاد والبيولوجيا والجيولوجيا .

ان سيبيريا مركز هام للتجارب واجراء البحوث العلمية التي تتيح استغلال الثروات البشرية والطبيعية للاتحاد السوفياتي .

وجدنا بها جوا رائقا معتدلا ، فاننا في بداية الصيف ، والصيف عندهم قصير جدا ، وقد تصل حرارته ، احيانا ، الى 37 درجة مائوية حيث تشرق الشمس ، ويسيل الثلج ، ويذوب الصقيع .

وبعد هذه الفترة القصيرة ، والتوقف في هذه المدينة اقلعت الطائرة بنا متوجهة الى ارض آسيا الى جمهورية اوزبكستان وعاصمتها طشقند بعد أن عبرت جبال الاورال الشاهقة المنيعة .

وفي أرض ذات روابي خضر ومروج ناضرة . ومراع خصبة ، وحدائق غناء نزلت بنا الطائرة فوق مدرج مطار طشقند ذات الطابع الشرقي وعاصمة آسيا الوسطى التي تعد من كبريات المدن السوفياتية .

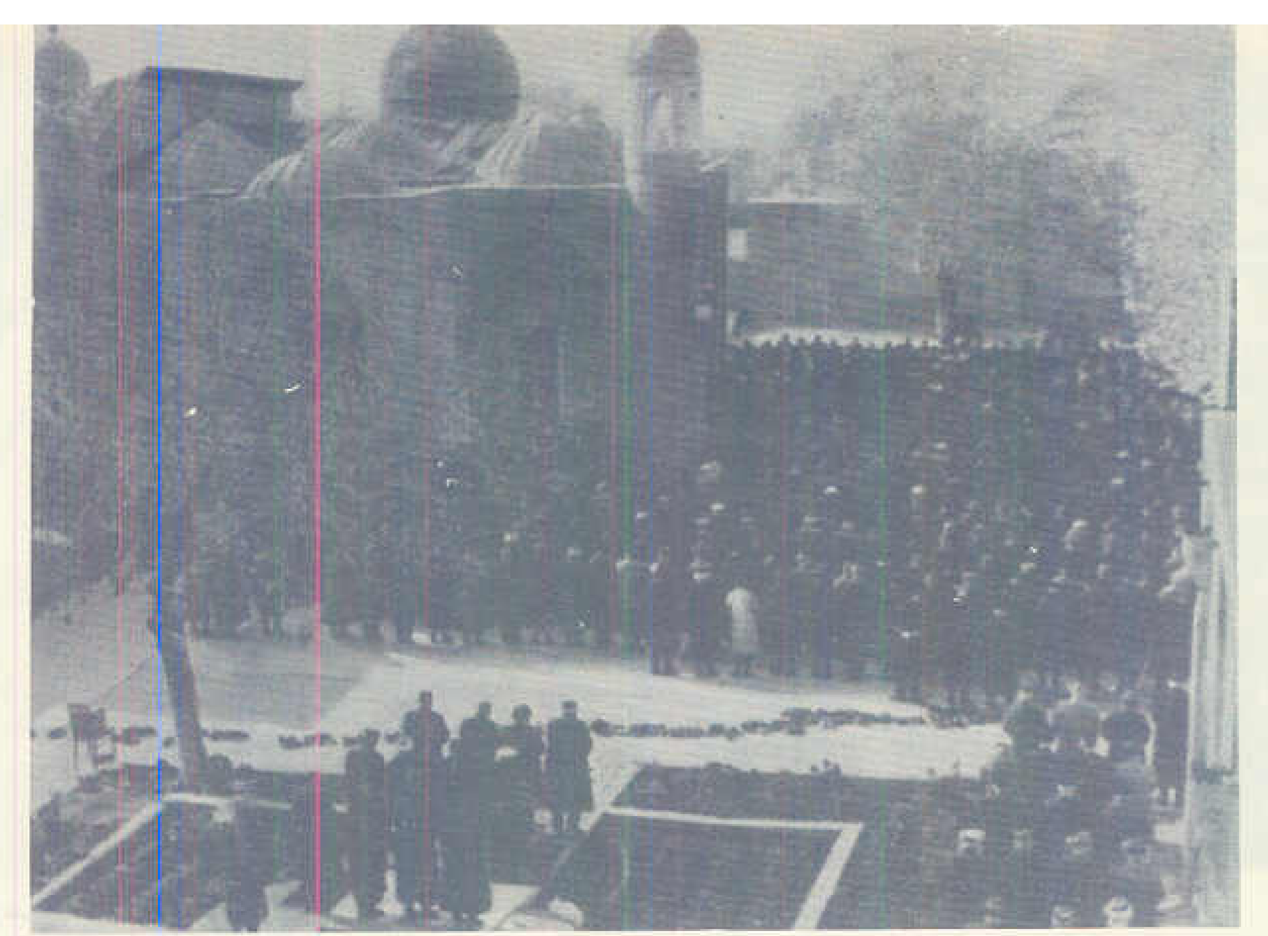
لقد وجدنا في استقبالنا مسلمي هذه المدينة ورؤساءها فأقبلوا على الوفد مرحبين ومهنئين بسلامة الوصول ثم توجهنا في سيارات خاصة مخفورة برجال الامن الى قصر خارج المدينة تحف به الرياض والغياض، وتجوس المياه خلال ذياره ، ويكاد جو هذه المدينة يقرب من جو مراكش عندنا في ايام الربيع .

لقد حدثونا عن مدينة طشقند ، ومعناها باللغة العربية مدينة الاحجار لاجل جريان انهارها المشهورة ، وقالوا بأنها كانت مدينة في عداد المدن التي بلغت في القرن السادس عشر مستوى عاليا من الرفاهية وبلهنية العيش ، واتسعت هذه المدينة من جديد بعد ان اضعفها

وصول الوفد المغربي الى مطار مدينة طشقند

المساكن الجديدة التى شيدت فى طشقند عقب الزلازل





صلاة الجمعة فى جامع ((طلاشيخ)) حيث يكتظ داخل المسجد بالمصلين ويقوم اللاحقون بالصلاه فى خارج البناء

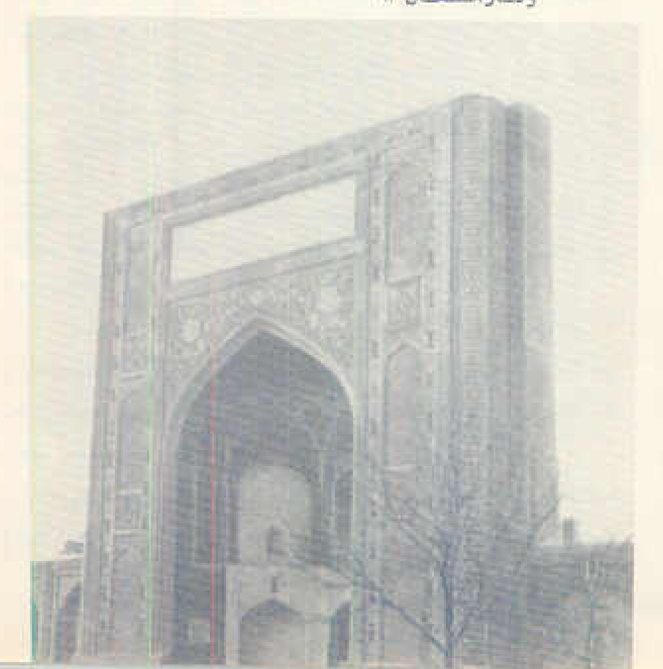
اداء صلاة العيد فى جامع جوبان أتا بمدينة طشقند





هكذا يستقبل المسلمون ضيوفهم بباب مسجد « طلاشيخ » بطشقند

مدرسة « براق خان في طشقند وهي الآن مقر الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان »



السيد ضياء الدين يرحب بالوفد المغربي في مدينة طشقند



الغزو المغولي في دولة تيمور ، وكان اسمها القديم : شاح ، باللغة المغولية وبدلها العرب لما فتحوا هذه البلاد سنة 55 هـ تحت قيادة سعيد عثمان باسم شاش ، والعلماء القدامى الذين تخرجوا منها يعرفون بالشاشي كالامام الكبير محمد بن اسماعيل القفال صاحب محاسن الشريعة ، وابنه ابي القاسم صاحب التهذيب ، ونظام الدين الشاشي .

وشيدت بطشقند في النصف الثاني من القرن الخامس عشر منشآت اسلامية دينية كبيرة أعيد بناؤها فيما بعد ، واستمر في طشقند في القرن السادس عشر بناء منشآت ضخمة اغلبها دينية تالفت منها مجموعة معمارية .

وبقيت من هذا العهد مدرسة براق خان ، وضريح الامام ابي بكر محمد القفال الشاشي احد ناشري الاسلام فيما وراء النهر في القرن الرابع هـ المتقدم الذكر وقد زرنا قبره يوم وصولنا الى هذه المدينة .

وحينما غزاها في عام 1865 الجنرال تشيرنايف باسم قيصر روسيا كانت صغيرة ملتوية الطرقات معظم مبانيها من اللبن ، ثم ما لبث المستعمر أن بنى بجانبها مدينة جديدة تضم الادارات الحكومية والثكنات العسكرية على غرار غيرها من مدن روسيا .

والطراز السائد في المباني يتكون فيها من طابق واحد تحيط به حدائق صغيرة ، وهذا راجع الى طبيعة الارض نفسها اذ ان هذه الاراضي داخلة ضمن الزلازل التي تحدث عادة بكثير في هذه المنطقة ، فقد ورد في التاريخ ان مدينة طشقند القديمة قد دمرها زلزال عنيف، اتى بنيانها من القواعد منذ اثنين وعشرين قرنا .

وقد ضربها اخيرا زلزال مروع في عام 1965 ترك اهلها يعيشون مأساة مفجعة من أروع مآسيها التاريخية .

وقد زادت مساحة طشقند، خلال السنتين الفارطتين باربعة آلاف هكتار ، وهذه الزيادة ناتجة ، كما ذكرنا، عن نكبة 1965 وعن الهزات الارضية التي تحدث من وقت لآخر ، وبما ان مركز الزلزال والهزات يقع وسط طشقند ، فقد تقرر تشييد جميع البنايات الجديدة في الضواحي ، وتحويل بنايات وسط المدينة الى حدائق ومنتزهات .

وتعتبر طشقند اليوم من أكبر المراكز الصناعية والعلمية في الاتحاد السوفياتي . وهي أول مدينة بين مدن الجمهوريات المتحدة في آسيا الوسطى من حيث عدد سكانها اذ يقطنها أكثر من مليون نسمة .

وقد غدت اليوم من أكبر المراكز الصناعية والثقافية في آسيا الوسطى ، ان طشقند من حيث منظرها العام انما هي مدينة حديثة حسنة التنظيم ، حاوية لجميع المرافق ، تغرق شوارعها في الخضرة ، وتؤلف مسارح المدينة وقصورها للثقافة ومعاهدها وحدائقها الظليلة وبركها الصناعية مجموعات هندسية رائعة .

* * *

بعد أن اخذنا قسطا من الراحة ، توجهنا الى الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان ، حيث امَمنا اولا مسجد طلاشيخ لاداء الصلاة ، وقد وجدنا هذا المسجد العظيم غاصا بجموع المومنين الذين اكتظت بهم رحابه ، وبعد اداء تحية المسجد ، قام السيد ضياء الدين بباخانوف ، كعادته ، خطيبا امام هذه الحشود من رجال العلم والدين الذين كانت الشوارع ، خارج المسجد ، تضيق بهم ، فرحب بالوفد الاسلامي ، وقدمه للحاضرين بأسمائه ، وأشاد بالمواقف التاريخية التي عرفها التاريخ الحق للمرحوم مولانا محمد الخامس طيب الله بالرحمة ثراه ، وخلفه ووارث سره صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حفظه الله وايده، كما اشار الى الاحتفالات العظيمة التي أقيمت في المغرب بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة على نزول القرآن الكريم .

وقد لاحظنا بأن السيد المفتي ضياء الدين خطيب مصقع لكلماته وقع عظيم في نفوس المسلمين ، وله دالة كبيرة على قومه ، يرسل كلامه القوي ، فتشعر صادقا بانه يخرج من القلب ليقع في القلب ، فكان ، سيادته ، ملء العين والنفس والشعور والوجدان ، وقد أبدى من الحفاوة والتكريم لملك المغرب ، وشعب المغرب ، ووفد المغرب ، ما يحفى القلم دون توفيته بعض حقه ، وتضيق مجالات التعبير عن تصوير شطر من حقيقته.

وقد رد معالي الوزير على هذا الترحيب الجم ، والعناية البالغة ، والاحتفاء الكريم بكلمات تضمنت معنى الاخوة الاسلامية ، والرباط الاسلامي المقدس ، وذكر الحاضرين بأن المسلمين اخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وانه لا فرق لعربي على عجمي الا بالتقوى ، كما حملهم ، معاليه ، تحيات صاحب الجلالة ملك المغرب الذي عمل ويعمل ، حفظه الله وأيده ، على تقوية الروابط الاسلامية ، وتاكيدها ، وبعث الوفود المختلفة الى شتى الاقطار الاسلامية في أنحاء العالم ، كما بلغهم تحيات الشعب المغربي المسلم الذي يتسقط اخبار المسلمين واحوالهم في هذه الديار .

في مكتبة الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى ..

(يتبع)

الرباط : محمد بنعبد الله



اصبح العالم الجديد يعتمد على التنظيم والتخطيط ، ولن يستطيع اي مجتمع عصري ان يتحرز من هذا الشرط اذا اراد ان يكون في مستوى التقدم والتطور المعاصر ، ولهذا فالتخطيط هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق اي تطور واي ازدهار .

وعندما يتحدث رجل الدولة المعاصر لابد ان يتحدث بلغة الارقام عما انجز وما سيحقق من اهداف، فاللغة الاديولوجية لا تكفي وحدها الا اذا اعتمدت على ارقام واحصائيات وما يدخل في عمل التخطيط ، ولهذا لابد من ثلاثة اشياء لتدعيم هذا العمل وهو لا يتحقق الا في ثلاثة اقاليم :

(اولا) فلسفة قوية تكون ارضا صلبة يقف عليها التوجيه .

(ثانيا) بحث علمي منظم ومركز ، يحلل الامكانيات ويضمن الشرائط ، ويوضح الطريق .

(ثالثا) أطر واعية تنفذ بحماس ، معتمدة على الذكاء والتجربة ووضوح الطريق والحماس المتدفق الخلاق .

ولا نريد في هذا الموضوع ان نبسط موضوع الحاجة الفلسفية ولا قضية الاطر الواعية ، وانما نتناول جانبا من جوانب الموضوع وهو جانب البحث العلمي ...

ان البحث العلمي ليس معناه ترديد التقدمات العلمية في مختلف المجالات ولكن معناه خلق المعرفة وتطوير العلم ، واستغلال المعطيات البيئية والعالمية ، والادبية والمادية لتطوير الانسان والسمو به ، ولتحقيق هذه الغاية يجب تكوين مجلس وطني للبحث العلمي تتمثل فيه سائر المؤسسات الاقتصادية لتعمل بناء على تخطيطات مدروسة للبحث العلمي الذي ينسق كل الجهود في الميدان الاقتصادي والعلمي والتقني ليغذيها وتغذيه ايضا ، على أساس تآزر جهود المسيرين والمفكرين معا ، ولهذا فان البحث العلمي متوقف على استغلال الامكانيات الفكرية والاقتصادية والتقنية لتعمل في تآزر وتنسيق ، حتى يستطيع المفكر ان يجد ميدانا للتطبيق ، ويستطيع الخبير ان يعتمد على تفكير العالم ، ولذلك فان من الواجب على البحث العلمي ان يعمل مع المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية للبحث عن الشخصية البيئية ومساعدتها على التطور والنمو ، ثم يعمل على ربط طاقة البلاد بعجلة التطور الانساني عامة .

وفي المغرب يجب ان يتجلى عمل البحث العلمي في تطوير اساليب العمل والبحث في تنسيق ومؤازرة عدة معاهد في البلاد وما تزال عديمة الاتصال فيما بينها كمعهد باستور والمعاهد العلمية الطبية والمعاهد الفلاحية مثلا ، التي تعمل منفصلة عن مجالاتها الحيوية وعمل رجال الفكر ورجال الاعمال .

ولا شك ان للبحث العلمي اتجاها ثقافيا عريقا لان البحث في العلوم الانسانية عنصر هام لاكتشاف الشخصية القومية وتركيز الاتصال بين المجتمع والطبيعة .. وكما يرتبط البحث العلمي بهذا الموضوع يرتبط ايضا بالاشعاع الثقافي ، ولذلك فمن واجب الباحث في هذا المجال ان يكون مثقفا واعيا قبل ان يكون متخصصا ، حتى يستطيع ان يحقق هدف البحث الذي يغذي المجتمع بانتاجه وتوجيهه ، ويغذيه المجتمع بتطوره ونموه في حلقة مستحكمة ، ولا يمكن لأي جامعة ان تنهض الا على اساس البحث العلمي الذي يجعلها في مستوى التطور والتاثير على مجرى الامور وتطور الاتجاهات سواء في المختبر او في المجتمع ، كما ان البحث العلمي يرتبط بالقوى الاستهلاكية في الجامعة التي تطور الامكانيات الذهنية للاستاذ والطالب لتعين على تحسين النوع البشري وتطوير انتاجه .

الرباط : الحسن السائح



- 2 -

في منتصف شهر مارس 1968 ابتدات مهمة الوفد المغربي لمؤتمر العالم الاسلامي في القارة الافريقية ، وكانت هذه المهمة تستهدف ربط الاتصال بالشعوب الافريقية ، بصفة عامة ، والجماعات الاسلامية المنتشرة في ربوعها ، بصفة خاصة والعمل على خلق وعي افريقي بقضية فلسطين للحصول على تاييد الشعوب الافريقية لتحرير الاراضي المقدسة التي احتلها الصهاينة في حرب يونيه 1967 .

وقد بدا الوفد بزيارة جمهورية السنغال التي وصلها مساء يوم الجمعة 15 مارس والتي قضى بها زهاء عشرة ايام تخللتها زيارة كامبيا التي قام حاكمها العام بزيارة لبلادنا في هذه الايام والتي قضى بها الوفد اربعة أيام، وبعد عودة اعضاء الوفد الى السنغال توجهوا الى جمهوريات غينيا وسيراليوني وساحل العاج والنيجر وفولتا العليا وباماكو التي كانت نهاية مطافهم بافريقيا .

واذا كان اعضاء الوفد قد لقوا بعض الصعوبات في القيام بمهمتهم في بعض الاقطار كغينيا التي لم يكن من الممكن التنقل في ارجائها والاتصال بابنائها ومنظماتها الا عن طريق الحزب التقدمي الغيني والرئيس سيكوتوري الذي خص الوفد بمقابلة حارة وحدثه حديثا مؤثرا صريحا مضمنه ان غينيا لن تتوانى في انقاذ الاراضي العربية المحتلة ومناهضة الصهيونية لان ذلك يدخل في خطة غينيا الرامية الى محاربة الاستعمار الجديد والامبريالية فانهم وجدوا على العكس من ذلك ، الطريق معبدة في بلدان اخرى كجمهورية السينغال وساحل العاج والنيجر وكامبيا وفولتا العليا بفضل المساعدة الثمينة التي قدمتها سفارتنا المملكة المغربية في دكار وابيدجان وعلى راسها الاخوان الجليلان الفاضل بناني وعبد العزيز بناني ومساعدوهما وافراد الجالية المغربية الذين يتمتعون بتقدير كبير وسمعة طيبة في مختلف الاقطار الافريقية وفي مقدمتهم السادة آل بنسودة في كامبيا ومكوار في مدينة طوبى بالسنغال وغيرهم كما يرجع الفضل في تيسير القيام بالمهمة الى بعض الجماعات الاسلامية كما حدث لنا في سيراليوني وفولتا العليا والى بعض الشخصيات الافريقية التي كان السيد رئيس الوفد قد حمل عناوينها معه وقد استطاع اعضاء الوفد الاتصال بجميع المسؤولين السياسيين والاداريين والمشرفين على المنظمات الاجتماعية والحزبية وهيآت الشباب وزعماء الطرق الدينية ، كما اتصل الوفد بالسادة رؤساء الجمهورية في السنغال وسيراليوني وغينيا وفولتا العليا ومالي ونوابهم في حالة تغيبهم عن البلاد كما وقع في ساحل العاج والنيجر حيث اجتمع الوفد بالسيد الحاكم العام في كامبيا الموجود حاليا في بلادنا لقضاء خمس واربعين يوما للراحة واستجمام ووزراء الخارجية والداخلية والتربية والاشغال العمومية والبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية والانباء في غالبية الاقطار ورؤساء مجالس النواب في غينيا والنيجر ومالي وزعماء

الطوائف الدينية وشيوخ الزوايا الصوفية وقادة المنظمات والجماعات الاسلامية واسقفي دكار وابيدجان وعمال الاقاليم فى السنغال وغينيا وسفراء لبنان والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية فى بعض الاقطار وبعض الشخصيات المستقلة من الشباب المثقف الواعي كالدكتور سامبا وعبد الكريم سنغور بكامبيا وابناء الشيخين عبد العزيز وابراهيم نياس فى السنغال .

ورغم هذه الاتصالات العديدة ، فقد عكف اعضاء الوفد على حضور اكبر ما يمكن من المهرجانات والتجمعات مع الجماهير الشعبية فى المساجد والاندية والمراكز قصد التعارف مع الجماعات الاسلامية والمنظمات الاجتماعية والسياسية ، وهكذا حضر الوفد صلاة الجمعة فى المساجد الكبرى فى دكار وكوناكري وابيدجان واداء صلاة الجماعة فى الاوقات الخمس كلما تيسر ذلك ، وكانت تنظم عقب كل صلاة مهرجانات خطابية يتناول فيها اعضاء الوفد الكلمة لتحية المسلمين الافارقة باسم صاحب الجلالة الملك المعظم وحكومته الموقرة والشعب المغربي ومؤتمر العالم الاسلامي ويتم فى نهايتها تسليم طبعة الحسن الثاني من القرآن الكريم الذي اخرجته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة احتفال المملكة المغربية بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول الذكر الحكيم . وبالاضافة الى الكلمات التي تلقى اثناء هذه التجمعات كانت تقرأ مقدمة هذه الطبعة التي كتبها جلالة الملك وتشرح وتنقل الى اللغة الفرنسية واللهجات المحلية وقد اكتست هذه المهرجانات فى بعض الاحيان طابع تجمعات وطنية عظيمة نظرا للحماس الكبير الذي كان يظهره اخواننا الافارقة والعواطف الاسلامية الصادقة التي كانوا يعربون عنها فى جو من الهيجان والمشاعر المتاججة والاحساسات المتدفقة ، وقد حظى الوفد بنعمة عظيمة فى مسجد نيامي عاصمة النيجر عندما اقبل احد ابناء الداهومي واعلن رغبته فى الدخول فى الاسلام خلال هذه اللحظة الرهيبة المؤثرة . وقد قام السيد رئيس الوفد بتلقينه الشهادة وقواعد الاسلام التي كنت انقلها له الى اللغة الفرنسية ثم نادى على السيد امام المسجد وطلب منه ان يعلمه الوضوء والصلاة وان يأخذ بيده حتى يحسن اسلامه . ولم يكتف اعضاء الوفد بمقابلة الشخصيات والجماعات المذكورة والتحدث اليها بل كان يسلم الى كل فرد او جماعة وثائق متعددة وكتبا اسلامية مختارة وبعض الصور التي توضح فتك الصهاينة باخواننا العرب والمسلمين فى الاراضي المحتلة وبعض المجلات ، ونذكر من بين هذه المطبوعات مصحف الحسن الثاني الذي سبقت الاشارة اليه وبروتوكولات حكماء صهيون وهو كتاب يفضح نوايا الصهيونية وخططها الاستعمارية وبرامجها ومذهبها ومجموعة من مجلة « الايمان » التي تصدرها جمعية شباب النهضة الاسلامية وقوانين هذه الجمعية.

وقد تمكن الوفد خلال هذه الرحلة من اثارة عدد من المواضيع التي تتصل بمهمته او التي كانت على هامشها كالعلاقات المغربية الافريقية والروابط الاسلامية بين جميع المسلمين فى العالم وقضية فلسطين واسترجاع الاراضي المقدسة ومشكلة موريطانيا التي اثارها الرئيس سنغور والتي كانت موضوع الحديث بيننا وبين جماعة من الموريطانيين من اهل العلم والفقه الذين اجتمعنا بهم، وانواع المساعدات التي ينتظرها الافارقة المسلمون من بلادنا كتشييد المساجد والمعاهد وتزويد المدارس الموجودة بالكتب واعطاء المنح الدراسية وارسال المدرسين للقيام بالتعليم وايفاد دعاة للعمل على نشر الاسلام الصحيح وبث الوعي الاسلامي .

وقد كان للاحاديث الصريحة التي اجراها الوفد مع المسؤولين السياسيين والحزبيين والدينيين والوثائق التي وزعناها اثر عظيم فى مساعدة هؤلاء القادة الافارقة على تفهم القضية العربية ووقع كبير فى نفوس جميع المسلمين الذين اتصلنا بهم .

واذا كان بعض الرؤساء كالسادة سيكوتوري (غينيا) وموديبوكيتا (مالى) ولاميزنا (فولتا العليا) يبدون تحمسا كبيرا للوقوف بجانب العرب ومؤازرتهم وتحمل الدفاع عن فلسطين ولو اخل العرب بهذا الواجب ، فان الرؤساء الآخرين كالرئيس ليوبولد سيدار سنغور (السنغال) والرئيس دونيز الذي كان ينوب عن هوفويت بواني (ساحل العاج) الذي كان يقوم بزيارة رسمية لتونس وبون والسيد كاسيا ندي الذي يقوم مقام الرئيس حماني ديوري الذي كان خارج بلاده النيجر قد عبرو لنا عن اقتناعهم بوجهة النظر العربية . وقد أوضح الرئيس سنغور بشدة ان جمهورية السنغال لا يمكنها أن ترضى بالوضع الحالي فى الشرق الاوسط او توافق عليه لان عهد احتلال الشعوب بالقوة مضى ، ولو اننا استسلمنا للقوة ورضينا بالامر الواقع ، يقول سنغور ، لا يمكن لدولة

اخرى أن تعتدي علينا وتحتل ترابنا . وقد وجد الوفد في الرئيس دونيز (ساحل العاج) تفهما عميقا للموقف العربي وتبصرا كبيرا للاثار والعواقب التي يمكن ان تنتج عن العدوان الاسرائلي على الاقطار العربية . وبعد ما اعترف دونيز بان الرئيس هوفويت بواني وحكومة ساحل العاج لم يكونا يتوفران على المعلومات الكافية لاتخاذ موقف صريح من النزاع العربي الاسرائلي واوضح ان البيانات التي قدمها الوفد والوثائق التي سلمها تفرض القيام بعمل جدي لحسم هذا النزاع . وتنفيذا للرغبة التي عبر عنها الوفد في استغلال النفوذ الذي تتمتع به ساحل العاج ورئيسها بين دول مجموعتي الوفاق والمنظمة المشتركة للاقطار الافريقية والملقاشية اكد الرئيس دونيز انه سيتصل حالا بالرئيس هوفويت بواني وحماني ديوري لاثارة قضية الشرق الاوسط في محاثاتهما مع الجنرال دو كول ومطالبته بالتاثير على الدول الافريقية الخارجة عن المجموعتين المذكورتين لاتخاذ موقف يكون في صالح الحق والعدل ذلك ان الاعتداء على الاقطار العربية واحتلال اراضيها اعتداء على الحق والعدل .

ولم يجد الوفد صعوبة في الحصول على التاييد الا في سيراليون التي كان على راسها آنذاك رئيس الفرقة العسكرية التي اطاحت بالنظام المدني في مارس 1967 ، وهو شاب لم يبلغ الثلاثين من عمره ولم يصل بعد لسن الرشد المدني فاحرى السياسي . والحقيقة اننا كنا ننتظر هذه الصعوبة نظرا لكون حكومة سرا ليوني كانت الحكومة الافريقية الوحيدة التي اصدرت بلاغا عقب اجتماع وزراء خارجية الدول الافريقية المنعقد في اوائل مارس 1968 في اديس ابيبا اكدت فيه ان القرار الذي وافقت عليه الدول الافريقية بالاجماع في مؤتمر اديس ابيبا المذكور والذي يشجب العدوان الصهيوني لم يتخذ بالاجماع كما اعلن عن ذلك . ولعل من دواعي الانشراح والاستبشار ان لا يغادر اعضاء الوفد المغربي لمؤتمر العالم الاسلامي القارة الافريقية خلال هذه الرحلة حتى يتم قلب هذا النظام العسكري الطائش ويحل محله نظام مدني في سيراليوني . وقد اثار انتباه اعضاء الوفد الى الصعوبة التي تنتظره مع سلطات هذا البلد السيدان سفيرا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية اللبنانية الذين التمسا من اعضاء الوفد بذل اكبر المساعي لتغيير موقف المسؤولين السيراليونيين حتى يصبح في صالح القضية العربية .

ولعل من باب الجهر بالحق ان نذكر ان بعض القادة والمسؤولين الافريقيين واعضاء الجماعات الاسلامية الذين اعربوا عن تاييدهم الكامل للموقف العربي لم يترددوا في الافصاح عن اشمئزازهم من الخلافات الموجودة بين الاقطار العربية رغم الهزيمة التي مني بها العرب بعد الحرب الاخيرة بل ان بعض هؤلاء الافارقة كرئيس مجلسي النواب في النيجر ومالي كانوا يتحسرون لتدهور علاقات البلدان العربية فيما بينها وعدم توصلها الى اتفاق لعقد مؤتمر للقمة يوحد خطتها السياسية ويجمع كلمتها ويضع حدا للبلبلة والحيرة والفوضى التي تركت العرب يخبطون خبط عشواء بعد النكسة التي اصابتهم بدلا من أن يواجهوا الصعوبات بموقف متحد حازم وفعالية مشتركة . وقد نوه هؤلاء القادة بالجهود التي يبذلها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني لعقد اجتماع عربي للقمة في المملكة المغربية وتمنوا ان تسفر هذه الخطوات الملكية السامية عن نتائج ايجابية تساعد القادة الافارقة وشعوبهم على اتخاذ موقف صريح لا يعتوره غموض ولا يكتنفه التباس .

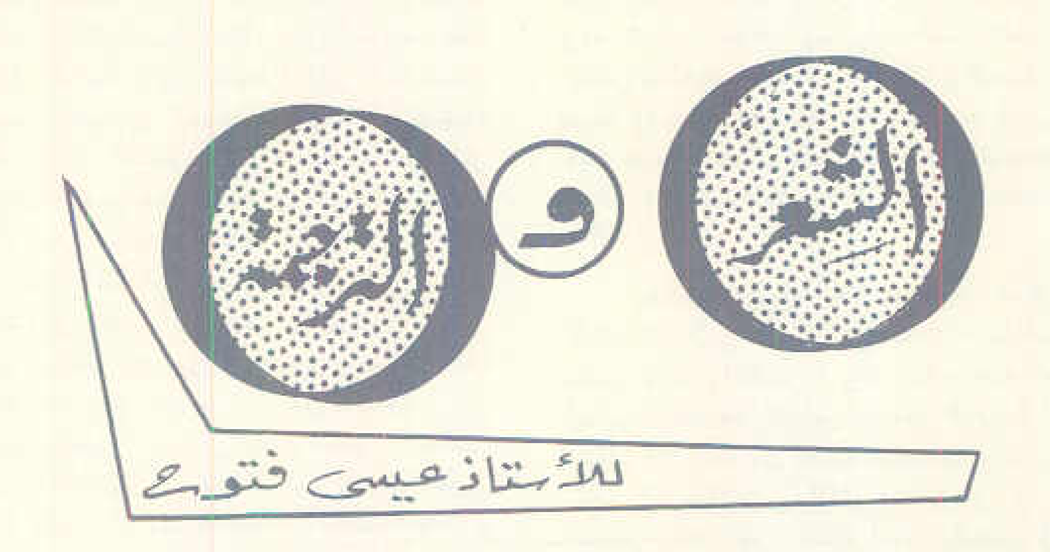
ومهما كان الامر فقد تبين من الاتصالات التي قام بها اعضاء الوفد المغربي لمؤتمر العالم الاسلامي . والمحادثات المهمة التي اجروها مع الاخوان الافارقة سواء على الصعيد الرسمي او على المستوى الشعبي ان تطورا ملحوظا قد طرا على مواقف كثير من الدول الافريقية في قضية فلسطين . واعتقد اني أول من يشعر بهذا التحول واقرب من يستطيع ان يشهد بالنتائج المرضية التي حصل عليها الوفد اذ سبق لي القيام بمهمة مماثلة لم تكلل بالتوفيق الذي عرفته هذه الرحلة .

واذا كان من باب التحدث بالنعمة ان يقر المرء بفعالية الخطوات والمساعي التي قام بها الوفد المغربي الذي لم يال جهدا في ربط الاتصالات وشرح الموقف العربي بكل صراحة والمطالبة بالتاييد العملي من طرف القادة الافارقة وشعوبهم واستعمال جميع الوسائل الكفيلة باحقاق الحق وايضاح الوقائع ، فان من الواجب ان يلاحظ ان هذا التطور المحمود في مواقف البلدان الافريقية كان نتيجة عوامل متعددة اهمها طابع العدوان والهجوم الذين كانا واضحين في الاعتداء الاسرائلي على الاقطار العربية التي ذهبت ضحية رغبة العصابات الصهيونية في احتلال اراضي العرب والاستيلاء على اماكنهم المقدسة . وقد نتج عن هذا العدوان تخوف القادة الافارقة من ان تصبح شريعة الغاب القانون اللاشرعي الذي تعتمد عليه بعض الدول لبسط نفوذها

وتوسيع رقعتها على حساب دول اخرى . وقد افصح الرئيس سنغور بنفسه عن هذا التخوف مؤكدا ان سكوت الشعوب امام احتلال اسرائيل للاراضي العربية معناه تشجيع الدول الباغية على السيطرة على الاقطار المسالمة وتحكيم القوة فى العلاقات الدولية . والحقيقة التى لا مراء فيها ان الشعوب الافريقية تخشى ان يحدث العدوان الاسرائيلي سابقة فى العلاقات الدولية قد تصبح اقطارهم بدورها ضحيتها . ومن أجل الدوافع التى اثرت على الافارقة المكانة العظيمة التى تحتلها البقاع المقدسة فى نفوس المسلمين والمسيحيين على السواء وخوف الافريقيين من ان تدنس اسرائيل هذه البقاع الطاهرة . وقد عمدت اسرائيل بالفعل ، الى تدنيس الاماكن المقدسة دون ان تحترم شعور المسلمين ولا احساس المسيحيين . وقد احسن الوفد المغربي صنعا عندما اوضح ان قضية البقاع المقدسة تهم المسلمين والمسيحيين محاولا بذلك جلب عطف المسيحيين بدورهم للاهتمام بالقضية . اما العامل الثالث الذي حول موقف الافارقة من قضية فلسطين فهو الموقف الحاسم الذي اتخذه الجنرال دوجول رئيس الجمهورية الفرنسية الذي يعتبره بعض القادة الافريقيين زعيمهم السياسي وإباهم الروحى . ولقد كان لموقف الجنرال دوجول من ازمة الشرق الاوسط مفعول السحر فى نفوس هؤلاء القادة جعل المسؤولين منهم على الاقطار الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية يميلون الى جانب الحق والعدل دون التواء ولا تردد . ومن اسباب هذا التطور ايضا التقدير الذي تحظى به المملكة المغربية وجلالة الملك الحسن الثاني من طرف المسؤلين الافارقة وشعوبهم والعطف الكبير الذي يحملونه لبلادنا خصوصا بعد الزيارة الميمونة التي قام بها جلالة الملك للجمهورية السنغالية وتدشينه لمسجد دكار العظيم الذي خلف صدى استحسان وتطلع الى المغاربة فى قلوب الافارقة اجمعين وسوف لا اوفي الموضوع حقه من التحليل والعرض اذا لم اشر الى الدور الكبير الذي لعبه المصحف الكريم الذي طبع فى بلادنا بأمر من صاحب الجلالة والذي كان الوفد يقدمه هدية بين يديه لمختلف الرؤساء والمسؤولين والزعماء السياسيين والدينيين ، فقد كان جميع رؤساء الجمهورية المسلمين يتقبلونه بغبطة كبيرة وفرح عظيم ويقفون اجلالا لتسلمه من يد حضرة السيد رئيس الوفد ووجوههم تتهلل بشرا وهم يقبلون دفتيه . وما زلت اتذكر الطريقة العجيبة التي تقبله بها السيد الحاكم العام لكامبيا فقد وقف من مكتبه وتوجه الى الجدار حيث تيمم ثم تناول المصحف وأخذ يتصفحه ثم استمع بكامل الاهتمام والخشوع الى ترجمة المقدمة التي كتبها جلالة الملك .

وخلاصة القول فقد قام الوفد المغربي لمؤتمر العالم الاسلامي بالمهمة التي نيطت به كما اضطلع بدوره بكامل امانة واخلاص ، وقد تكللت هذه الجولة بنتائج ايجابية اجلها هذا التطور المحمود الذي طرأ على موقف الدول الافريقية من قضية فلسطين والذي تاكد خلال مؤتمر القمة الافريقي الذي عقد مؤخرا فى عاصمة الجزائر وقد شعر اعضاء الوفد بالعطف والمحبة والتقدير وغيرها من عواطف الاخوة التى تحظى بها بلادنا . وان على الدول العربية ان تحافظ على هذا الرصيد كما ان على بلادنا ان تعزز عواطف التقدير والمحبة التى تحظى بها وسوف لا يتأكد هذا التطور ويطبع السياسة الافريقية بصفة مستمرة كما لا يتقوى تقدير الاقطار الافريقية لبلادنا الا اذا تواصلت هذه الخطوات وطعمت هذه العلاقات الثنائية والاقليمية بتبادل المساعدات وتكاثر البعثات . واذا كان المقام هنا لا يليق بعرض الارتسامات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتقديم المقترحات المتعلقة بتعزيز علاقات بلادنا مع الاقطار الافريقية والتي وردت فى التقرير الذي رفعته الى الدوائر المسؤولة ، فان من الضروري ان نؤكد ان الاسلام ينتشر ، ولله المنة والحمد ، انتشارا واسعا فى القارة الافريقية رغم ضعف المسلمين وقلة زادهم المادي والمعنوي مما يدل على ان ديننا الحنيف سيزدهر ازدهارا هائلا فى هذه القارة وان من مصلحة بلادنا ان تكون المبادرة الى كسب صداقة الاقطار الافريقية والسباقة الى مساعدتها حسب امكانياتها لانها ستضمن بذلك تأييد هذه الدول المعنوي فى الحال والسياسي فى المستقبل .

الرباط : عبد اللطيف أحمد خالص



كثرت في هذه الايام ترجمة الشعر الى اللغة العربية ، حتى صار النقل مشاعا بين المثقفين وانصاف المثقفين .. وهم ماضون في ذلك ، ممعنون في تشويه الآثار الادبية الرائعة ومسخها ، لان احدا لم يقل لهم مرة ان الشعر لا يترجم ، او انه يأتي في آخر الاعمال الادبية التي تقبل الترجمة .. ولست ادري ما هي الغاية التي يسعون اليها من وراء ترجمة الشعر دون القصة مع ان ترجمتها ايسر واسهل بمرات ، لانها لا تعتمد على الايحاء والرمز والتأشير ، ولان الخيال فيها عادي، او قل انها لا تعتمد على عنصر الخيال مطلقا .. ومن هنا جاءت الصعوبة في ترجمة الشعر ، ذلك لان المترجم مهما يكن قديرا ومحيطا باللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، فهو عاجز كل العجز عن نقل الشعر نقلا امينا جيدا .. فما قولك بالذي ينقله وهو جاهل اصول النظم ، غير متمرس به ، ومع ذلك يتصدى لنقل اشعار بيرون وشلي.ولامارتين وشكسبير وملتون وادغار الن بو وطاغور ودي فيني ودي موسيه وغيرهم من عمالقة الشعر الاوروبي والاميركي .

الشعر ان ترجم يجب ان يبقى شعرا ، فيه كل ما في الشعر من مقومات فنية ، لا ان يتحول الى نثر باهت مفسول دفعة واحدة .. تنقصه الديباجة ، ويعوزه الاشراق ، ويفتقر الى الروح والشفافية .. لعل العرب القدامى ادركوا هذه الناحية ، فلم يتعرضوا له، ولم يوسعوا له مكانا في آدابهم ، ولم يعربوه في جملة ما عربوا.. فعرفوا فلسفة سقراط وافلاطون وارسطو، ولم يعرفوا الياذة هوميروس وروائع سوفوكليس وهوراس .

يقول شلي : « كل شعر سام لا يحدد . قد نزيح ستار اثر ستار ولا نصل الى جماله الحقيقي فماذا يبقى من الجمال الذي يعنيه الشاعر اذا ترجم هذا الشعر؟ وقال ايضا: الشعر في رائحة الوردة ولونها لا في العناصر التي تتألف منها . فلغة الشعراء تظهر دائما بلون خاص، وموسيقى لهاصداها، وبدونهمالاتكون شعرا ، فترجمة الشعر ضرب من العبث، ومن يحاول ترجمة شاعر الى غير لغته كان كمن يلقي بنفسه في بوتقة ليكشف اسرار لونها ورائحتها » . ويقول بول فاليري: «الناثر يمشي مشياً، والشاعر يرقص رقصاً. وهل يكون الرقص بلا وزن ؟ واين الايقاع الذي ينفق الشاعر ساعات وشهوراً لاحداثه اذا ترجمت شعره الى غير لغته »

من هنا ندرك استحالة ترجمة الشعر حتى بالشعر ، فكيف اذا انقلب نثرا ؟ افلا ينحطم الايقاع ، وتختفي الرشاقة ، وينقلب الرقص الخلاب مشيا رتيبا باردا ؟ لعل مارون عبود كان اكثر النقاد انكارا لترجمة الشعر عندما اشار الى ان « الشعر لا يقاس بالترجمة. وكل قطعة فنية في كل ادب تذهب بروعتها ترجمتها . خذ الشعر الجاهلي وترجم منه ما شئت ثم قل لي ماذا ابقت منه الترجمة ؟ وهذه التوراة الم تفقدها الترجمة شيئا بل اشياء من روعتها الشعرية ؟.. وهناك مثلا ترجمة كليمان هيار لشعر عنترة ، فهو يقول ان عنترة

هو القائل : «اننا ندور كما تدور الرحى على قطبها ، بينما سيوفنا تتفتت على رؤوس محاربينا » .
اعرفت اي بيت ترجم من شعر عنترة ؟ وهل بقي شيء يقال له شعر ؟ ».

ان اغلب الذين ينقلون الشعر انما يهتمون بالافكار ، ولكن متى كان الشعر افكارا فحسب ؟ وينظرون الى ما قال الشاعر لا الى كيف قال كأنما الشعر يقوم بمعناه دون مبناه ... ان فيه بالاضافة لذلك روحا وفنا وموسيقى وعاطفة .. لو حاول نقلها لفشل ، وهبه استطاع ان ينقل كل شيء فهل بمقدوره ان ينقل الكلمات المموسقة ، والتعابير المنغومة ؟

قارن معي هذا المقطع من الشعر الفرنسي لفرلين ، ولاحظ كيف ان الموسيقى اضطربت وتشوشت رغم الجهود التي بذلها المترجم ليخرج العبارة العربية بنفس مستوى الفرنسية ؟؟ انني اتحدى اي شاعر مجيد ان ينقله الى العربية بنفس اطاره الفرنسي الانيق ..

النهنهات المتمادية	Les sanglots longs
لكمانات الخريف	Des violons
تجرح قلبي	De l'automne
بحزن رتيب	Blessent mon cœur
	D'une langueur monotone

في الشعر لغة خرساء تتفاهم بها الارواح ، فهي كموسيقى (فندلسون) غير الناطقة التي يفوق تاثير الحانها قوة الكلام .. الشعر والموسيقى روحان في جسد واحد ، فحسب الموسيقى ما فيها من الشعور ، وحسب الشعر ما فيه من النغم ، وما من شك في ان نقل اي منهما خسارة كبيرة للاخر .. للموسيقى معنى لا يقل عن معنى الالفاظ نفسها ، وهذا هو السبب في ان اللفظ المرنان يحمل في طياته طاقة ايحائية غريبة .يمتص الانفعالات الفائضة ، والاحاسيس الخفية المبهمة ، اذ كثيرا ما تعجز اللفظة المجردة عن حمل شحنات التوتر الحاد . تامل معي هذا البيت :

عودي يا ليالي امسنا عودي
وجددي ذكرى محروم وموعود

ولاحظ كيف ان حروف المد استطاعت ان تفصح عن حالة الشاعر التحسرية . فكانها صرخات اسى وحرقة وندم على ما فات ولن يعود .. فهل ثمة ترجمة قادرة على استبقاء الجو الماساوي الذي اشاعته الحروف المطلقة ؟

يقول الآن : « الشعر اخو الموسيقى . بمعنى انهما نشآ معا بعد الرقص . فكان الغناء اتحاد الموسيقى والشعر » . والشعر الغنائي يشبه الموسيقى في التكرار وترجيع القرار الذي يريد المعنى قوة ويجذب الانتباه من السامع الى الموضوع الرئيسي .. والشعر يشبه الموسيقى في دلالة الاصوات على المعاني ، بحيث ان السامع يفهم المعنى من الرنة والوقع وان هو لم يفهم الالفاظ تمام الفهم . الا تحس بحركة الجواد في قول امرىء القيس : [1]

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

ونسمع صوت اصطكاك الاسنان في تتابع حروف الراء في قول البحتري يصف الذئب الجائع :

يقضقض عصلا في اسنتها الردى
كقضقضة المقرور ارعده البرد

وما قولك في يقضقض ، وقضقضة ، افلا ترى بنفس المشهد السابق ؟ ولاحظ التفخيم والتضخيم اللذين اشاعهما توالي حروف الضاد في قول بشار بن برد مفتخرا :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

وفي الابيات التالية لالبير سامان نسمع — كما تقول روز غريب — زفرة متكررة ، ورجاء صارخا يتردد تباعا في المقاطع الطويلة الرنانة التي تعقبها اصداء كاصداء النواقيس :

Oh ! s'en aller sans violence !
S'évanouir sans qu'on y pense
D'une suprême défaillance !
Silence ! Silence ! Silence !

(1) النقد الجمالي واثره في النقد العربي لروز غريب ص 95

وللموسيقى ـ كما للصور ـ اهمية كبرى عند الرمزيين ، فالشعر في نظرهم صور موسيقية لها قوة الموسيقى التعبيرية وتاثيرها ، على ان بعض الشعر الرمزي حر لا يتقيد بوزن . ومن هنا نرى ان الشعر لا ينفصل عن الموسيقى والتكرار المتسق ، وان هو انفصل عن الوزن .

بعد ان بينا العلاقة الوثيقة الوشيجة بين الشعر والموسيقى، افيصح ان نقول ان الشعر يترجم ؟ ان في اللغة ـ كل لغة ـ اشياء دقيقة لايدركها حس المترجم، ولا يستطيع ان يحيط بها الا الشاعر نفسه ، وقد يتعذر عليه احيانا ايجاد اللفظة المناسبة او الصورة المقابلة ان هو حاول ترجمة شعره .. مع ان احساسه ظل هو هو ازاء المشهد المعبر عنه .. وفي مثل هذه الحال لا يرى مناصا غير الاقلاع عن الترجمة والاقتناع بعدم جدواها الا في الضرورات .

رب قائل يقول : نحن في عصر تمازج الثقافات وتبادلها ، فهل ترانا نستطيع ان نستغني عن الترجمة والنقل ؟ وجوابي هو ان ترجمة الشعر يجب الا تكون الا بقدر ، فلا يضطلع بها الا المقتدرون المتمكنون ، لان عملية الترجمة الحق شاقة وعسيرة ، تحتاج الى نفس الجهد الذي عاناه الشاعر ابان النظم ...

ويمكننا ان نخفف من حدة المشكلة بدراستنا اكبر عدد من اللغات ، الامر الذي يساعدنا على الاطلاع على اكثر هذه الاشعار بلغتها الام .. وكم ثم من فرق بين ان نقرا القصيدة مكتوبة بقلم الشاعر ، وبين ان نقراها منقولة من لغة الى لغة الى لغة ، افلا تصلنا في النهاية ممسوخة مشوهة هزيلة ؟ .

عيسى فتوح





الإبداعية في الفن المعاصر

للاستاذ محمد احميداش

عندما تطلق كلمة (فن) فان المدلول يكون اوسع واعمق من مجرد الدلالة على النغم الساحر واللون الزاهي المشرق او الرقصة التى تتحد مع الايقاع قوة وضعفا تصعيدا وعربدة .

كما يتعدى التعبير عما يطربنا ويهز مشاعرنا فنهيم فى خضم نشوته ونحلق كالملائكة فى سماء خياله .

ان الفنون باعثة من كل زوايا الحياة تستقصي كل انواع المهارات التى تعتمد بالاصالة على الذوق . ولما كانت الاذواق مختلفة تبعا لاختلاف المزاج والعناصر البشرية تعددت الفنون واختلف تقويمها فصار معيار الجودة والرداءة فيما يقاس بما تتوفر عليه من خيال خصب يكسبها حلة قشيبة تمتاز بالروعة والابداع ويرفعها من عالم المادة والمدركات الحسية الى عالم جديد له خواصه وعناصره يسيطر على الفنان فيصبح رهين تياره .

ولا يعنينا الآن ان نعدد كل ما ذكره الباحثون فى تعريف الفن وتمييزه ، ولكن حسبنا ان نتدرج من هذا لنشير الى ما خلفته الانتفاضة الاخيرة فى الفنون الحديثة من مدارس متعددة قلبت اوضاع الفن راسا على عقب ، فمن تاثيرية الى تجريدية الى رمزية . .

وانصار هذه الحركات التجديدية ممن رفضوا التعبير عن الواقع بواقعية جافة لا خيال فيها ولا ابداع وطالبوا بأن يبتعد الفنان ما امكن عن الطبيعة حتى يمتاز عمله بالخلق والابداع .

ويظهر ان هذه الحركة بدات وتحددت معالمها فى الرسم فى القرن التاسع عشر على يد ثلة من انصار الفن امثال (مونيه) و (ديجا) و (سيزان) يوم ان اقاموا معرضا لهم اعلنوا فيه رفضهم تقليد الطبيعة، ولقد اطلق على هذا المعرض اسم معرض المرفوضين ومهما يكن من امر هؤلاء وغيرهم من انصار التحررية فى الرسم والموسيقى والشعر والادب فانه قد بات من المسلم به اليوم ان التعبير عن اي لون من الوان الفنون والمهارات يقوم على الحدس والتأمل كما يحتاج الى الطبيعة الفنية والموهبة الخلاقة

وهو الى جانب هذا وذاك لا يمكن باي حال ان يكون نسخة طبق الاصل من الطبيعة كما لا يمكن ان يضع نفسه رهن قواعد واوزان ومقاييس تحبس الفنان وتجبره على اتباعها ، ذلك لان طبيعة النشاط الفني مرتبطة بكل انواع النشاطات الاخرى التى تكون فى مجموعها سلوك الانسان كالصناعة والفلسفة والعلم والحضارة ولا شك ان هذه الجوانب المختلفة فى تطور وتجديد دائم مرتبط بتطور الفرد من الناحية الفكرية والسيكولوجية ، فكان من الطبيعي ان يتطور الفن ويشق طريقه نحو التجديد والابداع وليس لاحد ان يحبسه فى قالب يحدد جوانبه ومقياس معين يدخله فى حظيرة الفن .

فكما ان الصور المألوفة التى تراها العين وتديم النظر اليها تصبح عديمة الاثر فى النفس وتفقد جاذبيتها وروعتها . فكذلك الفن هذا هو سر مرونته وتطوره المستمر . ولا شك ان الخيال الابداعي يلعب

دوره فى هذا التطور لان الابتعاد عن المألوف يستدعي خلق الصور ، ولا يتأتى ذلك الا لذوي الخيال الخصب والافكار العميقة فتصويرك للشجرة ملاحظا الابعاد والمقاييس والموقع بالنسبة لخط النظر لا يعد عملا فنيا فيه خلق وابتكار، وانما هو نقل مريح سطحي لطبيعة الفناها منذ زمان فى لوحة جامدة خالية من كل روعة .

ومما نراه حالما تداعبها الرياح فترتعش اوراقها، ونستنشقه حينما يحمل النسيم الينا نفحة من شذى عبيرها فيعبقنا اريجه . ولكن عملك يصبح فنا كلما عبرت بريشتك او قلمك عما خلفه المنظور فى نفسك من صراع وحركة دائبة مع الذكريات والاحلام والاخبار الماضية والاحوال النفسية . وسوف تكون الصورة على غرابتها ومخالفتها للواقع المحسوس .. جديدة مبتكرة عذراء ليست ترف الا لمن يدرك كنهها ويتجاوب معها فتحكي له كل ذكرياته ، واذا كانت القيم الفنية تختلف باختلاف الاذواق فانه لا يعد فنا مبتكرا ما اصطلحت عليه الناس واتحدت مدركاتهم حوله واصبحت معرفته مجمعا عليها ، واذا حدث ان ظهر فسوف لا يدوم ؛ وسرعان ما تحل محله فنون مخالفة له الى حد بعيد يجد الخيال فيها مرتعا خصبا .

ويبدو ذلك واضحا فى النظام الاكاديمي الذى كان يهدف الى نقل الحقائق بغية المطابقة التامة بين العمل الفني وما تراه العين دون اضافة او تشذيب كما يبدو فى التماثيل والآثار التى تعبر عن الحقائق بتعبير مادي هندسي .

اما الآثار العربية والفنون المعمارية التى لا زالت تحكي ما وصل اليه العرب من تقدم وازدهار وتشهد على ما وهبهم الله من احساس مرهف وطبع صاف وخيال حاد وتذوق لمعاني الجمال .

هذه الآثار يلمس الناظر اليها النزعة التجديدية التى اتخذت من الخلق والابتكار والابتعاد عن الطبيعة قواما لها . ويظهر ذلك فى انواع الزخرفة واشكال المقرنصات والمثاليات والاقواس والصور الرمزية التجريدية المرسومة بالحروف وبالحروف فقط ، ولعل هذا من الادلة الواضحة التى تؤكد على ان العرب نزعوا الى التجديد فى الفن منذ زمان وحازوا قصب السبق قبل غيرهم . وليس هذا فى ميدان الرسم فقط بل حتى فى الفنون الاخرى من شعر وادب فقد تفننوا فى التعبير بانواع الاستعارات والتشابيه وضروب المجاز التى تحمل الفنان من الارض التى اعتادها الناس وترفعه ليحلق كالملائكة فى سماء الخيال .

واذا امعنت النظر فى البيت التالى ترى الشاعر قد تحرى الدقة المتناهية فى التصوير حتى انك تتخيل الصورة تتحرك بالتدريج لتتخذ التعبير اللائق باحساسه :

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

وليس هم الشاعر هنا مجرد تشبيه الاعضاء والحواس بما له علاقة بها فقط بل التعبير بصورة تشكيلية عن وضع الفتاة وهي حزينة وما خلفه هذا الوضع فى نفسه من احساس عميق وشعور حاد ومشاركة فعالة لما تعيشه الفتاة من الم وبرحاء فاتخذت ريشته من اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد ادوات رمزية للتعبير عن الوضع المحزن للفتاة .

تماما كما يعبر الفنان المجدد المبتكر بالوان مبعثرة حمراء وخطوط متشابكة معقدة فى لوحته ليقص علينا قصة صراع او معركة فمنا من يدرك انها تحكي معركة الجنود واختلاطهم فى ساحة الوغى ومنا من يهتدي بخياله الى ان اللوحة تعبر عن صراع بين الانسان والزمن او صراع بين قلبين ؛ او مشهد حزين يحمل الينا الهم والاسى .

وهذا ما يجعلنا نقول بان الفن المبتكر يستعصي ادراكه وتختلف فيه الاذواق لانه مجموعة تشكيلية تركيبية تحكي الخواطر والاحاسيس لا تدرك الا بالاستقصاء والتأمل وحدة النظر وبعد الخيال .

ومن الضرورة بمكان ان نشير الى ان معنى الابتكارية فى الفن ليس هو مخالفة الطبيعة مخالفة تامة لان ذلك لا يتأتى وليس فى وسع اي فنان مهما كان لان الطبيعة اعلى من الفن وهذا هو محض الخطأ الذى يقع فيه بعض الفنانين انصار الشعر الحر معتقدين ان الفن ما خالف الطبيعة فى الصورة والمضمون والاداة ، فينثروا بقع الاصباغ على الورق ويفتنموا ما تحدثه الفرشاة تلقائيا من علامات او يفتنموا ساعة التحرر فى الشعر من قيود الوزن والقافية وقواعد البلاغة والبيان ليعبروا بجمل متنافرة وكلمات متقطعة وتفعلات متكسرة ، ونقط متراكمة عن ما شاءوا بما شاءوا ويعلنوا على الملا دون تريث او اناة هذا فن رمزي او شعر حر .

والواقع ان الفن الحديث مهما تحرى التجديد وتبنى الابتكارية لا يعد مبتكرا ومحدثا لان الطبيعة هي التي تعلمنا كيف نأخذ عنها ما استطعنا تقليده واهتدينا اليه من الوان وصور ، فكيف يستطيع من لم يهبه الله حاسة السمع ان يحدث لحنا او يبتدعه ؟

وكيف يستطيع الاعمى ادراك الالوان فقط وليس خلقها ؟ لا شك انه لا يستطيع . لانه لم ير الطبيعة.

ومن هنا كان الشبه موجودا والعلاقة متوفرة فى الفن المبتكر بين ما يحدثه الفنان وما يؤثر فيه من الخارج ولو كانت كيفية التعبير غريبة رمزية كانت او تكعيبية او كاريكاتورية .

ويؤكد ذلك ديكارت عندما عرف الخيال بأنه قوة مصورة تعيد ما فى النفس من الصور المرتبطة بالواقع وتمثلها .

واذا كان كذلك فالفن الحديث يستدعي الدقة والمهارة وحدة النظر وبعد الخيال وعمق الفكرة ، وحدس والهام ، ولا يحق لكل متطفل ان يغتنم فرصة الرمزية والتحررية ويخط بريشته ما شاء بالوان وخطوط عديمة الحيوية جافة لا موسيقى فيها ولا خيال ولا عاطفة صادقة وكذلك الشأن بالنسبة لمن اراد ان يقول شعرا ..

باريس : محمد حميداش



ديوان المجلة



غن شعري على شطوط المغارب   وارو عني الهوى لدى كل صاحب

كل أرض للعرب ارضي فمن لـي   بمقام فيها على فضل جانـب

كاتبتنـي أفكارهـا واحتوتنـي   ولكـم شاعـر سباني وكاتـب

هام قلبي بها فقسمـت حبـي ،   بسواها ما جاز تقسيم راغـب

لي في مصر والعـراق ولبنـان   وداد يهتـاجنـي بالرغـائـب

وبـدار السـودان مـوئل عـز   للمروبـات عـززت بالمناقـب

وعلى موطـن الحجـاز رجـال   تيدونـي بحبهـم والوجائـب

فيهمو باعث الفكر والشعر (سرور   الصبـان) نسـل النجـائـب

ودياري بالشام مـلء فـؤادي   سحرتنـي بالرائعـات الغوالـب

وحططت الغـرام عند هـداة   مغربيـين ودهـم لي غالـب

(دعوة الحق) في حماهـم منـار   صان شمل الاسلام دون الشوائـب

في بلاد علا بها الدين والاسـلام   حتى حمتـه غـول المعاطـب

بأبي معشر ابوا ذلـة الضيـم   فثـاروا ولعلعـوا بالمقانـب

رد طرفـي علـى جناح خيالـي   فدعـوت التاريـخ دعوة غائـب

فأعاد الاحـزان في ذكريـات   هـن في النفس موئـل للمثالـب

قال (رامون) (1) لي : يا صديقـي   انـا اسبانيـا وانـت الاعـارب

---

1) هو الدكتور رامون مينانيديز بيدال ، اديب العصر الاسباني الحديث ورئيس المجمع التاريخي بمدريد ، ومؤلفاته اربت على المائة ، وبخاصة تاريـخ السيد الكامبياذور . وهو صديق حميم للدكتور زكي المحاسني ، يبلغ هذا العام عمر قرن بكامله ، وتحتفي اسبانيا بأجمعها ، والعالم اللاتيني في امريكا بعيد حياته المديدة ــ (دعوة الحق) .

قد درجنا علـى القلـى ورجعنـا ... كالاجبا علـى شريـف المذاهـب
قد بنى « طارق » وخلف قومـا ... لم يصونوا الفتوح يوم العواقـب

* *

قد اصاب الدهر الخؤون فلسطين ... بنكبـاء من عـدو محـارب
جـدد الجـرح فى البلاد واضحـى ... وهو عان دنيا يصبه النوائـب

* *

يا صحابي فى مغرب الارض انتـم ... زينة الدهر فى الحجى والمواهـب
جامعيـون او مشايـخ ديـن ... بـابـي طيلسانكـم والجبائـب

* *

(دعوة الحق) طلع عـام جديـد ... يا ربيعا وزهـره غيـر ذاهـب
عشت للدين والنهى وعلـى الآداب ... فى حليـة الجمـال المصاحـب

دمشق ــ الدكتور زكي المحاسني





غنني بالجهاد يا شعر ... انـــي   مسلم ... أعشق الحياة نضـــالا

ذكريات الاسلام تلهمني الوحـــ   ـــي • وتحيى تلك السنين الطوالا

واذا بالحيـاة مثـل شريـــط   في ضميـري أحداثـه تتوالـــى

كم شددت الاوتار اعزف لحنـــا   كي اداوي جرحي ، وأنفي الملالا!..

واذا بالخطوب تملـك امـــري   وثواني عمري تمر ثقـــالا ... ! !

من أسى أمتي .. ومن واقعي الهـــ   ـــر استقيت الاحزان والاهوالا ..

❋   ❋

يا لذكرى المعراج تلهب روحـــي   وتزيد الاسى بقلبي اشتعـالا .. !

ان مسرى الرسول أصبح نهبـــا   فقد الطهر ، والسنا ، والجـلالا

درجت في ظلاله « عقدة الافعـــ   ـى » يقاسي الاسى .. يعاني النكالا

من راى المسلمين في ساحة الحر   ب تولوا .. ألم يطيقوا النزالا .. ؟

ام هو القدر ــ لست اعلم ــ الا   انني اشهد الحروب سجـــالا

❋   ❋

يا رسول الاسلام أسرى بك اللـــ   ـــه الى غاية تجوز الخيـــالا

ـــدرة المنتهى تحن الى اللقيـــ   ـــا ، كما يامل الحبيب الوصـــالا

من ربى مكة الضيـاء تجلـــى   مشرقا .. يغمر الوجود جمـــالا

واذا « القدس » أغنيات ، وبشرى   تملا السهل ، والربى ، والجبـــالا

وتراءى « البراق » يا قصة تر   وى تزين الاشعار والازجـــالا

وتراءى « البراق » فالصخرة اهتا ... جت .. تغني .. تعانق الآمال

وامتطيت البراق يسبح في النو ... ر ، ويهتز نشوة واختيالا

وتحق الاملاك بالبدر يسري ... وينال الانسان ذاك الكمالا

وامتطيت البراق.. فالمسجد الاقصـ ... ـى نداء ـ على المدى ـ يتعالى

صورة الواقع التي رسم اللـ ... ـه .. تهز الزمان والاجيال ... ! ؟

*

ايها المسلمون في كل أرض ... ما عرفنا الاسلام الا نضالا

اذكروها : تلك العهود الخوالي ... قد محونا من الوجود الضلالا

جمعتنا عقيدة الدين .. حتى ... قد ضربنا في الاتحاد المثالا

ما لنا اليوم .. والمذاهب تغري ... بانفصال .. الا نريد اتصالا

يا ربى القدس جلجلي اليوم صوتا ... يستحث الاباة والابطال

لطلعت نار ثأرنا في نفوس ... حرم الله عزها أن ينالا

من ربى «الاطلس» الظليل ستهمي ... غيمة تثبت الاسود غلالا

في عرين الاباة ـ يا قدس ـ قلب ... ثائر العزم .. لا يهاب القتالا .. !

سترى ـ يوم باذن الله ـ أنا ... قد خلقنا للحرب .. نهدي النزالا

وحدة المسلمين حق يؤدى ... سيرى الكون صرحها يتعالى

الرباط ـ علال الهاشمي الفيلالي

انطلاقة النور

للشاعر محمد محمد العلمي

بمناسبة افتتاح الحملة المباركة للكتاتيب القرآنية تحت الرعاية السامية لامير المؤمنين ، وحامي حمى الملة والدين مولانا الحسن الثاني ايده الله ونصره يوم 16 رجب الاصب عام 1388 هـ — الموافق 9 أكتوبر 1968 م

دمت للمجد حصنه وشعاره ... يا مليكا يزف خير بشاره
قمت تدعو لكي نعلم اجيا ... لا ستحمي تراثنا عن جدارة
ترسم الخطة القويمة للنش ... ء وتبني تثقيفه واقتداره
وكفاه رشدا اذا كنت فيه ... أنت تحمي كيانه وذماره
قمت تدعو هنا لتربية الاسـ ... ـلام ، تعلي بين الانام مناره
وسلوك الاجداد تبعثه فيـ ... ـنا اصيلا مجددا انواره
ان تاريخنا يدل علينا : ... كتب المجد فى الورى اطواره
اشرق النور فى ذرى (المغرب الاقـ ... ـصى) فمرحى اذ كنت انت مناره
انت قيثارتي يروق لديها ... شدو قلبي مرتلا اشعاره
الف طوبى (للخامس) البطل الحـ ... ـر ينمي لشعبه ازهاره
كان دوما على البلاد غيورا ... يملأ الجد ليله ونهاره
قام بالامر بعده (الحسن الثا ... ني) فادى توجيهه بمهاره
نله فى قلوبنا اليوم عرش ، ... واساس الصلاح تلك الامارة
هكذا ترجع الفروع الى الاصـ ... ـل ، ويؤتى غرس المليك ثماره

※

ديننا دين قوة واتحاد ... قاد للرشد امة مختاره
اكرم المؤمنين بالخلق السا ... مي ، واعلى من حولهم اسواره
واذا العلم لم يقم فوق أخلا ... ق حسان ، فغيه كل الخساره
والشعوب التى تعيش فى الطيش والتيـ ... ـه ، شعوب ضعيفة منهاره
حسبنا اليوم ما نشاهد فى عصـ ... ـر انحلال وغفلة ودعاره

نبذ الجوهر الكريم وعشنا ... فى قشور ، وتلك عين المراره

عصرنا عصر حيرة ، غير ان الـ ... ـكون فى الدين ينشد استقراره

صور قد تروق شكلا وحسنا ... غير ان القلوب مثل الحجاره

*

ان دين الاسلام سوى رجالا ... بنساء فى كل امر اثاره

كل فرد فى ديننا السمح يحيا ... عارفا بين قومه مقداره

وكفانا بشرعة الله عزا ... فهي للكون متعة وطهاره

وهي تغزو الشكوك فى كل ناد ... وتصوغ الهدى بأجلى عباره

ان دين الاسلام دين علوم ... زادها البحث روعة وغزاره

عم كل الاكوان نور سناه ... قد شهدنا بقلبنا آثاره

نحن نأبى انحرافنا عن سلوك ... مستقيم يضفي علينا ستاره

نحن نأبى الجمود ، بل نحن نسعى ... للمعالي بهمة جباره !

واذا الشعب لم يقوم سلوكا ... لبنيه ، فما أتم ازدهاره

وازدواج اللغات فيه انفتاح ... نحو آفاق حكمة مختاره

كم حملنا الى العوالم من علـ ... ـم ، وكنا شموسها فى الاناره

انما الضاد روضة عبق الكو ... ن بريا نهورها المعطاره

انها قوة وعز مكين ... وبها الدين قد أتم انتصاره

ان آدابها من الشعر والنثـ ... ـر لتزداد كل عصر نضاره

*

ليس اشهى الى النفوس واحلى ... من صغار تعلموا بحراره

وهمو يحفظون من سور القر ... آن آيا تروق منها الاشاره

حين يتلو الاطفال ذكرا حكيما ... يطرح القلب خاشعا أوزاره

والكتاب الكريم خير اساس ... لكفاح خضنا جميعا غماره

وهو نهج للاستقامة فينا ... وأمان ونهضة وحضاره

الف مرحى للشعب وهو يربي ... فى رياض من العلوم صغاره

هكذا الشعب يقتفي خير نهج ... اذ يربي على الوفاء كباره

الف مرحى للمغرب الحر يروي ... من ينابيع دينه أفكاره

كان دوما حصنا لارفع دين ... يرتضى فيه رسمه واطاره

وهو لا يرتضي مدى الدهر الحا ... دا ، ويجفو المذاهب المستعاره

يا مليكي تلك الامانة فاهنأ ... بالتحلي بحملها عن جداره

انت أعطيتنا المثال ، وهذا الشـ ... ـعب يبدي لمرشده اكباره

بارك اللهم فى الامام ووفق ... فى الكتائب سعيه وقراره

الرباط : محمد بن محمد العلمي

المسجد الأقصى لنا...

للشاعر: محمد العزبي الشاوش

هذه القصيدة جادت بها قريحة الشاعر بمناسبة العدوان الصهيوني الأثيم في 5 يونيه 1967 . وننشرها بمناسبة مرور سنة ونصف على ذلك الاعتداء الغاشم .

ما بعد غدر الغدره ... بني صهيون الفجره

سوى الوقوف كتلة ... جبارة مستنفره

وجبهة مرصوصة ... وعصبة مشمره

تحمي البلاد والعبا ... د من طغاة كفره

من الذئاب الخبثا ... ء المعتدين المكره

قد ظلموا وشردوا الـ ... ـعرب الكرام البررة

أبناء صهيون اللئا ... م العابثين الحقره

وهتكوا حرمتهم ... بأيد كانت قذره

وتركوهم فى العرا ... ء تلة مبعثره

ودنسوا أرضا بها ... مآثر مطهره

أرض « فلسطين » التي ... هي بحق جوهره

وامتلكوها بالخدا ... ع والخطى المزوره

وسلبوا أمجادها ... فأصبحت مستعمره

واغتصبوا واستعبدوا ... بحيلة مدبره

ثم تمادوا فى العنا ... د والفساد والشره

وهـددوا وارهبوا … وأمعنوا فى الثرثره
وارتكبوا فظائعا … مزرية مؤثره
وتركوا أنفسنا … مكلومة مكدره
فكان لابد لنا … من رد كيد الغدره
وقذفهم فى البحر او … فى النار مثوى الكفره
من يزرع شرا فى الورى … يحصده حقا ويره

*   *

هم الذين بدأوا … بالغدر فانظر أثره
واوقدوا نار الوغى … محرقة مدمره
وهجموا كأنهم … وحوش غاب خطره
وامطروا قنابلا … مهلكة مزمجره
وشوهوا بالنابلـ … ـم أوجها منوره
وبتموا ورملوا … بخسة وبربره
وهجموا غدرا على … أوطاننا المحرره
غافلين بعد غدرهم … الا الحروب المشهره
فى الشام والاردن والـ … ـمغرب كنا تسوره
تذود عن حرمنا … كخالد او عنتره
وما رهبنا جحفلا … وعدة مدخره
وما يئسنا لحظة … ولا رجعنا القهقره
لكن وقفنا ، والوقو … ف خطة مدبره
قالوا : انهزمنا ، كذبة … من تلة مستهتره
لم ننهزم قط ، ولـ … ـكن قد قبلنا المشوره
من « مجلس الامن » الذي … دعى لوقف المجزره
و « هيئة الامم » مـ … ـع وفودها المؤتمره
قد درسوا مشكلنا … والكل ابدى نظره
والحق باد كالنجو … م فى الظلام النيره
فان وفوا وانصفوا … فذاك منهم مفخره
او بخسوا ، عدنا الى … حملتنا المظفره
والنصر والفوز لنا … ومن يعيش ـ قطعا ـ يره

*   *

الله أكبر لما   أجله وأكبره
قد كتب العز لنا   واللطف فيما قدره
ووعده بالفتح في   قرآنه قد سطره
والمجد للإسلام في   كتابه قد قرره
وكل من نصر دينـ   ـنه الحنيف نصره
أو حرر « القدس الشريـ   ـف » عزه ووقره
صبرا بني العرب الكرا   م المخلصين البرره
فالصبر كالصبر ولـ   ـكن لبه كالسكره
بالصبر والحكمة يقـ   ـضى كل شعب وطره
أن تصبروا حقا تنا   لوا النصر ثم السيطره
هبوا بني الإسلام هـ   ـبوا عصبة مؤزره
تقدموا إلى الأما   م جبهة معززه
واسترجعوا « القدس » الذي   صلاح الدين حرره
وعمر من قبله   أنقذه وطهره
« المسجد الأقصى » لنا   لا لليهود الغدره
فحرروه وارفعوا   أصواتكم مكبره
ثم اسجدوا لله في   بقاعه المطهره
واستبسلوا ، واستبشروا   بالفتح ثم المغفره
أن تنصروا الله تروا   أوطانكم محرره

تطوان — محمد العربي الشاوش

هي الأوطان في يوم العناق ...

للشاعر : محمد بن علي العلوي

دعي الاعراض ملهمتي وعودي ... الى مثواك في الخفاق عودي
وخلي الصد ملهمتي فاني ... اكاد اجن من الم الصدود
ايا شيطانة الاشعار عودي ... وجودي بالبديع من القصيد
اليس البعد ملهمتي بكاف ... لجعل الشوق يفتك بالعميد ؟
اليس الهجر يفعل في قلوب ... كفعل النار في اوراق عود ؟
تعالي نحو صب مستهام ... تجاوز في الهوى اقصى الحدود
فلا (روميو) يضارعه غراما ... ولا (المجنون) في ارجاء بيد
فعودي نحو من اضحى يعاني ... سعيرا من لظى الاشواق عودي
فاني رغم ما تبدين اهوى ... واهوى ثم أطمع في المزيد
وما قلبي يهيم بذات خال ... ولا ذات السوالف والعقود
ولكني أهيم بأرض قومي ... واوطان الاشاوس من جدودي
بلاد المجد تجعلنا نباهي ... ونفخر بالطريف وبالتليد
بلادي ما علمت لها مثيلا ... هي الفردوس في دنيا الوجود
ثغور الزهر تضحك في رباها ... وتنشر في الربى نفس الورود
واجواق العنادل في سماها ... تزغرد في سنا العهد الجديد
وامواه الجداول في اندفاع ... توقع في الحصى لحن الخلود
واشجار النخيل تتيه غنجا ... وترقص في السنا رقص القدود
واطلسنا الاشم اتيم رمزا ... يفسر للورى معنى الصمود
فهاتي الشدو أعذبه سماعا ... وهاتي السحر من نغمات عود
وهاتي الوحي اجمله عقودا ... تفوق الدر في اعناق غيد

وغني وامرحي طربا وميسي   وتيهي وارقصي فرحا وزيدي

فان الناس فى افراح ذكرى   تعود بنا الى الحدث السعيد

وافراح التحرر فى بلادي   تعم الناس من بيض وسود

اليس الناس كلهم سواء   تهز قلوبهم افراح عيد

هي الاوطان فى يوم انعتاق   تذكرت الخروج من اللحود

تذكرت ابن يوسف قد اتاها   يبشرها بتكسير القيود

جزاه الله عنا كل خير   واسكنه فراديس الخلود

لقد قهر العداة فما استفادوا   من التضليل والمكر الشديد

وقابل عنفهم بقوي عزم   يفل مضاؤه باس الحديد

فما اغناهم التهديد شيئا   ولا نفع المديد من الجنود

ولا اجدى المتاد لرد ليث   عن التحرير والعمل المفيد

فايقظ امة شبعت مناما   واخرجها الى دنيا الوجود

فلا (كيوم) يسمها نيبتا   ولا الاسماع تقذف بالوعيد

ولا القواد والبشوات تشرى   بأوسمة المقيم على البرود

ولا الخرفان تاكلها كباش   اسال لعابها طعم الثريد

ولا السجن البغيض يضم حرا   ولا الاغلال تفتك بالجليد

ولا الجيش الدخيل يهين شعبا   ويعثر فى السهول وفى النجود

زمان البغي والدخلاء ولى   وحررت البلاد من القيود

بلاد اهلها عرفوا قديما   بكل فضيلة واصيل جود

ولا زالوا كما كانوا اباة   وهل تلد الاسود سوى الاسود ؟

اذا طلبوا المعالي ادركوها   وفاتوا اوجها رغم الحسود

وان طلب الحمى منهم فداء   اتاه الكل فى زي الجنود

ويسمع منهم لبيك انا   حماة المجد والوطن المجيد

نسير لعزة الاوطان حتى   ترفرف فى السهى حمر البنود

وقائدنا الى الامجاد شهم   يثور على التخلف والجمود

هو الحسن العظيم رفيق عز   وقائد ثورة وحليف جود

الى الاوطان يعمل كي يراها   مواطن عزة وسما سعود

يجندها الى الخيرات دوما   ويسعدها بانشاء السدود

فاعظم بالهمام يقود شعبا   الى الامجاد والعيش الرغيد

فاس : محمد علي العلوي

في مروج "وريكة"

للشاعر المدني الحمراوي

« وريكة » تسبيحة ترشد
ففيها تصورت مغزى الحياة
وفيها اكتشفت على بغتة
جمال بلادي ، وهل من جمال
مروج كأن مباهجها
ترف ازاهرها مثلما
تموج اخضرارا كبحر غدا
وفي كل افق بدا رفرف
تصلي شجيراتها خفية
وقد غسل النهر اقدامها
وللطير في كل يوم بها
تردد فيها تراتيلها
وترفع شكرا مناقيرها
تمجد ما صنعت كفه
فيا لوريكة كم جئتها
فعانقت فيها طيوف المنى
لقيت بغاباتها بغيتي
كأن شجيراتها امة

وأغرودة سرها امجد
واحسست اني بها اسعد
جمالا يفيض ولا ينفد
يشابهه ؟ انه مفرد
بساط من الخلد متورد
تلالا في فضة عسجد
يسد الجهات ولا يزبد
وفي كل سفح جرى مورد
وتلك الجبال لها معبد
فكادت على شطه تسجد
مواسم حج له مشهد
عشيا وصبحا كمن يعبد
الى خالق واهب يحمد
فما بال هذا الورى يلحد ؟
وقلبي على همه موصد
وعاودني امل مسعد
فهل كان لي معها موعد ؟
هناك الوقوف لها سرمد

تخاطب بالصمت من زارها ... وتلهم من جاء يسترشد

وتصغي الى الله اغصانها ... ومن رهبة الله لا ترقد

تقوم لهيبته كلها ... مدى الدهر خاشعة ترعد

كأن ملائكة تلتقي ... هناك تبارك ما تشهد

فتترك فى الغاب آثارها ... من النور والعطر اذ تصعد

هنالك حقا عرفت الذي ... يمجده كل ما يوجد

عرفت الهي واحببته ... اله عظيم به اشهد

فقربت قلبي من نوره ... فالهمني انه اوحد

فصرت هناك أصلي له ... مع الايك والطير اذ تنشد

وصلى له النهر من حولنا ... وحصباؤه وكذا الجلمد

وقد طعن الشمس رمح الغروب ... فمالت الى الافق تستنجد

وجاء المساء باشباحه ... وخيم عسكره الاسود

فهبت ترتل تسبيحها ... ضفادع بالله لا تجحد

نقيق تردد اصداءه ... جبال عن الغاب لا تبعد

ونامت « وريكة » فى نشوة ... وبين الورود لها مرقد

يداعبها حلم شيق ... وانجمها اعين ترصد

تعال اخي هذه ارضنا ... تحب الانام ولا تحقد

بها كل يوم نرى نعمة ... وفى كل فجر منى تولد

تعال نشاهد معي حسنها ... السنا على حسنها نحسد ؟

وشاهد هنا امة حرة ... يقود مواكبها اصيد

ويبني بهمته مجدها ... ويلهمها فكره الارشد

ترفرف بالعدل راياته ... ويحدوه طالعه الاسعد

فطوبى لشعب تباركه ... يد الحسن الحر نعم اليد

الرباط ــ المدني الحمراوي

بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج

للشاعر محمد محمد العاصي

حي ذكرى الاسراء والمعراج   فبها تنجلي سجوف الدياجي

وهي نور ثر من الله يسري ،   وعلاج اعظم به من علاج

هيبة (المسجد الحرام) تجلت   في رحاب (الاقصى) بخير سراج

انه المصطفى الذي شرع الديـ   ـن قويما بنوره الوهاج

هذه (القدس) كلها تحضن الذكـ   ـرى ، فيدوي الصدى بتلك الفجاج

انها رحمة السماء الى الار   ض ، وزاد الغريب والمحتاج

كيف لا ، والنبيء اصبح مسرا   ه سبيل الخلاص والافراج

يا حبيب السلام ، يا منبع الوحـ   ـي ، ويا كعبة الفؤاد الراجي

علم الناس سرعة الحب والخيـ   ـر ، وقوم بالحق كل اعوجاج

يا رسولا اتى بذكر حكيم   بعد ما كان للاله يناجي

ادرك المسلمين فيما يقاسو   ن ، فهاهم في بؤرة الاحراج

ايقظ الغافلين من سلكوا نهـ   ـج شقاق وفرقة وانفراج

قد طغت ها هنا جحافل صهيو   ن ، وقامت في فتنة وهياج

واستباح الاعداء كل حرام   وابانوا عن خطة الادماج

ليس منهم الا حقود زنيم   او دخيل يبدو بشبر مزاج

وهم كالسموم في كل شعب   لعنوا ، ان مكرهم ذو ازدواج

اشربوا الغدر والنفاق فما منـ   ـهم سوى مفسد تراه يداجي

تقشعر الجلود مما اتوه   باقتطاع الاوصال والاوداج

زرعوا البؤس والخراب ، وما حنـ   ـنوا لقتل الاطفال والازواج

عطشوا للدماء والاثم لما   ذبحوا الآمنين ذبح النعاج

واللصوص اللئام يغتصبون الـ ... أرض قهرا غزيرة الانتاج

لم يكونوا كما ادعوا ، بل اساءوا ... ومضوا في توسع واندراج

كذبوا حين امعنوا في التعدي ... وتمادوا في فتنة ولجاج

وحقوق الانسان ديست وصارت ... في عقول الجناة مثل الاحاجي

عنفتهم ضمائر الكون طرا ... حين ضجت اصواتها باحتجاج

وأقاموا الابراج ، ثم نسوا اللـ ... ـه مبيد الطغاة والابراج

سوف تهوي احلامهم في كساد ... بعد أن كان ظلمهم في رواج

فسل اللاجئين في كل صوب ... حين عاشوا في نكسة واهتياج

اخرجوهم من الديار مساهم ... ان يسودوا في ذلك الاخراج

نسجوا في خيالهم صولة الدهـ ... ـر ، وبيس الطغيان من نساج

لا يغرنك ما ترى من جموع ... ممعنات في البطش والادلاج

سوف تمضي كما مضى كل قوم ... حسبوا نصرهم في الاستدراج

واسود الفداء خاضوا المنايا ... بسرور وغبطة وابتهاج

زلزلوا الغاصبين ، واقترب (الفتـ ... ـح) وهال الاعداء ذاك التناجي

وجنود الشيطان في الخزي والمسـ ... ـخ تواروا في الذل خلف الرتاج

كلما طالت الليالي ، فان الـ ... ـحق يجلى كالصبح بعد انبلاج

*

يا الهي ادعوك في خير ذكرى ... واصلي والليل في الكون ساج

ليس يخفى عنك الذي في فؤادي ... فارحم اليوم محنتي وانزعاجي

يا الهي هذي (فلسطين) تدعو ... فاحفظ اللهم (قدسهم) بسياج

يا الهي هذي العوالم طرا ... تحت سقف ممرد كالزجاج

يا بصيرا بالحال ، انقذ حراما ... لك ، وارحم ضراعة الحجاج

انت ادرى ، وانت اقوى جنودا ، ... انت ادنى لهذه الافواج

فاهزم الغادرين وابعث عليهم ... هائجات الرياح والامواج

انت من فجر العيون بماء ... سلسبيل عذب الجنى ثجاج

انت كهف للخائفين دواما ، ... كل من صنته فلا شك ناج !

يا الهي اذا ادلهمت خطوب ... جدت يا بارىء الورى بانفراج

فاحفظ اللهم للبلاد مليكا ... عربيا يسمو بأرفع تاج

انت الهمتنا سبيل رشاد ... يوم ذكرى الاسراء والمعراج

الرباط : محمد بن محمد العلمي



مدخل

مدخل — الاحتفالات المرينية بالمولد النبوي — الاحتفالات الشعبية بالمولد النبوي — أصداء الحفلات المولدية في آداب الفترة المرينية — تجاوب جهات من الغرب الاسلامي مع الحفلات المولدية المرينية — موقف علماء المغرب من عمل المولد النبوي .

أولا : وجد الاحتفال بالمولد النبوي منذ عهد الفاطميين بمصر . حيث كانوا يحتفلون به ضمن ستة مواليد ، وهي مولد السيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومواليد آل البيت عليهم السلام : علي ابن ابي طالب ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة الزهراء ، والسادس : مولد الخليفة الحاضر (1) .

ويقص رحالة اندلسي (2) — عام 579 هـ 1183 م — أن مشهد مولد السيد الرسول — صلوات الله عليه وآله — بمكة المكرمة يفتح في شهر ربيع الاول ويوم الاثنين منه بالخصوص ، فيدخله الناس كافة ، حيث ان الولادة الكريمة وقعت في يوم الاثنين من هذا الشهر ، ويضيف البعض (3) لهذا — ممن كان يعيش اوائل القرن السابع للهجرة — أن يوم المولد النبوي يتخذ عطلة عامة بهذه المدينة ، وتفتح فيه الكعبة المشرفة ليؤمها الزوار .

وكان امير « اربل » الملك المعظم ، مظفر الدين فكبري صهر صلاح الدين ، مولعا بعمل المولد النبوي ، عظيم الاحتفال به ، وقد توفي عام 630 هـ/1232 م (4)

---

1) « المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار » للتقي المقريزي ، مطبعة الساحل الجنوبي ، الشياح ، لبنان مج 2 ص 389 .

2) هو ابن جبير في « رحلته » ، « مطبعة السعادة » ، مصر ، عام 1326 هـ /1908 م — ص 87 — 88 .

3) هو ابو العباس العزفي في « مولده » آتي الذكر ، خ ، ع ، ك 1469 — ص 23 .

4) « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » لابن خلكان ، « مطبعة بولاق » ، 1299 هـ ، اثناء ترجمة الملك المعظم ، ج 1 ص 550 — 554 ، اما مدينة اربل فتقع في العراق جنوبي شرقي الموصل ، انظر عن التعريف بها دائرة المعارف الاسلامية « الطبعة العربية » : المجلد الاول — ص 570 — 577 . وقد زار مدينة اربل امام مغربي عام 604 هـ/1207م ، وحين راى احتفال صاحبها بالمولد النبوي ، الف له اول كتاب مذكور في هذا الصدد ، وسماه : « كتاب التنوير ، في مولد السراج المنير » الذي لا يزال غير معروف . اما مؤلفه فهو ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد ابن دحية الكلبي السبتي الاصل ، المتوفى بمصر عام 633 هـ/1235 م . انظر عن ترجمته ومراجعها : معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 7 ص 280 — 281 مع ج 13 ص 408 .

ثـانيـــا : ثم كان اول من ندب لهذا الاحتفال بالمغرب ، هو قاضي سبتة ابو العباس احمد بن القاضي محمد بن احمد اللخمي ثم العزفي السبتي ، المتوفى عام 633 هـ/1236 م (5) ، وهو يذكر في مقدمات كتاب الدر المنظم » (6) — الذي ابتدا تاليفه — الحافز له على الدعوة لهذا الاحتفال ، فيستعرض المواسم التي دأب المسلمون — بالاندلس وسبتة — على الاحتفال بها ، ويتابسون فيها المسيحيين في اقامة « النيروز » (7) و « المهرجان » (8) و «وميلاد السيد المسيح عيسى» (9) عليه السلام ، فدفعه هذا ان يفكر فيما يشغل عن هذه البدع ، ويقضي على هذه المناكر ولو بأمر مباح ، فوقع في نفسه أن ينبه اهل زمنه على الاعتناء بمولد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم رأى ان تلقين ذلك للنشء الصغير انجح وانفع ، فأخذ يطوف على الكتاتيب القرآنية بسبتة، ويشرح لصغارها مغزى هذا الاحتفال ، حتى يسري ذلك لابائهم وامهاتهم بواسطتهم ، ثم دعا الى تعطيل قراءة الصبيان يوم هذا المولد العظيم ، وهكذا نشأ هذا الاحتفال لمقاومة التقليد الديني للمسيحيين ، وهو الذي كان احد عوامل ضعف الشخصية الاندلسية .

وقد حدث — بعد هذا — أن انتصب أبو القاسم محمد العزفي اميرا على سبتة (10) ، فكان من اعماله تحقيق دعوة والده ، واحتفل — في هذه المدينة — بالمولد النبوي من اول « ربيع » بعد امارته : « عام 648 هـ / 1250 م » ، حتى عام وفاته : 677 هـ / 1279 م ، وهذا كتاب « البيان المغرب » (11) يصف احتفال أبي القاسم العزفي بالمولد النبوي من اول عام امارته ويقول :

« ومن مآثره العظام ، قيامه بمولد النبي — عليه السلام — من هذا العام ، فيطعم فيه اهل بلده الوان الطعام ، ويؤثر على أولادهم — ليلة يوم المولد السعيد — بالصرف الجديد (12) من جملة الاحسان عليهم والانعام ، وذلك لاجل ما يطلقون المحاضر والصنائع والحوانيت (13) يمشون في الازقة يصلون على النبي عليه السلام ، وفي طول اليوم المذكور يسمع المسمعون لجميع اهل البلد مدح النبي عليه السلام ، بالفرح والسرور والاطعام للخاص والعام ، جار ذلك على الدوام ، في كل عام من الاعوام » .

ومن تاليف ابي القاسم العزفي في هذا الصدد ، قيامه بتكميل كتاب والده : « الدر المنظم في مولد النبي المعظم » ، وقد اخرجه في نسختين : صغرى ، وكبرى وهو يميز في هذه الاخيرة كلام والده فيترجم عليه بـ « قال المؤلف » ثم يعنون زياداته بكلمة « قلت » (14) ، والمعروف — لحد الآن — من هذا الكتاب هو نسخته الكبرى التي لا تزال مخطوطة ، وتحتفظ الخزانة العامة بالرباط بواحدة منها تحمل رقم ك 1469 ، من 401 ص في مجلد ضخم ، مكتوبة بخط مغربي قديم ومكمل بخط حديث ، خال من تاريخ التاليف والنسخ واسم الناسخ وهي تشتمل على مقدمات يتلوها 41 فصلا (15) ، وتوجد نسخ منها : بمكتبة القرويين بفاس ، وبالمكتبة

---

5) ترجمته في « برنامج ابن أبي الربيع » الذي جمعه أبو القاسم ابن الشاط ، نشر وتحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني — ص 41 — 42 .
6) المخطوط المذكور عند التعليق رقم 3 ، ص 1 — 24 ، حيث طول الموضوع بما يستدل به من الاحاديث والآثار ونصوص العلماء ، وضمن هذا يستطرد وصف احتفالات اهل الاندلس وسبتة بالاعياد المسيحية .
7) أول يناير حسب التقويم الجريجوري ، حيث يوافق سابع ميلاد السيد المسيح عيسى عليه السلام .
8) هو العنصرة ، حيث ذكرى ميلاد النبي يحيى عليه السلام : يوم 24 يونيه .
9) يوم 25 ديسمبر حسب التقويم الغربي .
10) انظر هذا الانقلاب : « البيان المغرب » لابن عذاري ط . تطوان ، ج 3 ص 400 — 401 .
11) ج 3 ص 401 — 402 .
12) كانه يقصد عملة جديدة تسك خصيصا لهذه الليلة ، اخذا مما كان يقوم به ابو عنان المريني في مثل هذه المناسبة ، حيث سيذكر عند موضوع « الاحتفالات المرينية بالمولد النبوي » .
13) يقصد تسريح أطفال الكتاتيب والمصانع والمتاجر
14) آخر « الدر المنظم » حسب المخطوط المتكرر الذكر — ص 400 .
15) ورد وصف هذه النسخة بالذات بـ « المجلة الزيتونية » في العدد الخاص بالمولد النبوي الشريف لعام 1356 هـ .

الملكية التي تحتفظ بثلاث منها تحمل ارقام : 816 و 1274 و 1431 ، على بتر في أوائل الثانية التي تقع اول مجموع ، والسادسة حديثة النسخ بمكناس بالمكتبة الزيدانية رقم 1721 ، السابعة بالخزانة العامة ايضا تحت رقم د 2748 ، الثامنة بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم 388 ، مبتورة الآخر ، ويلاحظ أنه في آخر بعض هذه النسخ توجد الاحالة على الاصل الاول لهـــا ، المكتوب برسم خزانة مكمل تاليفه ابي القاسم العزفي ، على يد كاتبه خديم ناديه ، وصنيعة اياديه : خلف بن عبد العزيز القبتوري (16) ، في غرة شهر جمـــادى الاولى ، سنة 653 هـ/1255 م .

❊

ورغب ابو القاسم العزفي في تفسيح مجال هذا الاحتفال بالمغرب ، فاهدى للخليفة الموحدي عمـــر المرتضى كتاب « الدر المنظم » ، ورغب منه أن يساهـــم — بدوره — في هذه المأثرة ، فصار هذا يقوم بليلـــة المولد النبوي بمراكش ، ويحتفل لذلك احتفالا لم يقدم وصفه المصدر المعني بالامر ، واقتصر على القول بأن الخليفة الموحدي كان يفيض فيه الخير والانعام (17) .

ويلاحظ أن اثر احتفال مراكش انعكس — اكثر — في الناحية الادبية ، وظهر هذا — اولا — في نتفة شعرية لعمر المرتضى نفسه ، وفيها يمجد شهر ربيع الاول ، بمناسبة الولادة النبوية الواقعة فيه (18) ؛ كمـــا أن مؤرخا مختصا بالمرتضى كتب عن المولد النبـــوي في مؤلفين ، وعن السيرة النبوية عموما، وليس هذا ســوى ابي علي الحسن بن علي بن محمد بن عبـــد الملـــك الكتامي الرهوني المعروف بابن القطان ، نزيل مراكش الى عام 661 هـ (19) / 1263 م ، وهذه بعض آثاره :

1 — « المرشد لاثار المولد » ، وهذا لا يعرف الا من خلال اشارته له في مؤلفه الآخر : « شفاء الغلل ، في أخبار الانبياء والرسل » (20) ، عند بداية الترجمة النبوية من هذا الكتاب ، وقد صنفه برسم المرتضى الموحدي الذي وضع له — ايضا — المؤلفات التالية :

2 — « كتاب المسموعات » ، ضمنه قصائـــد مختارات فيما يخص بالمولد الكريم ، وشهور رجـــب وشعبان ورمضان وغير ذلك ، ولا يزال غير معروف .

3 — « كتاب الاحكام من آي خيـــرة الانـــام » ، مخطوط بمكتبة القرويين بفاس ، تحت رقم ل 40/ 292 .

4 — « نظم الدرر . بآي احمد اجل البشـــر » ، أرجوزة مطولة تبلغ — تقريبا — 6300 بيت ، نظـــم فيها كتابه « الاحكام من آي خيرة الانام » الآنف الذكر، منه نسخة بمكتبة القرويين في مجلد ضخم يحمل رقم ل 291/40 ، وهي مكتوبة لخزانة المرتضى الذي انشىء النظم برسمه ، ورفعه له مؤلفه ليوم المولد النبوي عام 661 هـ/1263 م (21) .

الاحتفالات المرينية بالمولـــد النبـــوي

كان اول من احتفل بالمولد النبوي من بني مرين هو ماهد هذه الدولة يعقوب بن عبد الحق ، فأقام ليلة المولد بفاس ، واستمع الى قصائد الشعراء وكلمات الخطباء (22) ، ثم احدث ابنه يوسف تعميـــم هـــذا الاحتفال في جميع جهات المغرب المريني ، صدر هـــذا عنه — لما كان في قلعة صبرة من اقليم الريف — آخر صفر عام691 هـ/1292م ، حسب روض القرطاس(23)

---

(16) من اعلام سبتة في هذه الفترة ، انظر عـــن ترجمته ومراجعها : « بغية الوعاة » للسيوطي ، « مطبعة السعادة » ، مصر — ص 242 — 243 .

(17) « البيان المغرب » ص 452 .

(18) المصدر الاخير ، ص 452 ، حيث اثبت نص النتفة من سبعة ابيات على قافية الميم .

(19) لا تعرف ترجمته التي توجد — دون شك — في الضائع بقسم الغرباء من « الذيل والتكملة » لتلميذه محمد بن عبد الملك المراكشي ، وهناك شذرات عن حياته تستنتج مما سيذكر من مؤلفاته والمراجع عنها .

(20) انظر عن وصفه : محمد المنوني : « ملاحم ودواوين . في السيرة والمديح النبوي » ، مجلة « دعوة الحق» العدد التاسع والعاشر « مزدوج » ، السنة التاسعة — ص 100 .

(21) المصدر الاخير ، ص 100 و 102 ، مع « الخزانة العلمية بالمغرب للاستاذ الكبير محمد العابـــد الفاسي الفهري — ص 13 — 14 .

(22) نصح ملوك الاسلام لمحمد ابن السكاك ، ط . فاس — ص 29 .

(23) ط . فاس ، 1305 هـ — ص 281 .

الذي تضيف أوراق مخطوطة منه (24) ان هذا كان باشارة من الفقيه العزفي دون ان تعلن عن اسمه ، وهو — بدون شك — ابو طالب عبد الله بن ابي القاسم العزفي ، الذي كان أمير سبتة فى هذا التاريخ (25) ، وقد كان الذي انابه يوسف فى الاشراف على اقامة رسم الاحتفال بفاس ، هو خطيب القرويين ابو يحيى محمد ابى الصبر ايوب بن يكنول الجاناتي (26) ، وبهذا صار يوم الثاني عشر من ربيع الاول عيدا مولديا عاما بالمغرب .

ثم من ايام ابي سعيد الاول بن يوسف اضيف الى ليلة المولد الاحتفال بسابعه ، الذي كان يشرف عليه ابنه وولي عهده ابو الحسن (27) ، وقد استمر هذا الاحتفال الجديد بعد ، وجاء التلميح له فى قصيدة مولدية رفعت لابي عنان (28) ، وورد فيها البيت التالي :

وموسم جل قدرا باعتناك بـــه

راقت لياليه وازدانت **سوابعــه**

وفى ايام هذا السلطان تبنت الدولة القيام بنفقات الاحتفالات بليلة المولد فى سائر جهات المملكة (29) .

*

وقد اخذت هذه الحفلات طابعها الكامل على عهد ابي الحسن وابنائه الذين سترد تسميتهم بعد ، ويمدنا « المسند الصحيح الحسن » (30) بوصف مقتضب لحفلات ابي الحسن بهذا المناسبة .

وهو يذكر ان هذا السلطان داب على أن يقيم ليلة المولد حضرا وسفرا ، ويستعد لها بألوان المطاعم والحلويات ، وانواع الطيب والبخور ، مع اظهار الزينة ، والتأنق فى اعداد المجالس ، حتى اذا حلت الليلة ، وادى السلطان صلاة المغرب ونافلتها ، قصد الى مجلسه فى مكان الاحتفال ، حيث يستدعي الناس للجلوس حسب مراتبهم ، ويأخذون المجالس على طبقاتهم ، فينتظمون فى احسن زي ، واجمل شارة ، ثم يقدم الطعام على ترتيب مخصوص ، يتلوه من الفواكه الطرية ما يوجد فى ابانه ، وبعدها يؤتى بالفواكه اليابسة ، ثم الكعك (31) والحلويات ، واخيرا الطائف السكر ، وجميع ذلك على اعجب ما يتحدث به : كثرة وحسنا ، وربما اختلفت العادة فى التوالي مرة ، وفى الفترة اخرى ، وقد يقع الاطعام بعد العشاء الاخرة .

فاذا استوت المجالس وساد الصمت ، قام قارىء العشر فرتل حصة من القرآن الكريم ، ويتلوه عميد المنشدين فيؤدي بعض نوبته ، ثم ياتي دور قصائد المديح والتهاني بليلة المولد الكريم ، من نظم شعراء المملكة والزائرين ، فتلقى على نظام محفوظ ، وترتيب محكم ، على قدر المنازل ، والرتب والمناصب (32) ، وبعد هذا تسرد المعجزات النبوية ، وتكثر الصلاة على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي — حسب تعبير ابن مرزوق — من أعاجيب ما يرى فى بلاد المغرب ، فاذا قضيت صلاة الصبح تقدم الوان الطعام المختصة بهذا الوقت ، وجميع ما يفضل من بخور وشموع يقتسمه الفقراء المسافرين على قدر استحقاقهم فيجتمع لهم من ذلك العدد الكثير .

---

24) هي عبارة عن قطعة منه بها زيادات على المطبوع ، وتقع ضمن مجموع : خ . ع ، د 2152 — ص 151
25) انظر جذوة الاقتباس ط . فاس — ص 243 — 244 ، مع ازهار الرياض ط . لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة — ج 2 ص 377 .
26) « روض القرطاس » ص 281 ، مع تكميل اسم ابن ابي الصبر من « جنى زهرة الاس » ، « المطبعة الملكية » بالرباط — ص 60 .
27) هذا يؤخذ من قصيدة مولدية لابي العباس ابن القراق ، وسترد الاشارة لها ولمصدرها عند موضوع « قصائد التهاني المولدية » .
28) القصيدة للشاعر احمد ابن عبد المنان ، وسترد الاشارة لها ولمصدرها عند موضوع « قصائد التهاني المولدية » .
29) تحفة النظار لابن بطوطة ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة 1377 هـ — ج 2 ص 184 .
30) الباب السادس ، الفصل 6 ، خ . ع . ق . 111.
31) الكعك خبز داخله حشو من تمر أو عسل او ابزار ونحو ذلك ، حسب شرح بيوع ابن جماعة للقباب، حيث يذكر انه يطلق — ايضا — على المشماط « بالميم اوله » ، الذي يسمى بالقراجل بالجيم ، ولعلها مشوبة بشين معجمة ، لتقارب النطق الحالي لهذا الاسم .
32) يظهر ان المسمع هو الذي كان يتولى انشاد هذه القصائد .

وفى صباح يوم سابع المولد يجلس الكتاب لتوزيع العطاء على الاشراف والاعيان والفقهاء والايمة والخطباء والقضاة الواردين ، فيعطى كل على قدره: كسوة تخصه ، واحسانا للبعض (33) .

هكذا يصف ابن مرزوق هذه الحفلات المولدية ، التي يذكر انه لازم حضورها والاختصاص بالاطلاع عليها ، من عام 738 هـ الى منصرفه من تونس « عام 750 هـ » ، كما يذكر ان ابناء ابي الحسن ساروا بسيرة ابيهم فى هذا الصدد ، وادخلوا على ليالي المولد تحسينات زادتها رونقا وجلالا ، والمعني بالامر : ابو عنان ابو سالم وابو فارس الاول ، ومن هذا ان أبا عنان كان يسك — بمراكش — دينارا ذهبيا كبيرا من وزن مائة دينار ، ليقدمه الى احدى الشخصيات الزائرة ضمن صلة عيد المولد النبوي (34) .

ومن التحسينات التي جمل بها ابو عنان هذه الليلة ان قاعة الاحتفال صارت تزين بالساعة الميكانيكية التي اخترعت وشيكا لتخبر بالمواقيت ، وهي جهاز لمعرفة الاوقات الليلية ، يحف به اثنا عشر طاقا يعلوها شكل هلال يدور عليها ، وفى داخل كل طاق صورة جارية ، فاذا حلت الساعة المعينة ، اعلن عنها الطائر الجاثم اعلى الساعة ، بواسطة صنجة يلقيها الى طست فتبرز جارية فى يمنها رقعة بالساعة المعينة ، لتضعها بين يدي ابي عنان ، بينما تجعل يسراها على فيها كالمبايعة ..

وقد جاء الاعلان عن وجود هذه الساعة ضمن شارات الحفل ، فى قصيدة مولدية رفعت لابي عنان عام 757 هـ/1356 م ، نظمها الشاعر احمد ابن عبد المنان آتي الذكر ، وتناول فيها وصف هذا الجهاز الجديد فى 17 بيتا (35) ، ثم ذكرها ابن الخطيب فى احد دواوينه (36) ، بمناسبة تقديم نموذجين من المقطوعات التي نظمها على لسان هذه الساعة ، وقد ورد فى احدهما ذكر « المستعين » وفى الثاني « ابو سالم » و « ليلة المولد الكريم » ، ليتبين أنهما نظما برسم هذه الساعة المرينية ، التي ستكون موضوع بحث على حدة باعانة الله سبحانه (37) .

ظهرت ساعة الغني بالله محمد الخامس ابن نصر بغرناطة ، فى اوائل عام 764 هـ/1362 م ، وهي مذكورة وموصوفة عند ابن الخطيب فى نفاضة الجراب، السفر الثالث ، خ . ع ، ك 256 — ص 218 — 227 .

الاحتفالات الشعبية بالمولد النبوي

اصبح يوم الثاني عشر من ربيع الاول عيدا مولديا عاما ، يحتفل فيه المغرب على مختلف المستويات ، فتقام الافراح ، وتضاعف الاضواء ، ويتجمل بما حسن من الثياب ، وفى فاس صار هذا اليوم موعد دخول الصبيان للكتاتيب القرآنية ، وكان البعض ياتي بهم فى موكب صاخب بالبوق والطبل وانواع الطرب ، وسوى هذا فقد جعل المغاربة هذا اليوم ميعاد المهمات اشغالهم

---

33) هكذا يذكر ابن مرزوق فى « المسند الصحيح الحسن » ، وينقل ابو القاسم الزياني عنه فى كتاب يسميه « السمط الحسن فى محاسن ابي الحسن » ؟ حيث يذكر عن هذا السلطان ما يلي : « وفى ليلة المولد النبوي يفرق مائة الف دينار على الفقهاء والاشراف والطلبة واهل الذكر ، ومن ياتي لحضور المولد من علماء المدن وقضاتها وطلبتها، وكل من له وظيف يقوم به ليلة المولد : من المائة الى العشرة ، هذا دأبه فى كل عام » ، « الترجمان » ، مخطوطة خاصة ، آخر موضوع دولة بني مرين ، أثناء الباب 18 .

34) ازهار الرياض ج 1 ص ٥٧ .

35) سترد الاشارة لهذه القصيدة ومصدرها عند موضوع : « قصائد التهاني المولدية » .

36) « مخطوطة خاصة » ، تشتمل على قطعة منه بها اشعار مرتبة على حروف المعجم : قصائد مطولات ومقطوعات فى مختلف الاغراض ، وتبتدىء آخر حرف الهمزة ثم الباء فالتاء فالجيم فالحاء ، ثم يقع بتر ياتي بعده حرف الدال فالذال فالراء حيث ينتهي الموجود من الديوان الذي يقع فى 108 ورقة من حجم 150/195 ، والغالب ان هذه القطعة هي من « مختصر الصيب والجهام » ، المسمى « طل الغمام ، المقتضب من الصيف والجهام » ، وقد وردت نسبة لابن الخطيب عند ابن القاضي فى درة الحجال رقم 760 — اما النموذجان المشار لهما فقد وردا فى هذه القطعة عند ورقة 41 . أ ، مع ورقة 46 . أ .

37) من الجدير بالذكر ان هذه الساعة يسبق الاعلان عنها ساعة السلطان ابي حمو موسى الثاني بتلمسان وقد ظهرت اوائل عام 760 هـ/1359 م ، وهي مذكورة وموصوفة فى بغية الرواد ج 2 ص 40 — 41 مع ص 218 — 222 ثم بعدها .

ومناسبة لختان اطفالهم (38) ، وهذه ثلاثة نماذج من احتفالات بعض المؤسسات الشعبية بهذه المناسبة :

1 — الكتاتيب القرآنية :

كانت الكتاتيب القرآنية تزين لهذه المناسبة ، وتضاء بالشموع ، ويجتمع اطفالها لترديد الصلوات النبوية ، كما يتقدم احدهم — ممن هو حسن الصوت — لترتيل عشر من القرآن الكريم ، ثم ينشد قصيدة في مديح السيد الرسول صلوات الله عليه وآله .

هذا ما يوخذ من سؤال رفع للفقيه احمد القباب الفاسي في هذا الصدد (39) ، وهناك توضيحات لبعض نقط هذا الوصف ، وردت عند الحسن بن محمد الوزان الفاسي : « ليو الافريقي » (40) ، حيث يذكر ، ان المعلم ياتي بمنشدين يترنمون بالامداح النبوية طول الليل ، ويعطي كل اب لولده شمعة كبيرة تساوي ثلاثين ابرة ، ومنها ما يساوي اكثر او اقل على حسب ثروة الاب ، وعلى الشمعة نقوش وزخرفة بالالوان والخطوط الهندسية ، وصور ازهار بارزة الشمع ، وهي توقد من اول الليل الى الشروق ، وما بقي من الشمع ياخذه المعلم ويبيعه ، وربما اجتمع لديه من ذلك 200 دكة (41) فاكثر ، على حسب كثرة تلاميذه .

والغالب ان هذا الشمع صارت له اهمية خاصة مع مر الزمن ، في المغرب الاقصى والاوسط ، قال الونشريسي (42) معقبا : « يظهر من هذا الكلام : القضاء بالشمع للمعلمين على آباء الصبيان ، في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، لانه معتاد ببلاد المغرب الاوسط والاقصى ، ولا نزاع في انتصاب المعلمين لاجله » .

الجماعات الصوفية

داب الصوفية — بدورهم — على المساهمة في هذا الموسم ، فقد كان ابو مروان عبد الملك الريفي يقيم — بمنزله بسبتة — المولد النبوي ، بحضور المريدين ومن اليهم ، ويحتفل لذلك بالاطعام ، وانارة المكان بقناديل الزجاج والشموع ، ويستعمل السماع ، وهو من تلامذة ابي محمد صالح الماجري دفين اسفي (43) .

وورد في المعيار (44) سؤال عن جماعة منقطعين بمكان الى العبادة ، ويجتمعون في المولد وشبهه للوعظ والتذكير ، وربما انشد لهم اشعارا في المديح النبوي وما يناسب ذلك مما يحث على الطاعة ، وكان السائل: القاضي احمد بن العجل الوزروالي، والمجيب هو الامام عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي ، وكلاهما كانا يعيشان بفاس اواسط القرن التاسع للهجرة .

وعن جنوب المغرب يذكر القسمطيني (45) ان شهر ربيع النبوي لعام 769 هـ / 1367 م : كان هو الميعاد الذي صادفه لعقد مؤتمر صوفية المغرب الاقصى ، وكان ذلك بدكالة على ساحل المحيط .

شعراء الملحون

وكانوا يجتمعون ليلة المولد النبوي بقاعة سيدي فرج بالعطارين من فاس ، ليتناشدوا اشعارهم في المديح النبوي بمكان مخصوص هناك ، حسب ذكر الحسن بن محمد الوزان الفاسي (46) عن عادة شعراء الملحون في وقته ايام الحكم الوطاسي ، والغالب ان هذه العادة ما هي الا امتداد لتقليد نشأ في هذه الفترة المرينية .

أصداء الحفلات المولدية في أدب الفترة المرينية

قصائد التهاني المولدية :

وقد ظهرت — بالمغرب — في هذه الفترة ، لتلقى اثناء الحفلات المرينية ليلة المولد النبوي ، وكانت تفتتح بالحنين الى البقاع المقدسة ، وتتناول مدح الجناب

(38) « الرسائل الكبرى » لابن عباد ، ط . فاس — ص 37 — 38 مع ص 66 .
(39) « المعيار » للونشريسي ، ج 12 ص 33 .
(40) « حياة الوزان الفاسي وآثاره » ، « المطبعة الاقتصادية » بالرباط — ص 87 — 88 .
(41) الدكة تزن ثلاثة اجرام ونصف ذهبا ، حسب تعليق بالمصدر الاخير ، ص 12 .
(42) المعيار ج 8 ص 160 .
(43) « المقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريف » لعبد الحق بن اسماعيل البادسي ، مخطوطة خاصة.
(44) ج 11 ص 37 .
(45) « انس الفقير وعز الحقير » ، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي ص 71 .
(46) « حياة الوزان الفاسي وآثاره » ، ص 85 .

النبوي وذكر معجزاته ، ثم تتخلص الى مدح السلطان المريني مقيم الاحتفال وتهنئته ، مع التعرض لبعض الاحداث السلطانية القريبة العهد .

ويلاحظ ان هذه القصائد سيكون عددها بالغ الغاية فى الكثرة ، بالنظر الى انها امتد تقديمها — دوريا — كل سنة ، من ايام يعقوب بن عبد الحق ، حتى آخر الدولة : نحو قرنين من الزمن ، والمعروف منها — لحد الآن — لا يعدو اربع عشرة قصيدة ، وهو — طبعا — قل من كثير ، غير أن أصحابها فيهم — لحسن الحظ — فحول الشعراء بالغرب الاسلامي ، وسيرد ذكرهم حسب عصور الملوك الممدوحين .

الاول : ابو العباس أحمد بن سعيد بن أحمد التجيبي المعروف بابن القراق ، لم تذكر بلدته ولاسنة وفاته .

قصيدة دالية من بحر البسيط ، 43 بيتا ، رفعها لابي سعيد الاول الذي كان كاتب علامته ، ومطلعها :

بشرى الهدى بطلوع اليمن حين بدا
فى ليلة خير مبعوث بها ولدا (47) .

الثانـــي : القاضي ابو الحجاج يوسف بن علي الطرطوشي نزيل المغرب ، كان بقيد الحياة اواسط عام 740 هـ / 1340 م .

قصيدة نونية من بحر البسيط ، رفعها لابـي الحسن عام 740 هـ / 1339 م ، واقتبس منها ابـن مرزوق (48) بيتين اثنين .

الثالـث : ابو العباس احمد بن يحيى بن احمد ابن عبد المنان الخزرجي المكناسي نزيل فاس ، المتوفى عام 757 هـ / 1356 م ، ومطلعها :

هل العقيق وما ضمت اجارعـــه
كما عهدناه ام اقوت مرابعـــه (49)

الرابـع : ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميري الغرناطي نزيل فاس ، المعروف بابن الحاج ، كان بقيد الحياة عام 774 هـ / 1372 م .

قصيدة رائية من بحر المتقارب ، ورد منها 79 بيتا ولا تزال طويلة ، رفعها لابي بكر السعيد بن أبي عنان. ومطلعها :

سقى الله بالاجرع الفـــرد دارا
لامر بها الشوق والبرق ثـارا (50)

الخامس : الامير محمد بن الامير يحيى بـن الامير ابي طالب اللخمي ثم العزفي السبتي ، نزيـل فاس ، والمتوفى بها عام 768 هـ / 66 — 1367 م .

---

47) القصيدة واردة بطولها فى مذكرات ابراهيم ابن الحاج آتي الذكر وشيكا ، حسب مخطوط الاسكوريال رقم 1734 ، مصورة الاستاذ الفاضل الفريد دي بريمار — لوحة 44 أ . ب — 45 أ ، وقد ورد ذكر ابن القراق عند ابن الاحمر باسم احمد بن سعيد باسكان العين : حسب « مستودع العلامة » ، ط . تطوان — ص 50 ، مع « روضة النسرين » ، المطبعة الملكية — ص 24 .

48) « المسند الصحيح الحسن » : الباب 55 ، الفصل 7 ، وانظر عن ترجمة الطرطوشي « مختصر الاحاطة » للبقني : السفر الثاني ، مصورة خ . ع ، د 1582 ، لوحة 422 ، وقد ورد ذكره — ايضا — فى « نفاضة الجراب » لابن الخطيب : السفر الثاني ، ضمن اساتذة محمد ابن القاسم الصبرفي آتي الذكر ، حسب « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس » ، نشر وتحقيق الدكتور احمد مختار العبادي — ص 143 ، وترجمه — ايضا — فى « نفح الطيب » المطبعة الازهرية المصرية ،سنة 1302 هـ — ج 4 ص 56 — 57

49) « نثير الجمان » لابن الاحمر ، فى الباب العاشر عند ترجمته ، مصورة المكتبة التطوانية بسلا ، وانظر عن تاريخ وفاته : ابن القاضي فى « جذوة الاقتباس » . ط . ف ، ص 61 .

50) « جذوة الاقتباس » عند ترجمته ص 87 — 92 ، وقد اورده ابن الخطيب فى « الكتيبة الكامنـة » — نشر دار الثقافة — بيروت — ضمن المتـرجمين الاحياء ، الذين يؤكد أنهم استمروا على قيد الحياة لتمام جمادي الآخرة ، عام 774 هـ .

قصيدة على قافية لام الالف من بحر المتقارب ، 77 بيتا ، رفعها لابي سالم ، ومطلعها :

اذا لم اطق نحو نجـــد وصـــولا
بعثت الفؤاد اليها رســـولا (51)

السادس : لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي ، المتوفى ـــ بفاس ـــ عام 776 هـ / 1374 م .

قصيدة دالية من بحر الطويل ، 82 بيتا ، رفعها لابي سالم عام 762 هـ / 1361 م ، وتولى ولده النيابة عنه في عرضها ، ومطلعها :

تألق نجديا فاذكرنـــي نجـــدا
وهاج بي الشوق المبرح والوجدا (52)

السابع : القاضي ابو القاسم محمد بن يحيى ابن محمد الغساني البرجي نزيل فاس ، المتوفى عام 786 هـ / 84 ـــ 1385 م .

قصيدة بائية من بحر البسيط ، 82 بيتا ، رفعها لابي سالم عام 761 هـ / 1360 م ، ومطلعها :

اصغى الى الوجد لما جد عاتبـــه
صب له شغل عمن يعاتبـــه (53)

الثامـن : ابو زيد عبد الرحمن بن ابي بكـر محمد بن محمد ابن خلدون الحضرمي التونسي نزيل فاس ، المتوفى ـــ بالقاهرة ـــ عام 808 هـ / 1406 م.

قصيدة بائية من بحر الكامل ، اثبت منهـــا في العبر (54) 46 بيتا ، ولا تزال طويلة ، ورفعها لابـي سالم عام 762 هـ / 1361 ، مطلعها :

اسرفن في هجـــري وفي تعذيبـــي
واطلن موقف عبرتـــي ونحيبـــي

التاســع : ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان الخزرجي النجاري المالقي نزيـل فـاس ، والمتوفى ـــ بها ـــ عام 783 هـ / 81 ـــ 1382 م .

قصيدة ميمية من بحر الكامل في ابيــات 102 ، رفعها لابي فارس عبد العزيز الاول عـــام 773 هـ / 1371 م ، ومطلعها :

قف بالديـــار فهـــذه اعلامهـــا
يهدى اليك مع النسيم سلامها (55)

العـــاشـــر : ابو يحيى محمد بن الاميـر محمد بن الامير يحيى بن الامير ابي طالب اللخمي ثم العزفي ، السبتي نزيل فاس ، لم اقف على تاريخ وفاته .

قصيدة تائية من بحر الكامل في 40 بيتا ، رفعها لابي فارس عبد العزيز الاول ، ومطلعها :

حن المشوق الى ديـــار احبتـــه
فسقى الثرى شوقا لذاك بدمعته (56)

الحادي عشر : ابو زكرياء يحيى بن الحســـن ابن ابي دلامة التسولي نزيل فاس ، لم يذكر تاريـخ وفاته .

(51) « مختصر الاحاطة » السفر الثاني المصورة السابقة الذكر ، عند ترجمته لوحة 85 ـــ 87 ، حيث يسمى والده باسم محمد والصواب : يحيى كما في نثير الجمان عند الباب 6 ، والدرر الكامنة ج 4 ص 281 . وجذوة الاقتباس ص 189 .

(52) « نفح الطيب » ، ج 4 ص 159 ـــ 161 ، وقد حدد تاريخ عرض القصيدة بعام 763 هـ ، وهو سبق قلم عن عام 762 هـ . حيث ان ابا سالم الوارد ذكره في هذه القصيدة توفي منذ 21 قعدة عام 762 هـ .

(53) الاحاطة المطبوعة بمصر عام 1319 هـ ، عند ترجمته ج 2 ص 215 ـــ 221 ، ونفح الطيب ج 3 ص 441 ـــ 445 ، وورد قسم منها في الكتيبة الكامنة عند ترجمته ص 250 ـــ 254 ، مع الرجوع الى مخطوطة المصدر الاخير بالمكتبة الملكية رقم 599 لتصحيح تاريخ عرض القصيدة .

(54) مطبعة بولاق بالقاهرة ، 1284 هـ ـــ ج 7 ص 405 ـــ 406 ، مع نفح الطيب ج 4 ص 11 ـــ 12 .

(55) نثير الجمان في الباب العاشر عند ترجمته .

(56) المصدر الاخير عند ترجمته في الباب 6 . مع جذوة الاقتباس ص 193 ـــ 194 ، حيث اختصرت ابياتا من القصيدة .

قصيدة رفعها لابي العباس احمد بن ابي سالم في دولته الثانية ؛ وكتب نسخة منها للكاتب ابي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الصريحي الغرناطي المعروف بابن زمرك (57) ؛ ولم اقف على نصها .

فسقى الثرى شوقا الذاك بدمعته(56)

الثاني عشر : امير المسلمين المستنصر بالله احمد بن ابي سالم بن ابي الحسن المريني ؛ المتوفى عام 796 هـ / 1393 م .

قصيدة من نظمه كتب منها نسخة لابن زمرك الذي انشا قصيدة ضمنها التنويه بها (58) ، ولم اقف على نص القصيدة المرينية .

الثالث عشر : ابو الوليد اسماعيل بن الامير يوسف بن السلطان محمد بن فرج ؛ المعروف بابن الاحمر ، الخزرجي ثم النصري ، الغرناطي نزيل فاس ، والمتوفى — بها — عام 807 هـ / 04 — 1405 م .

ا — قصيدة رائية من بحر الطويل في 79 بيتا . رفعها لابي عامر عبد الله بن احمد بن ابي سالم عام 799 هـ / 1396 م ، ومطلعها :

تراءت بباب السرحتين ديارها
فروض روض الورد حيث ازديارها

ب — قصيدة بائية من بحر الطويل ايضا ، في 66 بيتا ، رفعها للقائم بدولة ابي عامر : الحاجب ابي العباس احمد بن علي القبائلي ؛ في نفس العام : 799 هـ / 1396 م ؛ ومطلعها :

تراءى بجنب الحلتين نجيبها
فجد بتسيار الغرام نجيبها (59)

*

هذا : ومن المتوقع ان يكتشف — استقبالا — بعض مجموعات جديدة من « قصائد التهاني المولدية » مثل التي اشار لها ابن الخطيب في « الاحاطة المطبوعة » (60) عند تقديم قصيدة البرجي سابع شعراء هذه الحلبة ، حيث ذكر انها ثبتت في « نفاضة الجراب » ضمن ذكر من انشد في تلك الليلة المولدية من الشعراء . وهو بهذا يحيل على السفر الاول من هذا الكتاب الخاص بشمال المغرب ، والذي لا يزال في حكم المفقود . كما ان ما اقتبسه المقري (61) من مجموع « البقية والمدرك من كلام ابن زمرك » وردت فيه الاشارة الى قصائد نظمها كتاب الانشاء بالبلاط المريني ، برسم تهنئة السلطان احمد بن ابي سالم » في دولته الثانية « بليلة المولد النبوي الكريم ، وقد حضرها ابن زمرك وطلب من هؤلاء الشعراء نسخا من قصائدهم .

مؤلفات مولدية :

الى جانب « قصائد التهاني » ظهر في هذه الفترة موضوعات مولدية : منظومة ومنثورة ، يصل المعروف منها — الآن — الى سبعة :

1 — « **نظم المنظم في مولد النبي المعظم** » للعزفي — قام بتقصيده ابو اسحاق ابراهيم بن ابي بكر بن عبد الله بن موسى الانصاري ، التلمساني الوقشي الاصل ، نزيل سبتة ، والمتوفى — بها — عام 697 هـ / 97 — 1298 م (62) ، نظم فيه مضمن هذا المولد في قصيدة عينية من بحر البسيط في 185 بيتا ، ولا يعرف — الآن — من هذه القصيدة سوى سبعة عشر بيتا من اوائلها .

---

57) ازهار الرياض ج 2 ص 175 ، مع اضافة بعض معلومات عن حياة ابن ابي دلامة عند ابن الاحمر آخر مستودع العلامة ص 75 — 83 ، وفي روضة النسرين ص 38 .

58) ازهار الرياض ج 2 ص 173 — 175 ، حيث ورد نص قصيدة ابن زمرك .

59) « نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان » ، لاسماعيل ابن الاحمر ، « دار الثقافة » ، بيروت — ص 377 — 386 ، وانظر عن ترجمة ابن الاحمر وبعض مراجعها « سلوة الانفاس » ج 3 ص 256 — 257 .

60) عام 1319 هـ — ج 2 ص 216 .

61) « ازهار الرياض » ج 2 ص 173 .

62) ترجمته وبعض مراجعها في « معجم المؤلفين » ج 1 ص 16 ، مع تصحيح تاريخ الوفاة من مخطوطة « الديباج » بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 1895 ؛ ويلاحظ ان الفقرات المنقولة في ترجمته عن ابن عبد الملك ، منقولة عن القطعة الضائعة في قسم الغرباء من « الذيل والتكملة » .

وقد وردت موزعة بين عشر أبيات في طالعة شرح القصيدة التلمسانية الفرضية للسيتاني (63) ، مع سبعة أبيات عند الجادي في شرح رجز أبي مقرع (64)، ثم المرغيثي في شرح المقنع .

2 ـ « **مولد نبوي** » من تاليف أبي عمران موسى بن أبي علي الزناتي الزموري المولد والمنشا ، نزيل مراكش ، والمتوفى ـ بها ـ عام 714 هـ / 14 ـ 1315 م (65) ، وهذا لا يعرف الا من خلال ذكره في ترجمته .

3 ـ « **أشعار في النبويات** » لابي العباس احمد ابن محمد بن علي التجيبي السبتي ، المعروف بابن القراق ، والمتوفى ـ بفاس ـ عام 725 هـ / 24 ـ 1325 م . وقد كان ـ حسب نيل الابتهاج (66) ـ كثير النظم في النبويات وغيرها .

4 ـ « **قصائد مولديات** » لابي عبد الله محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي ، اتصل به ابن الخطيب اثناء سياحته بالمغرب بين 761 الى اواسط 763 هـ ، ولاحظ أنه اختص بنظم المولديات بمدينة مراكش (67) .

5 ـ « **كراسة في المولد النبوي** » ـ لابي عبد الله امحمد بن ابراهيم بن ابي بكر عبد الله ابن عباد النفزي الرندي نزيل فاس ، والمتوفى ـ بها ـ عام 792 هـ / 1390 م (68) . وهي عبارة عن خطبة جمعية مطولة في موضوع المولد الشريف ، وتقع ضمن مجموعة خطبه في المواسم ، التي وقف عليها عبد المجيد الزبادي مجموعة في جزء وقال عنها : « وهي نحو الخمسة عشر خطبة، كلواحدة منها تاليف فيموضوعه لامزيد عليه»(69) والغالب ان هذه غير خطب ابن عباد في نفس الغرض، وهي محفوظة بمكتبة الزاوية الحمزية ضمن مجموع يحمل رقم 269 . حيث انها لا تتجاوز سبع خطب في المواضيع التالية : خطبة عاشوراء ـ المولد النبوي ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان ـ ليلة القدر وتفسير سورتها ـ وداع رمضان (70) . ومنها نسخة اخرى بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 2688 .

وقد صارت هذه الكراسة تقرأ اثناء حفلات ليالي المولد النبوي ايام المنصور السعدي ، حسب المنتقى المقصور (71) ونفح الطيب (72) . وعبارة هذا المصدر الاخير اثناء ترجمة ابن عباد : « وقد حضرت بمراكش المحروسة ـ سنة عشر والف ـ قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي ـ على صاحبه الصلاة والسلام ـ بين يدي مولاي السلطان المرحوم ، احمد المنصور بالله ، الشريف الحسني » .

6 ـ « **قصيدة مولدية** » ـ لابي زيد عبد الرحمن ابن ثابت المكناسي ، « اواسط القرن التاسع هـ » ، له قصيدة لامية نبوية نظمها ايام المولد ، قال ابن غازي : وهي قصيدة كبيرة عجيبة مشهورة . وذكر منها البيتين التاليين في مطلعها :

الا حي الديار ديار ليلى
ومر بها اذا ادلجت ليلا

---

63) هذا الشرح هو الذي افادنا ـ أيضا ـ تحديد عدد أبيات القصيدة ، واسمه : « منتهى اليماني ومرتقى المعاني في شرح فرائض ابي اسحاق التلمساني » .
64) حسب مخطوطته بالمكتبة الملكية بالرباط ، خامس مجموع يحمل رقم 4585 . واسم هذا الشرح : « مفتاح الباب المقرع في شرح رجز ابي مقرع » .
65) « نيل الابتهاج » المطبوع بهامش الديباج ، بطبعة المعاهد بالقاهرة عام 1351 هـ . عند ترجمته ص 342 ، وتوجد ترجمة أخرى له ضمن مجموع شرح البردة الجادري ، آتي الذكر .
66) ص 68 عند ترجمته .
67) « نفاضة الجراب » ، السفر الثاني ، مصورة معهد مولاي الحسن بتطوان رقم 27 ـ لوحة 12 ب .
68) ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 2 ص 133 ـ 143 .
69) سجل عبد المجيد الزبادي هذا في الترجمة التي كتبها لابن عباد في رسالة على حدة ، باسم « افادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عباد » ، خ . ع ، د 471 ، ضمن مجموع ـ ورقة 204 ب .
70) محمد المنوني : « مكتبة الزاوية الحمزية » ، مجلة « تطوان » ، ع 8 ـ ص 167 .
71) آخر الباب الرابع ، واسمه الكامل « المنتقى المقصور على مآثر خلافة أبي العباس المنصور » تاليف احمد ابن القاضي ، المكتبة الملكية رقم 1153 .
72) ج 3 ص 179 .

ومهما جئت مغناهـــا سحيـــرا
فجرر للتحية فيها ذيـــلا (73)

7 — **« قصائد مولديات »** — لابي سالم ابراهيم بن محمد بن علي اللتي التازي نزيل وهران ، والمتوفى بها عام 866 هـ / 1462 م ، وقد ذكرها بعضهم لمحمد ابراهيم الملالي ، وهذا الاخير لم يقف عليها (74)

أوضاع على قصيدة البردة البوصيريـــة

والمعني بالامر هنا ما قام به بعض الادباء المغاربة — بين اصليين ومستوطنين — من تذييل او شروح على هذه القصيدة ، مما بلغ مجموعه أحد عشر موضوعا ، ويبدو ان مرد العناية بهذه المنظومة ، الى ما صار لها آنذاك من مكانة بين منشدات الحفلات المولدية ، وقد سجل ابو القاسم الزموري (75) — آتي الذكـــر — شهرة هذه القصيدة عندهم بين الخاصة والعامـــة ، وظهور تخميسها وتسديسها ، كما يقدم البعض (76) نماذج من اهتمامات بعض سلاطين بني مرين بالبردة ، وغيهم ابو عنان الذي كان يرغب في قراءتها بالمواسم والمحافل .

وابتداء من عهد هذا السلطان او بعده بقريب ، اخذت هذه الاوضاع على قصيدة البردة في الظهور ، وستقدم لائحتها حسب عصور مؤلفيها الذين وقفت على وفياتهم :

1 — « شرح » محمد بن احمد بن محمد العيسي الشهير بابن مرزوق الجد والخطيب التلمساني نزيل فاس وغيرها ، والمتوفى بالقاهرة — عـــام 781 هـ 1379 م (77) .

2 — « شرح » أبي القاسم البرجي ، سابـــق الذكر عند موضوع « قصائد التهاني المولدية » رقم 7 ، وتوفي ولم يستكمله (78) .

3 — « شرح » ابي القاسم بن أبي ابراهيم بن حسين بن علي بن عبد الله الماجري الزموري « بين اواخر القرن الثامن هـ واوائل التاسع (79) » ، وقـــد سماه : « انس الوحدة في شرح البردة » مخطـــوط بالمكتبة الملكية بالرباط اول مجموع يحمل رقم 321 .

4 — « شرح » عبد الرحمن ابن خلدون ، سابق الذكر عند موضوع « قصائد التهاني المولدية » رقم 8 ، وهو — حسب ابن الخطيب — (80) شرح بديع ، دل فيه على انفساح درعه ، وتفنن ادراكه ، وغـــزارة حفظه ..

5 — « شرح » اسماعيل بن الامير يوسف بـــن السلطان محمد بن فرج المعروف بابن الاحمر (81) ، سابق الذكر عند موضوع « قصائد التهاني المولدية » رقم 13 ، منه نسخة مبتورة الآخر — بمكتبة الزاوية الحمزية ثانية مجموع يحمل رقم 546 (82) .

---

(73) « الروض الهتون » لابن غازي المطبعة الملكية بالرباط — ص 65 — 66 .
(74) « البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان » لابن مريم « المطبعة الثعالبية » بالجزائر ، اواخـــر ترجمته ص 58 — 63 ، وانظر عن ترجمته — ايضا — نيل الابتهاج ص 54 — 57 .
(75) في طالعة « شرحه على البردة » ، حيث سيرد ذكره ثالث لائحة شروح هذه القصيدة .
(76) عبد الحميد حميدو : « بردة الامام البوصيري رضي الله عنه بتلمسان » المطبعة الجديدة بالطالعة بفاس — ص 4 — ويلاحظ انه يحمل مصدره هنا ، ويجتزي بقوله : « وذكر غير واحد من اهل التاريخ »
(77) طالعة « شرح البردة » للجادري آتي الذكر ، وانظر عن ترجمة ابن مرزوق وبعض مراجعها : « معجم المؤلفين » ج 9 ص 16 — 17 .
(78) طالعة « شرح البردة » للجادري .
(79) اورده في نيل الابتهاج ص 226 حيث اقتصر على ذكر اسمه ونسبه وحليته ، وجاء في الضوء اللامع للسخاوي ترجمة لمحمد بن سعيد الزموري المولود في حدود عام 777 هـ ، وفيها يذكر انه تفقه بعالم بلاده القاسم بن ابراهيم — ج 7 ص 252 ، وورد النقل عن الشرح اوائل شرح الهمزية البوصيرية لعبد القادر العلوي السجلماسي .
(80) مختصر الاحاطة للبقني ، خ . ع ، د 1582 ، لوحة 252 ، وقد جاء ذكر هذا الشرح — ايضا — في طالعة شرح البردة للجادري .
(81) طالعة شرح البردة للجادري ، وورد ذكره في ترجمته من « جذوة الاقتباس » ص 99 — 100 ، وفي نيل الابتهاج « ص 98 — 99 .
(82) محمد المنوني : « مكتبة الزاوية الحمزية » ، مجلة تطوان ، ع 8 — ص 176 .
(83) « نيل الابتهاج » في ترجمته ص 125 — 126 ، مع « البستان » لابن مريم ص 106 — 107 .

6 — « شرح » سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني قاضي سلا ومراكش وغيرهما ، والمتوفى عام 811 هـ / 08 — 1409 م .

7 — « شرح » عبد الرحمن بن ابي غالب محمد بن عبد الرحمن المديوني الشهير بالجادري الفاســـي ، المتوفى — بها — عام 818 هـ / 15 — 1416 م (84) ، اختصره من شرح شيخه اسماعيل ابن الاحمـــر ، الآنف الذكر عند رقم 5 واضاف له زيادات وفرغ من تاليفه ليلة الخميس منتصف جمادى الثانية ، عام 797هـ منه نسخة بمكتبة القرويين ثالثة مجموع يحمل رقم 40/ 643 .

8 — « شرح » محمد بن عبد الحق ابن اسماعيل ابن احمد الانصاري السبتي المتوفى عام 836 هـ / 1432 م ، وقد اوقف عليه شيخه ابن حجر العسقلاني بالقاهرة (85) .

9 — « شرح » محمد ابن الاحمر اخ اسماعيـــل المذكور عند رقم 5 .

هذا ويوخذ من طالعة شرح البردة للجادري : ان الشروح التي تحمل ارقام : 1 ، 2 ، 4 ، 9 . كلها كتبت بفاس ، كما ان شرح شيخه ابي الوليد اسماعيل ابن الاحمر كان اول هذه الموضوعات ، وعبارته في هذا الصدد : « وقد شرح هذا القصيد — لما اخذ شيخنا ابو الوليد في شرحه — اناس من اهل بلدنا » ، وذكر الشروح الاربعة التي تحمل الارقام الآنفة الذكر ، كما يؤخذ من خطبة شرح ابي القاسم الزموري انه لم يطلع على شرح سابق لها ، فيكون هذا اول شـــرح بجهته (86مكرر) .

10 — « التصدير والتعجير » ، اي تسطير قصيدة البردة لمحمد بن القاسم ابن داود السلوي ، الـذي كان بقيد الحياة أواخر عام 812 هـ (87) / 1410 ، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم ج 1152 في 31 ص من حجم صغير ، بخط مغربي لا باس به بـــين المبسوط والمجوهر ، وقد كتبت فيه « البردة » بالحمرة والتشطير بالسواد ، على فتور في اللونين معا .

11 — « تسميط قصيدة البردة » ، لمحمد بـــن يحيى بن محمد بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني المكناسي ، المتوفى — بها — عام 827 هـ / 23 — 1424 م (87مكرر) ، ولا يزال غير معروف .

تجاوب جهات من الغـــرب الاسلامـــي مـــع الحفـــلات المولديـــة المرينيـــة

كان المغرب الاقصى هو الذي ابتدا الاحتفـــال بالمولد النبوي في الغرب الاسلامي وفي هذا يقول ابن مرزوق (88) : « هذه مكرمة خص الله بها هذه المملكة الشامخة ، والسلطنة المرينية ، وان حكاها غيرهم فما اشتبه ولا قرب ، آثار الفقيه العزفي — رحمه الله — صيدها قصادوه ، ونبه على الخير فمضوا عليـــه واعتادوه » .

---

84) ترجمته وبعض مراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 157 — 158 .

85) الضفاء اللامع ج 7 ، ص 279 «280» .

86) ورد في « حوالة احبـــاس كبـــرى مكنـــاس » خ . ع ، رقم 5 « فيلم » لوحة 230 : ذكر لائحة كتب اوقفها السلطان العلوي محمد الثالث على جامع تطوان ، وجاء فيها ضمن نوادرها : « شرح البردة لابن ابي يحيى في سفر لم يكمل » ، ومن المعروف ان ابن ابي يحيى هو لقب شخصي اشتهر به الفقيه المغربي ابو سالم ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر التسولي التازي نزيل فاس والمتوفى — بها — بعد عام 748 هـ ، وهو مترجم في الاحاطة المطبوعة بمصر عام 1319 هـ ، ج 1 ص 217 — 218 ، وفي غيرها ، فاذا تاكد أن هذا هو المعني بالامر ، يكون ابن ابي يحيى هو اول شارح مغربي لقصيدة البردة البوصيرية قبل كل من ابن الاحمر والزموري .

87) لا تعرف له ترجمة ، وتوجد بعض معلومات عنه عند : محمد المنوني : « ملاحم ودواويـــن في السيرة والمديح النبوي » ، مجلة « دعوة الحق » ، السنة التاسعة ، العدد التاسع والعاشر «مزدوج» — ص 105 — 106 .

87 مكرر) « الروض الهتون » المطبعة الملكية — ص 57 ، وانظر عن ترجمته « جذوة الاقتباس » ص 201 — 203 ، و « درة الحجال » رقم 772 ، و « اتحاف اعلام الناس » ج 3 ص 590 — 594 .

88) « المسند الصحيح الحسن » ، الباب السادس ، الفصل 6 .

89) « مطبعة 20 مارس » بتونس — ص 23 .

وجاء في « فهرسة الرصاع » (89) عن حفلات المستوى الشعبي : « وجرت عادة المغاربة باظهار السرور والفرح باليوم الذي ظهر فيه نور سر الوجود، وحبيب الملك المعبود » .

وقد انتشر هذا التقليد — مع مر الزمن — بين بقية جهات الغرب الاسلامي ، وظهر — اولا — في تونس ، في دولة السلطان ابي يحيى أبي بكر بن الامير ابي زكرياء يحيى بن السلطان ابراهيم الحفصي ، حيث كان — حسب « المرقبة العليا » (90) — « اراد اقامة رسم المولد النبوي على العادة الغربية : من الاحتفال في الاطعمة ، وتزيين المحل بحضور الاشرف ، وتخير القوالين للاشعار الموزونة بالاصوات المطربة » ، وقد امتدت دولة ابي يحيى من 718 الى 747 هـ ، ويبدو ان هذا الاحتفال لم ينتظم في تونس الا بعد هذا كما سيتبين .

ثم في عام 750 هـ / 1349 م صادف ابن بطوطة (91) اميري قابس : عبد الملك واحمد بني مكي يحتفلان بالمولد النبوي .

وفي الاندلس وجد هذا الاحتفال من ايام السلطان ابي الحجاج يوسف الاول ، حيث تلقى — في هذه المناسبة قصيدة ميلادية من نظم لسان الدين ابن الخطيب (92) ، الذي يلاحظ ان شعرها من منظومه في الزمن القديم ، وهو يفيد — بهذا — ان الاحتفال بالمولد النبوي في غرناطة يبتدىء من أوائل عهد هذا السلطان : « من 733 الى ان اغتيل عام 755 هـ » .

والغالب أن ولده : محمد الخامس «الغني بالله» عمل لتطوير هذا الاحتفال بعد ، حيث جاء في « العبر » انه « صار يحتفل في الصنيع في ليلة المولد والدعوة وانشاد الشعراء ، اقتداء بملوك المغرب » وقد سجل ابن خلدون هذا عن مولد عام 764 هـ (93) / 1362 م .

وابتداء من عام 760 هـ / 1359 م تبتدىء احتفالات بني زيان بتلمسان ايام السلطان ابي حمو موسى الثاني ، قال المقري (94) : « وكان السلطان أبو حمو يحتفل لليلة مولد رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والاندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك » .

وقد انتظمت الاحتفالات المولدية بتونس من ايام السلطان عبد العزيز الحفصي ، الذي استمر في الحكم من 796 الى 837 هـ ، قال في « المؤنس » (95) عند حديثه في هذا الموضوع : « واول من اعتنى بتعظيمه « المولد » في البلاد الغربية ، واظهر فيه شعائر الولادة المحمدية ، ابو عنان المريني شكر الله سعيه ، ثم اقتدى به بنو ابي حفص في الديار التونسية ، واولهم امير المومنين ابو فارس عبد العزيز ... » .

ويؤخذ على « المؤنس » أن ابا عنان لم يكن هو المبتكر لهذا الاحتفال في المغرب ، وانما اضاف له تحسينات سبق الالماع لبعض مظاهرها عند موضوع « الاحتفالات المرينية بالمولد النبوي » .

ويبدو أن من اسباب انتشار هذه الظاهرة خارج المغرب ، قيام ابي الحسن المريني بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف حضرا وسفرا ، لا يشغله عن اقامته شاغل (96) ، ومن هذا انه اقام ليلة المولد بتونس بمحضر علمائها ومشايخها وغيرهم (97) .

ومن الطريف في هذا الباب ان بعض المغاربة كان يعمل على اشاعة الفرح بالمولد حتى خارج الغرب الاسلامي ، وهذا هو ابو الطيب محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابي بكر السبتي نزيل قوص ، والمتوفى — بها — عام 695 هـ / 1296 م ، فقد ذكر عنه الادفوي (98) ما يلي :

---

(90) نشر دار الكاتب المصري بالقاهرة ، 1948 — ص 162 .
(91) « تحفة النظار » ج 2 ص 179 .
(92) القصيدة واردة في « ديوانه » السابق الذكر عند التعليق رقم 36 — ورقات 50 ب — 52 ب .
(93) « العبر » ج 7 ص 412 .
(94) « نفح الطيب » ج 4 ص 193 ، مع « أزهار الرياض » ج 1 ص 243 .
(95) « مطبعة 20 مارس » بتونس — ص 306 .
(96) « المسند الصحيح الحسن » ، الباب السادس ، الفصل 6 .
(97) « فهرسة الرصاع » ، « مطبعة 20 مارس » بتونس — ص 24 و 30 .
(98) « الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » ، مطبعة الجمالية بمصر — ص 263 ، ونقله في « نيل الابتهاج » ص 232 .

وحكى لي صاحبنا العدل ناصر الدين محمد بن العماد محمد : انه « ابو الطيب » كان يجتاز بالفقيه عثمان ، باليوم الذي فيه مولده صلى الله عليه وسلم فيقول يا فقيه هذا يوم سرور ، اصرف الصبيان فيصرفنا » .

موقف علماء المغرب من عمل المولد النبوي

لم تتفق كلمة علماء المغرب حول الاحتفال بالمولد النبوي ، وكان فيهم من ينكر ذلك ، غير ان الذين لم يعارضوه أوصوا باحتراس من تسرب البدع الى حفلاته وقد جاء في هذا الصدد عند ابن مروان في رسالته « جنى الجنتين » (99) :

« سمعت شيخنا الامام ابا موسى ابن الامام — رحمة الله عليه — وغيره من مشيخة المغرب : يحدثون فيما احدث في ليالي الموالد في المغرب ، وما وضعه العزفي في ذلك واختاره ، وتبعه فيه ولده الفقيه أبو القاسم — وهما من الايمة — فاستصوبوه واستحسنوا مقاصده فيه ، والقيام بها ، وقد كان نقل عن بعض علماء المغرب انكاره ، والاظهر — في ذلك عندي ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب ايضا ، وقد وقع الكلام في ذلك مقال ما بمعناه :

لاشك ان المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حسن ، الا ان المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والقيام باحياء سنته ، ومعونة آله ومساهمتهم وتعظيم حرمتهم ، والاستكثار من الصدقة واعمال البر ، واغاثة الملهوف ، وفك العاني، ونصر المظلوم ، هو افضل مما سوى ذلك مما احدث ، اذ لا يخلو من مزاحم في النية ، أو مفسد للعمل ، أو دخول الشهوة ، وطريق الحق والسلامة معروف ، ولا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر ، والاستكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ليحظى المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها»

ويذكر السيوطي في رسالته : « حسن المقصد في عمل المولد » أسماء ثلاثة اعلام من المغاربة الذين استحسنوا عمل المولد النبوي ، وهم : ابو الخطاب ابن دحية السابق الذكر ، وقد الف « كتاب التنوير في مولد السراج المنير » ، الثاني : أبو الطيب السبتي آنف الذكر ، الثالث : محمد بن محمد بن محمد(ثلاثا) ابن الحاج العبدري الفاسي نزيل القاهرة ، والمتوفى — بها — عام 737 هـ / 36 — 1337 م ، وقد جاء عند السيوطي في رسالته المذكورة تفسير مذهب ابن الحجاج في « المدخل » ، حيث يذكر انه انما ذم ما احتوى عليه المولد من المحرمات ، مع تصريحه قبل بأنه ينبغي تخصيص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الصدقات والخيرات ، وغير ذلك من وجوه القربات (100) .

ونحو من هذا ينبغي أن يفسر به كلام ابي العباس احمد القباب في فتوى له في الموضوع 101 .

واخيرا : هذه فتوى ابن عباد الرندي ، وقد ساقها الرصاع في « فهرسته » 102 هكذا :

« ان هذا اليوم عيد من اعياد المسلمين ، لظهور نور خير الخلق فيه وسيد المرسلين ، فالزين فيه بأحسن الثياب من اللباس ، واستعمال الطعام ، واظهار المحبة بالركوب على أحسن الدواب ، وكثرة الصلاة عليه ، وانشاد القصائد في صفته ، وتزيين الاولاد والمكاتب بما يجوز شرعا ، لاشك في جواز ذلك كله اذا سلم من البدع المحرقة التي لا يجوز تعظيم شعائر الله تعالى بها » .

وجاء نحو هذا الجواب في رسائل ابن عباد الكبرى (103) ، ثم في المعيار (104) ، حيث عقب عليه الونشريسي بكلام بعض العلماء الذين يقول فيه :

---

99) خ . ع ، ك 1228 — ص 112 — 113 ، ونقله الونشريسي في « المعيار » ج 11 ص 211 — 212 ثم لخصه في « نيل الابتهاج » ص 193 .

100) كلام السيوطي وارد عند محمد بن عبد الباقي الزرقاني في « شرح المواهب اللدنية » « المطبعة الاميرية المصرية » — ج 1 ص 163 — 164 ، نقله العلامة محمد بن المدني كنون في «الزجر والاقماع» ط . — الملزمة 12 ، ص 8 ، وانظر عن ابن دحية وكتابه « التنوير » : التعليق رقم 4 ، وعن ترجمة ابن الحجاج وبعض مراجعها : « معجم المؤلفين» ج 11 ص 284 حيث وقعت اغلاط في نسبة مؤلفات الغير له .

101) وردت عند الونشريسي في المعيار ج 12 ص 33 — 34 .

102) ص 24 .

103) ص 37 .

104) ج 11 ص 211 .

« وما انكر من انكر ما يقع في هذا الزمان مـــن الاجتماع في المكاتب للاطفال . الا خيفة المناكر واختلاط النساء والرجال . فاما اذا آمن ذلك فلاشك في حسن ما يفعل من الاجتماع . وذكر محاسنه والصلاة عليـــه صلى الله عليه وسلم — في سائر البقاع . ويحـــرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة . ولا يجوز تعظيم نبي الله تعالى الا بما يرضيه ويرضي الله تعالى بل تبقى الصدقة في السر بما يعمل في تلـــك الايام من الاطعمة . فان ذلك اسلم من فساد النيات . ومن حضور الجماعات » .

الرباط : محمد المنوني

ملاحظـــــة : الموافقات بين التاريخين الهجري والمسيحي ماخوذة من :
Tables de concordances des ères chrétienne, éthégirienne, troisième édition. Editions Techniques Nord-Africaines.



من مصادر العصر الموحدي

للأستاذ سعيد اعراب

على كثرة ما كتب عن العصر الموحدي ، فلا تزال هناك فجوات بعيدة الغور يحتاج في سدها الى تضافر الجهود ووفرة المصادر .. وثمة مصادر لم تات في قائمة المراجع التاريخية ، بل جاءت ضمن مصادر الفقه والحديث وما الى ذلك .

وقد يمر بها القارىء دون ان يعيرها اي اهتمام .

واريد هنا ان الفت نظر الباحث الى مصدر هام ، سجل حقائق تاريخية جديرة بالاعتبار ، ذلك هو كتاب الدعاء والذكر لمؤلف جاء اسمه على الصفحة الاولى هكذا : قال الشيخ الفقيه المحدث ابو الحسن بن علي الاموي القرطبي .. » الفه للسلطان ابي يعقوب يوسف ابن عبد المومن بن علي الموحدي ، وكان مؤدبا لاولاده — كما يقول في فاتحة الكتاب : « واوالي الدعاء لسيدنا ومولانا امير المؤمنين ابي يعقوب بن امير المؤمنين .. فانه عرفني الله بكم ، ووصل سببي بسببكم ، واصطفيتموني لبنيكم الابرار معلما ، واخترتموني لهم مفهما ، وجعلتم الطلب لهم الى ذروة المجد سلما ، واكرمتم مثواي بمكانكم ، واوليتموني جزيلا من احسانكم .. رايت ان اجمع لكم في الدعاء والذكر تاليفا ، واصنف لكم فيه تصنيفا .. »

وهو من نوادر مخطوطات الخزانة العامة بتطوان (رقم 457 — 4) ، يقع في 85 صفحة من القطع المتوسط ، مسطرة 27 ، كتب بتاريخ (1209) ، والنسخة كثيرة التصحيف والتحريف ، وربما نال اسم المؤلف حظ من ذلك . وقد رجعت الى اكثر من مصدر للتعرف على شخصية المؤلف فلم اوفق ، وبوجد بالخزانة العامة بالرباط رقم 5980 — : كتاب زهر الروض ، في تقدير الفرض — لابي الحسن بن محمد بن علي الاموي ، وهو مبتور الاخير ، يقول في مقدمته : « .. ولما اسند الي النظر في تقدير الفرض بمدينة المرية .. » وجاء في كتاب الدعاء والذكر الذي نحن بصدد الكلام عليه : « خرجت ذات يوم من المرية في البحر قاصدا قرطبة .. » وهذا قد يدلنا على ان مؤلف الكتابين واحد ، وان الاسم الكامل للمؤلف هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الاموي القرطبي .. وتحريف النساخين يلعب دورا كبيرا في هذا الباب .

وحسب المعلومات التي استقيناها من الكتاب ، فالمؤلف ولد بقرطبة اوائل القرن السادس الهجري ، وبها نشأ وتعلم ، ينتمي الى الاسرة الاموية ، ويعتز بها كاسرة عريقة في المجد والملك » .. والحمد لله . والنفس العلية ، والارومة الاموية ، تمنعني من ذلك..» وكان والده من حفاظ القرآن الكريم ، وربما على جانب من العلم والثقافة ، فهو يروي عنه — في هذا الكتاب — بعض الآيات التي يحترس بها من اللصوص ، حسب تعبيره .

وممن اخذ عنهم بقرطبة ابو مروان عبد الملك بن مسرة اليحصبي ، وهو من رجال الحديث ، ومن اقطاب الاندلس ومفاخرها (ت 552 هـ) .

ونجده في سنة (544) — وقد شب عن الطوق واكتملت رجولته ، وبرزت شخصيته العلميـــة ، — يتوسط لبعض رجالات الفكر الذين غربهم تاشفين بن علي الى قرطبة ، ويعمل على انقاذهم بواسطة بعض الشخصيات الذين كانوا على الحكم المرابطي ، كابن حمدين ، وابى حسون ، وسواهما .

ولعل من هذا التاريخ بدات اتصالات ابي الحسن بالموحدين ، فقربوه اليهم ، وجعلوه مؤدبا لاولادهم ، ورغم انه متشبع بروحهم ومبادئهم ، فهو لا يتملقهم ، ولا يحترف التاليف للدعاية لهم ، طلبا لاحسانهــم ، (وجلبا لرفدهم « واياكم ان يهجس في خاطركم ، أن فعلت هذا ابغي منكم مالا ، او ارجو عليه نوالا ، حاش لله أن تمتد يدي الى طمع ، أو ابيع هذا الدر النفيس بالودع .. »

وهي روح قلما نجدها في مؤلفي هذا العصر ، ولا سيما الذين ساروا في ركاب الامراء والملوك .

والمؤلف اذ يقدم هذا الكتاب لابي يعقوب — وهو ادعية واذكار ، انما ليكون انيسه في الخلوة ، ورفيقه في الجلوة « فيسليكم في وحدتكم ، ويؤنسكم في خلوتكم، وتتملقوا بما اودعت فيه من الدعاء لخالقكم .. وتجعلوه مجيركم في ليلكم ونهاركم ، وتتخذوه عدة لاسفاركـم واقامتكم .. »

والمؤلف تجول في بلاد الاندلس ، فنزل المرية ، وربما اسند اليه بعض المهام فيها ، ويذكر انه خرج منها سنة (548) ونترك المؤلف يحدثنا عن هذه الرحلة التي لقي فيها اهوالا مريعة فيقول : خرجت ذات يوم من المرية في البحر الى قرطاجنة ، فلما قربنا قرطاجنة، عصفت بنا الريح ، وهاج البحر ، ودخل علينا الماء ، وذلك ليلة جمعة في السحر واشرفنا على الهلاك ؟ فقلت لهم معشر المسلمين — هذا سحر ليلة الجمعة ، وهي ساعة مباركة ، وانتم من الله بمرأى ومسمع، فاخلصوا لله النية ، وجددوا التوبة ، واذكروا قول الله عز وجل « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه » فاشتغلوا بالدعاء ، واستسلموا الى الله ، فان الله تعالى يقول : « فلولا اذ جاءهم باسنـا تضرعـوا » واجعلوا قراءتكم في استفتاح الدعاء : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » فضج الناس بالقراءة والدعاء ، فما انفجر الصبح ، حتى سكن الريح ، وهدا البحر ، وامننا الله من الغرق ، ودخلنا قرطاجنة .. وعصمنا الله تعالى في الانفس والاموال .. » .

وزار في نفس السنة مرسية ، وبها اخذ عن ابي محمد عبد الغفور بن عبد الله النفزي المرسي صاحب كتاب التبتل . وربما انتهى به المطاف الى اشبيلية ، وهناك اتصل بابي يعقوب ، فقربه اليه وجعله معلـم اولاده — كما أشرنا الى ذلك سابقا ، فأبو يعقوب قضى شطرا كبيرا من حياته باشبيلية ، قبل الخلافة وبعدها. وهذه النقطة — اعني اتصاله بابي يعقوب : متى ؟ واين ؟ وكيف ؟ — لم يشر اليها المؤلف ، لا من قريب ولا من بعيد ، وكل ما هناك يذكر اتصاله بابي زيد بن عبدون ايام تغريبه بقرطبة (544) ، وانه ساعده على الفرار بنفسه الى مالقة ومنها الى مراكش ، حيث اتصـل بالموحدين . ويقول ان ابي عبدون كان خطيب ابي يعقوب باشبيلية . وهذه العبارة — وحدها — هي التي جاء فيها ذكر « اشبيلية » في كلام المؤلف ، وهي في الحقيقة لا تفيدنا في شيء ، ويبقى اتصال صاحبنا بابي يعقوب ، يحيط به كثير من الغموض ، حتى نقف على نـص صريح يوضح ذلك .

ويبدو ان كتابة المؤلف لهذا الكتاب كانت فيما بين سنة (558 — 573) اذ هو يذكر ابا موسى بن عمران قاضي مراكش ، ويدعو له بالتوفيق ، وهي كلمة انماتقال للاحياء ، وابن عمران توفي سنة 573 ، وابو يعقوب الذي الف الكتاب باسمه كانتتوليته سنة (558) ، فتاليف الكتاب لابد ان يكون بين هذين التاريخين .

والكتاب جعله المؤلف قسمين ، القسم الاول في الدعاء ، وضمنه اكثر من مائة باب ، وقد استغرق نحو ثلثي الكتاب . والقسم الثاني في الذكر ، ويتضمن احد عشر بابا ، ختمها بجامع في ادعية منتخبة ، وحكايـات طريفة ، فيها عبرة وذكرى ، ولم يغفل المؤلف المصادر التي اعتمدها في كتابه فهو يقول في المقدمة : « اقتنصت جمعه من الموطا ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، ومصنف ابي داود ، والنسائي ، ومسند ابن ابي شيبة ، وعبد الرزاق ، والرقائق المشهورة .. » وقد حاول ان لا يذكر من الاحاديث الا ما كان على شـرط الصحيحين ، وما اخاله وفى بذلك .

والمؤلف متاثر بالغزالي الى حد كبير ، وقد رجع كثيرا الى كتاب الاذكار والدعوات — من الاحياء ، (1/301 — 338) ، كما اعتمد ابن حبيب في كثير من الابواب .

والذي يمتينا ، ونريد ان نسجله هنا — أن الكتاب الى كونه يصور جانبا من الحياة الفكرية والدينية في هذا العصر يعرض لحقائق تاريخية على جانب من

الاهمية ، واغلبها مما شاهده ، او أخذ عمن ادرك ذلك، ويمكن ان نجملها فيما يلي :

1 — حياة الفوضى والاضطراب التي عاشتها قرطبة والاندلس عموما — ايام تاشفين بن علي .

2 — اضطهادات يتعرض لها علماء الاندلس ، بتهمة موالاتهم للموحدين .

3 — سجون قرطبة تتمرد على السلطة المرابطية ، وتشهر السلاح في وجهها .

4 — بعض رجالات الفكر يغادرون الاندلس تحت جنح الظلام ، ويلتحقون بالبلاط الموحدي فرارا بانفسهم من تعسفات المرابطين .

5 — بعض عادات اهل الاندلس في المواسم والاعياد.

6 — معلومات قيمة عن حياة بعض الشخصيات العلمية ، كابي محمد عبد الغفور بن عبد الله النفزي المرسي صاحب كتاب التبتل ، وابي زيد بن عبدون ، خطيب عبد المومن وابنه ابي يعقوب ، وهذا الاخير ذكره — عرضا — صاحب كتاب « المن بالامامة » (ص 511) — لكن المعلومات التي اوردها عنه ، لا تكاد تتجاوز سطرا واحدا . ولذا انصح الاستاذ التازي الذي عانى ما عانى في تحقيق كتاب المن بالامامة — ان يرجع الى هذا الكتاب ، فانه سيجد فيه كتابة ترجمته ، وهي معلومات قلما وضعها عن شخصية ابن عبدون ، وهو يحاول كتابة ترجمته ، وهي معلومات قلما نظفر بها في كتاب سواه .

وبعد فهذه نظرات سريعة سجلتها وانا اتصفح هذا الكتاب ، ضمن ما قدر لي ان اتصفحه من مصادر في هذا الباب ، لم اقصد بها الى دراسة الكتاب ، او التعريف بمؤلفه ، بقدر ما قصدت الى تسجيله في قائمة المصادر التي نحن في حاجة اليها لتاريخ هذا العصر ، وحاجة الباحث ، ومقدار فائدته ، هي التي تعطيـنـا قيمة الكتاب ، وتبرز شخصية صاحبه ، ولذا اخترت له هذا العنوان : « من مصادر العصر الموحدي » .

سعيد أعراب — تطوان



من أعلام البربر في الأندلس

سليمان بن وانسوس



يكون البربر عنصرا هاما وحيويا من المجتمع الاندلسي . فمنذ الفتح والاندلس تشهد موجات متعددة من العنصر البربري تتقاطر عليها رغبة في الجهاد او في الحياة الرغدة . ومن الملاحظ ان البربر الفاتحين والقريبين منهم قد اندمجوا في العنصر العربي ليكونوا بها المجتمع الاندلسي بالاضافة لبعض العناصر الاخرى ومن مظاهر هذا الاندماج نبوغ كثير من البربر في مجال الفكر والادب . ومن أوائل المندمجين صاحبنا سليمان ابن وانسوس .

كان صاحبنا هذا سليل اسرة مجيدة في المغرب والاندلس معا . حظيت بكثير من التكريم والتقدير من جانب الامويين . وتولى افرادها مناصب هامة في الدولة الاموية الفتية وذلك بما اسدى وانسوس — جد الاسرة — لعبد الرحمن بن معاوية من خدمات جليلة . فهو الذي آواه عند وصوله للمغرب مشردا ومطاردا من بني العباس وعمالهم وعيونهم . ولم يجد مامنه الا في مغيلة حيث مكث حينا في دار وانسوس الشيخ الوقور الذي يتمتع باحترام قومه وكان وانسوس من مكناسة كما ينص على ذلك ابن حزم . وفي بيت هذا المكناسي كان عبد الرحمن الداخل يدبر أمر تنقله لاقرب نقطة يشرف منها على الاندلس ليحدث فيها انقلابه العجيب . وفي ذلك البيت كانت تجتمع الانصار وتحبك المؤامرات وتنتهز الفرص . ويبدو ان وانسوس لم يفارق صقر قريش ولم يكن دوره ايواءه فقط بل لعله ساعده في تقوية حزبه وتكثير انصاره والدعوة الى شرعية حكمه . الامر الذي اهله لمكانة محترمة وجعل الامويين يكافئونه وخلفه على اخلاصهم ووفائهم . فاصبح بذلك بيت وانسوس في الاندلس من البيوتات التي توصف بالرياسة والشرف . وهكذا يتولى اصبغ — جد سليمان — رئاسة ماردة ولعله ورث رئاستها عن والده وانسوس . ولكنه مع ولائه وولاء اسرته للامويين فقد عكر صفو ذلك الولاء حادث ايام حكم الحكم الربضي الذي اشتهر بقساوته وشجاعته في اخماد الثورات وتشتيت المتمردين . اذ ثار عليه بماردة اصبغ بن وانسوس واستعصى عليه وذلك سنة 190 (2) هـ . وعجز الربضي عن القضاء على ثورته، ولا ندري شيئا عن دوافع هذا التمرد وان كنا لانستبعد ان يكون تدعيما لثورة الفقهاء واستجابة لندائهم ومشايعة لاهل الربض . وقد اشار ابن حيان لهذا التمرد بقوله (3) :

---

(1) جمهرة انساب العرب ص 499 — دولة الاسلام بالاندلس 48/1 149/1 .

(2) البيان المغرب 74/2 — دولة الاسلام بالاندلس 234/1

(3) المقتبس مخطوطة القرويين ورقة 47 — الحلة السيراء 160/1 . تحقيق د . مؤنس .

وكان جده – اي جد سليمان – رئيسا مطاعا . وكان قد ثار فيها على الامير الحكم بن هشام . وجرت له خطوب كثار في حالي المعصية والطاعة .

ولعل هذا التمرد افسد على هذه الاسرة جاهها لدى بني امية وزعزع تلك المكانة التي افتقدها ابناء وانسوس في ظل الامويين منذ انقلاب صقر قريش . فلا نسمع عن والد سليمان شيئا وربما كان يعيش على هامش الحياة بعيدا عن السياسة والطموح الى الحكم والقيادة مكتفيا بما تدره عليه ضياعه واملاكه قانعا من الغنيمة بالسلامة . مما افقده عصبية كان يعتمد عليها ابوه وجده وجعل اولاده من بعده عرضة للاهمال والضياع وهدفا للانتقام والاذلال من غير ان يجدوا في بني امية ملاذهم او يظفروا بحمايتهم . وقد يكون هذا العصيان اصبح سببا لتلك الحالة التي لاحقت سليمان الذي توفي والده وهو ما يزال غرا حدثا فتنكر له زمنه، وزهد فيه اخوان ابيه . وتعرض لاذلال الرعية . حيث اعتدوا على ضياعه . واغتصبوا حقوقه . واحيط به من كل جانب . فشعر سليمان بضيق شديد . وهجم عليه هم وانسب . وقلق مزعج الى درجة انه تمنى الخلاص من الحياة واللحاق بوالده المرحوم .. وكانت هذه الاهانة شديدة الوقع على نفسه لم يستطع احتمالها . ولكن ابن وانسوس الذي تمنى الموت في لحظة ضيق حرجة . ما يزال يحس بدماء اجداده تجري في عروقه . وهي دماء مجيدة تستعصي على الموت الا في ميدان القتال . وهي تراث مقدس لا تستسلم لياس . او يمتصها هم او تحرمها نكبة . ولذلك . يصمم صاحبنا على وضع خطة لاسترداد مكانة اسرته . رغم الصعاب المتعددة . والظروف المتمنعة . ولكن دون الوصول الى البلاط القرطبي ابواب موصدة . وحجاب حسدة . ووزراء يحولون بين الامير محمد وبين امثاله ممن طحنتهم السياسة . وبددت شملهم حمى الرياسة . مخلفين وراءهم تراث واحنا . تتوارثها الاجيال فيصبح عنصرا حيا من عناصر السلوك والعلاقات ! ! غير ان الخطة كانت شديدة الاحكام . الهمته املا شاحبا خلال غيوم من اليأس قاتمة . قوى ارادته والهب همته على اقتحام كل صعب . وتحطيم كل حاجز . لاعادة مجد آبائه . ومحو كل اثر من تلك المهانة، وتبديد الجفوة التي حدثت بين اسرته والاسرة الحاكمة .. فهذا هاشم بن عبد العزيز وزير الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط كان بين اسرته واسرة سليمان صداقة متينة . فلماذا لا يمت اليه بوشائج تلك العلاقة ؟ ويعرفه بحقوق ذاك الود ؟ ولم يشك سليمان في ان هذا الوزير سيرق لحاله . ويرفع من شأنه ويخفف من نكبته . ويقدر مواهبه . ويدنيه من الامير نفسه . خصوصا وهاشم هذا المع شخصية وزارية في قرطبة وعميد الناس في وقته . واثير الامير واقرب الوزراء اليه لا يعدله عنه احد (4). يتحكم في مصير الآخرين دون ان يناله منهم سوء على كثرة دسائسهم وتنوع شكاويهم والحاح تحذيراتهم للامير من سوء طويته واستغلاله . ويقول ابن الابار عنه : (5) .

« بانه اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في سواه من اهل زمانه الى ما كان عليه من الباس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الاشعار البديعة الى ما له من القديم والبيت والسابقة .. »

وابتدات محاولات سليمان للاتصال بهذا الوزير وظل سنة كاملة يتردد على بيته دون ان يستطيع الانفراد به لكثرة ما يزدحم الناس حواليه ولما كان يشعر من هيبة ورهبة منه واخيرا هيات له الصدفة فرصة سانحة . اذ ركب الوزير مطيته منفردا في ليلة من الليالي قاصدا منيته فاعترضه صاحبنا كما يحكي ذلك بنفسه :

« فعرفته بنفسي ومتت له بما كان بين اسلافنا فاعترف به وبثثته استحالة حالي وخراب ضياعي وتقلب الزمان بي وشدة ضيقتي الى ان رهنت مهامزي وسوطي .. » وعرض عليه ان يصطنعه لنفسه ويعرضه لخدمة اميره محمد ليقوي به شوكته وسيكون اذ ذاك من المخلصين الاوفياء . فما كان من الوزير الا ان تقبله بكل سرور ووعده بذلك لما راى فيه من ذكاء ونجابة وقال له :

« اني لمتفرس في نجابتك حريص على اسداء اليد فيك والاستعداد بك لنفسي ولولدي من بعدي . فالزمني وتكرر على فامرك معقود بضميري » .

وقد انجز الوزير وعده ففي فترة وجيزة تحدث الى اميره عن سليمان ونجابته واهليته لخدمة البلاط لما يتحلى به من خصال محمودة . فادناه الامير من نفسه وسلكه في حاشيته فارتقى بسرعة في مدارج خدمته الى

---

(4) المقتبس ورقة 48

(5) الحلة السيراء 137/1

ان ولاه الامير خطة السوق . وتلك منزلة لم يكن يحلم بها ، ولكن سليمان لم يكن بعد قد اتقن آداب البلاط وقواعد السلوك مع الملوك الذين يتأثرون احيانا بالامور لا يلتفت هو لاهميتها وخطورتها ، وهذا ذهول ما ينبغي ان يتصف به الندماء واعضاء الحاشية ولكم انتهى باصحابه الى المقصلة او اوقع بهم في المتربة او جلب لهم غضبة اخرتهم عن المنزلة والمكانة ولات حين مندم .. هذا الذهول هو الذي جعل صاحبنا مطمئنا لامير قليل الاحتياط في الحديث معه أو عنه ، ولعل بقية من بداوة كانت ما تزال تسم سلوكه بالبساطة ، فقد حدث ذات يوم ان كان الامير محمد مقبلا فقال سليمان : « اللهم سلم هذا الشخص الكريم » فاعتبرها الامير سوء ادب في حقه واستهجن ان يذكره « بالشخص » ولم يغفرها له وسرعان ما أخره عن ولاية السوق (6)

وتوفي الامير محمد وتولى الامارة المنذر الذي كان يضمر عداوة شديدة للوزير هشام في عهد والده المرحوم ومما أرث حقده عليه تلعثم الوزير في قراءة كتاب البيعة للامير الجديد وشدة بكائه على سيده الراحل يقول ابن الابار (7) ولما وضع نعش الامام محمد على قبره القى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاء شديدا ، ثم قال متمثلا وهو يقبر :

اعزي يا محمد نفسي
معاذ الله والمنن الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا
ودوفع عنك لي كاس الحمام

فكان ذلك مما اوقد عليه موجدة المنذر ... »

وليلة الاحد لاربع بقين من شوال سنة 273 هـ انقض الامير على حاجبه وفتك به وامتدت يده الى اولاده فسجنهم على ان يفتك بهم ويلحقهم بوالدهم لولا أن الموت عاجله وقتله به قبل أن ينفذ عزمه .

وتختفي عنا اخبار سليمان ولعل عزله عن خطة السوق كان خيرا له اذ لولا ذلك لما سلم من اجراءات المنذر الانتقامية ، ولكن عند ما يتولى عبد الله الامارة يتالق نجم سليمان الذي اسندت اليه الوزارة كما اطلق سراح اولاد هاشم بن عبد العزيز ويتولى عمر بن هاشم كورة جيان ويتولى أخوه احمد الوزارة والقيادة . ولسنا ندري من انقذ الاخر اولاد هاشم ام سليمان بن وانسوس . ومهما يكن من شيء فان سليمان اصبح ذا حظوة كبيرة وشخصية فذة في حضرة قرطبة لفت اليه التاريخ واهتم به اصحاب الاخبار فوصفوه بانه كان اديبا مفننا شاعرا مطبوعا ، حسن البيان ، حصيفا ، داهيا ، مذكورا بالعلم والعقل وعزة النفس (8) . ويتفش ابن سعيد في نثره ويرى انه مفاخر الطبقة فيه . ويورد له هذه الابيات (9) :

كيف لي ان اعيش دونك يا بد
ر الدياجي وانت مني بعيد

ان يوما اراك فيه لَيوم
في حياتي مدى الزمان سعيد

ومرادي الا اراك تدانى
غير وصلي وذاك ما لا اريد

وقال :

الحب علم مقلتي ان تسهرا
وقضى على بدني اذل واصفرا

يا مشبه القمرين مالك معرضا
عني وانى لا ازال محيرا

وكان سليمان الى جانب ذلك خفيف الروح مع انفة وكبرياء اذا مست كرامته . اما خفة روحه فتتجلى في ابيات انشأها عند ما طلب منه الامير عبد الله ان يدلي برأيه في امر جوور ابن عبد الملك البجني الذي عزل عن عمله بكورة البيرة . لما اتهم به من ظلم الرعية واستغلال لها . ومن اغتناء بمال كثير من وجه غير مشروع . وقد دافع عنه الوزراء وحاولوا تبرئته وكادوا ان يثنوا الامير عن الايقاع به وتغريمه لولا سكوت سليمان ابن وانسوس . الذي قال له الامير : « مالك لا تقول يا سليمان ؟ » فقال : « ان قلت خالفتهم ولكني سوف اكتب بما عندي والراي بعد للامير ! » وكتب هذه الابيات :

---

6) المقتبس ورقة 48
7) الحلة 138/1
8) الحلة 160/1 ــ جذوة المقتبس ترجمة 458 .
9) المغرب 362/1 .

جاء الحمار – حمار المرج – محتشيا
مما أفاد من الامــوال والطــرف

خلي لبيــرة قــد اودت مساكنهــا
بقبــح سيرتــه والعنف والســـرف

فاحمل على العير حملا يستقل بــــه
واترك له سببا للتبــن والعلــف

فلما قرا الامير ابياته أمر بادخاله اليه فضحك منه وقال له :

« يا سليمان لو زدتنا في الابيات لزدنا الحمار في الغرم » وأمر باغرامه ثلاثة آلاف دينار (10) . ولم يكن يدري سليمان أن الامير عبد الله سيغرم جيهورا الفا لكل بيت من شعره اذ لو كان يدري ذلك لزاد في عدد الابيات لينتقم من الد خصوم ولي نعمته هاشم بن عبد العزيز . ولنال اشد النيل من هذا العامل المثــري الذي كان يتحف بعض الوزراء مما كان يغله ويغفــل سليمان فما يتحفه بشيء من ذلك مما افقده عطفــه وجعله يشير في أمر بما تمليه مرارة الحرمان . وان استجابة الامير « لفتوى » سليمان دون آراء الآخرين من الوزراء والشخصيات التي حاولت الدفاع عــن جيهور لدليل على علو المكانة التي بلغها عنده . وهذه الذروة التي سما اليها صاحبنا كانت جديرة بأن يتشبث بها ويحرص على الحفاظ عليها بأي ثمن . ولكن سليمان المغيلي الذي كان من قبل يعاني من ادبار الزمان وتنكر الاخــوان وشماتة الاعــداء واهتضام الحقـــوق وضيق ذات اليد حتى انه رهن مهامزه وسوطه – لــم ينس . وهو في القمة . اصابته فيتنكر لعزته ويستهين بكرامته. وعندما امتحن التنازل عنها حفاظا على المنصب وحرصا على الجاه آثر كرامته وتحرر من كل قيد يشده الى عبودية كما يفعــل الآخــرون . وقرر اختيــارا حاسمــا . ولكنــه فـــي نفــس الوقـــت عظيم . يصون به كرامته وذلك عندما تعرض لاستهزاء من الامير الذي انعم عليه بالوزارة . وانه لموقــف تاريخي جدير بالتسجيل :

كان سليمان عظيم اللحية دون أن يكون شيء من الشعر على عارضيه (11) . وذات يوم دخل على الامير عبد الله . فلما رآه مقبلا جعل الامير ينشد في تهكم واصفا لحية وزيره :

هلوفــة كأنهـــا جوالـــق
نكراء لا بارك فيها الخالــــق

للقمل في حافاتهــا نفانـــق
فيها لباغي المتكــا مرافــق

وفي احتدام الصيف ظل رائق
ان الــذي يحمله لمائـــق

ثم قال له : « اجلس يا بربري » فجلس الوزير وقد اشتط غضبا اذ لم يحتمل من سيده هذا العبــث بلحيته وبشخصيته وقال له :

« أيها الامير انما كان الناس يرغبون في هـــذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم واما اذا صـــارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم . فان حلتم بيننا وبينها فلنا قبور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها » ثم وضع يديه في الارض وقام من غير أن يسلم ونهض الى منزله . فغضب الامير لذلك اشد الغضب وأمر بعزله ورفع دسته الذي كان يجلس عليه وبقي لذلك مدة غير ان الامير عبد الله شعر بفراغ مكانــه وضرورة حضوره لامانته ونصيحته . ورجاحة عقله فقال للوزراء :

« لقد وجدت لفقد سليمان تأثيرا . وان اردت استرجاعه ابتداء منا كان ذلك غضاضة علينا ولوددت ان يبتدئنا بالرغبة » فقال له الوزير محمد بن الوليد بن غانم :

« ان اذنت لي في المصير اليه استنهضته الـــى هذا » فاذن له : فنهض ابن غانم الى دار سليمان بن وانسوس فاستأذن . لكن الخادم ابطأ في العودة بالاذن بالدخول حينا ثم اذن له . ولما دخل الوزير وجد زميله المعزول قاعدا . دون ان يتزحزح لــه – وكـــان بروتوكولات الوزارة بالاندلس ايام بني امية تقتضي الا يقوم الوزير الا لوزير مثله فان زاره تلقاه بنفسه وانزله معه على مرتبته ولا يحجبه ولا لحظة – ولكن سليمان لم يراع تلك القواعد . وكيف يراعيها وهو لم يعد وزيرا دون ان يشعر بانه دون مكانة وزير بل بالضد من ذلك اصبح يرى نفسه انه أعلى من الوزير والوزارة . ولم يسكت رسول الامير ابن غانم على هذه الاهانة فقال لـــه :

---

(10) المغرب 94/1 . 95 . 133 – الحلة السيراء 375 ، المقتبس ورقة 49 .
(11) ويطلق على مثل هذا الكوسج .

« ما هذا الكبر ؟ عهدي بك وانت وزير السلطان وفي ابهة رضاه تتلقاني على قدم وتتزحزح لي عن صدر مجلسك ، وانت الآن في موجدته بضد ذلك »

فرد عليه سليمان بضمير مطمئن وشعور بالعزة كريم قائلا : **« نعم لانني كنت حينئذ عبدا مثلك وانا اليوم حر »** (12) وامام هذه اللهجة القاسية والموقف الصارم لم يستطع ابن غانم ان يفاتحه في امر مهمته فاضطر للعودة من حيث أتى مكلوم الكرامة ، ان كان له بقية من الاحساس بها ! ! يائسا من زميله السابق الذي اصبح حرا طليقا ، وللاحرار منطق يعدده المستعبدون غلظة وفظاظة وكبرياء ! ! ورجع الى أميره يخبره بما جرى ..

وحينئذ لم يجد الامير بدا من استرضاء وزيره الحر وهذا احوج ما يكون الى اخلاصه وبعد نظره فبادره بالتراجع والاعتذار اليه وحينئذ فقط رجع سليمان بن واسوس البربري الحر الى وزارته عزيزا كريما مرفوع الراس وازدادت مكانته سموا وعاد الى افضل مما كان فيه . وتلك عاقبة الاحرار الذين يحترمون انسانيتهم ويرون ان كرامتهم فوق كل اعتبار (13) .

فاس : د . عبد السلام الهراس

---

(12) انظر جذوة الاقتباس ترجمة 459 ، وبقية الملتمس ترجمة 775 والحلة السيراء 1/123 — 124.

(13) لم يتعرض احد فيما اطلعت عليه الى تاريخ وفاته او ميلاده وكل ما نعرفه انه كان يعيش وهو رجل يستحق ان يتولى السوق والوزارة ، اثناء حكم محمد والمنذر وعبد الله اي بين سنة 273 — 300 هـ ولن ندري هل توفي قبل عبد الله أم بعده ؟



البلوي صاحب كتاب «ألف باء»

للأستاذ عبد القادر زمامة

شخصيتان لامعتان في تاريخ الادب الاندلسي اشتهرتا بهذه النسبة « البلوية » وكل منهما اشتهر داخل بلاده وخارجها .. وكل منهما اديب رحالة ... لكن اولهما عاش خلال القرن السادس الهجري .. بينما عاش ثانيهما خلال القرن الثامن ...

— فالبلوي صاحب كتاب « الف باء » هو ابو الحجاج يوسف الذي عاش في ظلال حكم الموحدين بالاندلس ..

— والبلوي صاحب رحلة « تاج المفرق » هو ابو البقاء خالد بن عيسى الذي عاش في ظلال حكم بني الاحمر وتولى لهم خطة القضاء في احد الاقاليم التابعة لحكم غرناطة ...

والحديث الآن منصرف الى البلوى صاحب كتاب « الف باء » ... وقبل ان نرافق هذه الشخصية الاندلسية الغريبة ينبغي ان نقف قليلا عند هذه النسبة «البلوية»

فكتب اللغة والانساب تقول : ان قبيلة « بلي » على زنة « رضي » تنتمي الى قضاعة ... والنسبة الى « بلي » بلوي جريا على القاعدة الصرفية المعروفة .. وينبغي هنا أن نشير الى الضجة الكبرى التي اثارها النسابون والمؤرخون حول قضاعة .. فبعضهم يجعلها ضمن القبائل اليمنية .. بينما يابى آخرون الا ان يجعلوها ضمن القبائل العدنانية .. وهذا الخلاف يرجع الى اسباب سياسية معروفة نشأت حول التعصب القبلي ايام الامويين (1) ...

فالبلوي اذن ينتمي الى قبيلة عربية أصيلة عرفت بالاندلس ونبغ فيها جماعة من اهل العلم والفضل والنبل .. وهو بالذات يمثل هذه الفضائل الثلاث .. في سلوكه الشخصي والاجتماعي وثقافته الواسعة وفكره الخصب ...

ففي مدينة مالقة فتح ابو الحجاج عينيه على نور الحياة سنة 529 هـ وفيها نال حظه الوافر من الثقافتين الدينية والادبية .. وفيها اشتهر بخلقه النبيل .. واريحيته .. وانفاقه الواسع في باب البر والاحسان ولا شك ان ابا الحجاج البلوي شاهد وسمع في سنيه المبكرة الاحداث الاندلسية التي رافقت انهيار دولة المرابطين بالاندلس وقيام دولة الموحدين بها لكنه كان بطبعه عزوفا عن الميدان السياسي في سائر مراحل حياته .. فزيادة على انه كان في تلك الظروف ما يزال في بواكر الشباب .. وميعة الصبا .. فان اتجاهه كان يبعد به عن المغامرات لاقتناص الفرص ..

نعم ان ابا الحجاج كانت له مغامرات اخرى .. في ميدان آخر .. وهو ميدان الجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الله لرد كيد الغزاة الصليبيين عن الاوطان الاسلامية في المشرق والمغرب .. فيحدثنا كل من ابن

(1) انظر (تاج العروس) مادة قضع

الابار .. وابن الزبير ان صاحبنا ابا الحجاج البلــوي جاهد بنفسه مع يعقوب المنصور في الغزوات التــي خاض غمراتها في الاندلس لرد الصليبيين كما انه جاهد بنفسه ايضا مع صلاح الدين الايوبي في الغزوات التي خاض غمراتها في الشام دفاعا عن حوزة الاســـلام والمسلمين .. (2) .

فصاحبنا كان يعيش في معركة المصير .. ويؤدي واجبه المقدس في كل من معركتي المشرق والمغرب .. !!

وهناك ميدان آخر لفت انظار المؤرخين الذيــن اهتموا بترجمة البلوي وهو ميدان تأسيس المساجد والاسهام الفعلي في عملية البناء بها . زيادة على انفاق الاموال . وتسديد النفقات واحصى المؤرخون لـــه خمسة وعشرين مسجدا بناها بمدينة مالقة ... ! من ماله الخاص ... ! كما احصوا له خمسين بئرا حفرها.. لينتفع الناس بمياهها (3) .

يسير علينا أن نتصور صورة لهذا الرجل مــن خلال اعماله الانسانية ... فيخيل الينا في هيئة تطفح بنورانية الايمان .. وجلال العلم .. وجمال الخلـــق .. وبساطة العيش .. فهو انسان يعيش لاسعاد انسانية الآخرين .. ولا يملك لنفسه الا ما يملكه للآخرين ...

ويسير علينا ايضا أن نتصور المكانة الساميــة التي حظي بها هذا الرجل بين اهل عصره من اساتذة وطلبة وقضاة وحكام .. فقد جمع الى سعة علمه .. سعة خلقه وصفاء عقيدته وطهارة وجدانه .. وبذلك ضرب مثلا أعلى لاهل وطنه ..

ورحل البلوي الى المشرق سنة 561 هـ وهو في ريعان الشباب وكمال القوة .. ونحن نعرف أن رحلــة الاندلسيين كانت تجشمهم أخطارا واهوالا في البـــر والبحر .. ولكنهم كانوا يتهافتون عليها ليتصلوا باهل العلم والمعرفة وياخذوا عنهم كل ما أمكن اخذه باحثين منقبين عن الاخبار والاثار والكتب والفوائد العلميــة والاحاديث النبوية .. وفي موسم الحج يؤدون المناسك الدينية .. ويتصلون بعلماء الاقطار الاسلامية .. ويتلقون عنهم كل ما جد من علم وادب وتاريخ واخبار .. وهكذا فعل البلوي .. فقد مر على مدينة بجاية واخذ بها العلم عن شيخها أبي محمد عبد الحق الاشبيلي صاحب كتاب الاحكام .. ويصرح ابن الزبير في الترجمة التي كتبهـا للبلوي ان عبد الحق الاشبيلي انما ألـــف كتـــاب « الاحكام » اجابة لرغبة تلميذه البلوي .. وقد زاره في ذهابه وايابه ..

ويمر البلوي على الاسكندرية فياخذ بها العلم عن شيوخها ولا سيما منهم ابو الطاهر السلفــي .. (4) واشتهر امر البلوي في مصر .. ومن اجل ذلك نجد اصداء عدة لاخباره في عدة مصادر تاريخية كتبت في مصر في ذلك العصر أو قريبا منه ..

ويحج البلوي .. وفي ذلك الموسم العظيم يشاهـد عالما من الحجاج اختلفت السنتهم والوانهم واتفقت قلوبهم وعقائدهم فاخذ يسعى الى العلماء منهم باحثا عن ضالته المنشودة في العلوم والمعارف .. وقد اشار الى ذلك في كتابه (الف باء) .

وقصة جهاد البلوي مع صلاح الدين الايوبــي التي رواها المؤرخون الثقات لا ندري وقتها بالضبط ..

فهل كانت في هذه السنة التي حج فيها ... ؟

ام كانت في سنة اخرى ..؟ وينبني على ذلك سؤال آخر .. وهو هل رحل البلوي مرة اخرى الى المشرق بقصـد الجهاد مع صلاح الدين الايوبي .. ؟

ليس لدينا جواب شاف في الموضوع ... ! غير ان المؤرخ ابا الفداء الذي تتبع حياة صلاح الدين الايوبي في مراحل حياته .. يذكر لنا في حوادث سنـة 562 هـ حصار الفرنج لصلاح الدين في مدينة الاسكندرية .. وقد دام هذا الحصار ثلاثة اشهر ..! (5) والبلوي كان في هذه السنة ما يزال بالمشرق .. فلعله جاهد مع صلاح الدين لفك الحصار المضروب على هذه المدينة .. وعلى كل فقصة جهاد البلوي مع صلاح الدين امر ثابت لاشك فيه ..

ويرجع البلوي من رحلته التي استغرقت نحو السنتين على نفس الطريق التي ذهب منها .. حامـلا معارف كثيرة واخبارا وكتبا .. ويجد في مالقة ميدانـــا خصبا لاظهار مواهبه العلمية والادبية والخلقية ..

---

2) انظر « التكملة » لابن الابار الترجمة رقم 2089 من طبعة مجريط سنة 1887 م ... وانظر صلة الصلة لابن الزبير الترجمة رقم 426 طبعة الرباط 1937 م .

3) انظر المصدرين السابقين ..

4) السلفي بكسر السين كما هو منصوص

5) تاريخ أبي الفداء ج 3 ص 45 .

فهو عالم أديب مؤلف شاعر لغوي رحالة وهذه كلها اوصاف تغري الناس بالاخذ عنه والاستفادة منه.. وقد عاصر البلوي فى الاندلس جماعة من اعلام الفكر والثقافة والسياسة .. كما عاصرملوك الدولة الموحدية:

— عبد المومن ..

— ويوسف بن عبد المومن ..

— ويعقوب المنصور ..

— والسنوات الاولى لمحمد الناصر ..

ولجميع هؤلاء اعمال مشهورة فى الاندلس والمؤرخون حينما ذكروا قصة جهاد البلوي مع يعقوب المنصور كانوا يعنون « فى الغالب » مشاركته الفعلية فى معركة « الارك » الشهيرة سنة 591 هـ التي هزمت فيها الجيوش الصليبية القشتالية شر هزيمة .. وسن البلوي اذ ذاك يجاوز الستين ... !!

وودع أبو الحجاج البلوي هذه الحياة سنة 604 بعد ان خلد ذكرا يفوح منه أريج النبل والفضل والعلم.. وقائمة من اعمال البر والاحسان شرقا وغربا .. وعددا من التلاميذ اشادوا بعلمه وادبه وخلقه ..

لكن الاثر الوحيد الذي نملكه الآن من آثار البلوي هو كتابه النفيس الممتع الذي سماه : « الف باء »

وينبغي أن نقف قليلا ازاء هذا الكتاب العظيم الاهمية فى اللغة والادب والتاريخ .. بعد ان طبع منذ قرن من الزمن طبعته الاولى .. ثم تناساه الباحثون فى تاريخ الادب الاندلسي مع كثرتهم فى هذا العصر .. !!

الف البلوي كتابه هذا فى آخر حياته وقد اصبح يطل من خلال سنيه الطويلة على مسرح الحياة فى جدها وهزيلها .. وجعله معلمة واسعة لابنه عبد الرحيم الذي كان اذ ذاك ما زال يتخطى السنين الاولى من طفولته ..

والكتاب معلمة حقيقية مرتبة على نسق غريب من الحروف الهجائية .. يذكر المادة اللغوية ثم يذكر مادة اخرى مكتوبة من قلب ترتيب المادة الاولى .. ويستمر فى هذا النسق الغريب .. الى آخر الكتاب .

والبلوي متأثر الى حد كبير بلزوم ما لا يلزم المعروف عند أبي العلاء المعري وعند غيره من الشعراء والكتاب .. فنجده يستعمل هذا اللزوم فى شعره ونثره ويحافظ على هذا الاستعمال محافظة غريبة حقا ..

وقد شحن هذا الكتاب بالفوائد التى اراد ان يطلع عليها ابنه عبد الرحيم ويستفيد منها .. كما روى لنا فيه عدة اشعار نظمها ، وطرائف سمعها .. واخبار رواها.. مع الاشارة الى بعض اخبار حياته الخاصة فى اقامته وسفره .

ويذكر المؤرخون ان هذا الكتاب الذي بين ايدينا الآن ليس الا اختصارا لكتاب كبير سماه :
« تكميل الابيات ، وتتميم الحكايات مما اختصر للالباء فى كتاب ألف باء » .

ويزيدنا المؤرخ ابن الزبير معلومات عن هذا « التكميل » فيقول :

« وجمع كتابا آخر سماه التكميل ضمنه كثيرا مما جرى بينه وبين صديقه ومؤاخيه وشيخه الخطيب الاديب الحافل الورع الزاهد ابي محمد عبد الوهاب القيسي » (6) .

ولو وصلنا هذا « التكميل » لكنا نعرف عن أبي الحجاج الشيء الكثير ..! ولكنا على علم تام بقائمة كتبه ، وشيوخه ، وتلاميذه ..

ولعله من المفيد هنا أن نشير الى ان هناك مصدرين يظن ان بهما معلومات مفيدة عن ابى الحجاج البلوي :

1) معجم السفر للحافظ السلفي الذى اخذ عنه ولازمه فى الاسكندرية .. وتحدث بشيء من أخباره فى كتابه « الف باء » وتوجد من هذا المعجم نسخ خطية فى المغرب والمشرق (7) .

2) كتاب « التكملة لوفيات النقلة » الذى الفه الشيخ عبد العظيم المنذري المصري المتوفى سنة 656 هـ (8) بعد نحو نصف قرن من وفاة البلوى .

فاس : عبد القادر زمامة

---

6) انظر التكملة لابن الابار ترجمة 1795 .

7) استخرج من هذا المعجم الدكتور احسان عباس مجموعة من أخبار وتراجم الاندلسيين طبعة بيروت سنة 1963 وليس فى هذه المجموعة شيء عن البلوي ...!!

8) أشار الى هذا الكتاب الشيخ خير الدين الزركلي فى الاعلام ج 9 ص 327 ونقل من بعض اجزائه المخطوطة

مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية الى إيطاليا منذ ثمانين سنة

للأستاذ الحاج احمد معنينو

عثرنا على مذكرة مفيدة كتبها بخط يمينه طالب مغربي ارسل في احدى البعثات المغربية الى ايطالية للتدرب على الاعمال العسكرية . ورغم أن صاحبها لم يلتزم فيها الاسلوب الادبي والعرض الانيق فانه ضمنها ملاحظاته وارتساماته عن اعماله واعمال زملائه هناك ، ضمنها وجهة نظره في الاحوال السائدة يومئذ ، وذاكرا مقدار اهتمام المسؤولين بوضعية ابناء الوطن المبعوثين . ونورد ما اثبته الكاتب بشيء من التصرف ليصبح صالحا للنشر .

تنظيم البعثة وسفرها :

لما استوعب عاهلنا الدبلوماسي العظيم مولانا الحسن الاول المفدى الاحوال السياسية الجارية في وقته ، عزم على أن ينهض برعيته الى درجة ارقى ، ولذلك ارسل سيادة نائبه بطنجة السيد امحمد بركاش قصد المخابرة مع السادة سفراء الدول في شأن ارسال بعض الشبان للتعلم في مدارس اروبا ، والاطلاع على الفنون العصرية .

وهكذا ذهبت البعثة الاولى الى العواصم ، لندرة وبرلين ، وطورينو ، وباريس ، ومدريد وكانت متركبة من شبان ينتسبون لمدن طنجة وتطوان وفاس والرباط وسلا (1)

وفي شأن هذه البعثة الثانية اصدر جلالة السلطان ظهيرا هذا نصه :

ـ بعد الحمدلة والتصلية والطابع الشريف ـ

خديمنا الارضى الطالب امحمد بركاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

« وبعد ، فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين اناس ترايست والمكينة وعلم البحر ، وان يفرقوا على نواب بابورات النكليز والفرنصيص والصبنيول والالمان والطليان ، وعددهم ستة لكل جنس ، واثنان من الستة المذكورين يخصون بتعليم ترايست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم ، عند كل جنس ممن ذكر ، واربعة لتعلم علم البحر ، وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ويكون صائرهم على جانب المخزن ، اذ المقصود هو تعلمهم ، وعليه فكلم نواب الاجناس المذكورين في ذلك وتفاوض معهم فيه ، واعلمنا بجوابهم لك فيه لتأمر عما يكون عليه العمل في ذلك ، وعجل ولابد ، والسلام »

في عاشر رجب 1299 هـ .

وكانت البعثة الثانية متركبة من فتيان مغاربة تتراوح اعمارهم بين 13 و 16 سنة ، وقام السفير الايطالي ـ جنطيلي ـ Gentilé بجولة لانتخاب الفتيان المرشحين للذهاب الى ايطالية ، فاختار من مدينة الرباط عشرة ، ومن سلا خمسة ، ومن العرائش اربعة ، ومن طنجة ثلاثة ، ومن فاس اثنين ، ويقول الطالب :

(1) انظر ما كتب عن هذه البعثة الاولى بمجلة « البحث العلمي » العدد التاسع من السنة الثالثة

توجهنا الى طنجة في فاتح سنة 1306 ـ الموافق لسبتمبر 1888 م ـ ومكثنا بها 18 يوما ريثما هيئت لنا الكساوي ، وفي اليوم الثامن عشر من نفس الشهر رست الباخرة الحربية ـ ضانضولو Dondolo الايطالية ونقلتنا الى ايطالية ، وبعد يومين رست بنا في مدينة جنوة ؛ وهناك وجدنا في استقبالنا مدير المدرسة التي سنلتحق بها وهو السنيور « اوغستين دي قروصي ـ وبعد ان بتنا ليلة بالفندق اتجهنا على طريق السكة الحديدية الى مدينة ـ طورينو ـ الكائنة بسفح ـ بيمنطي ـ بين نصف دائرة جبال الألب وعند الوصول اقيمت لنا حفلة بالمدرسة بمجرد دخولنا اليها ، واستقبلنا التلاميذ والاساتذة .

وقد كان مرورنا من المحطة الى المدرسة محط التفات الانظار الينا بكامل العجب ، خصوصا وقد كنا ما نزال نرتدي الزي المغربي (كساوي المحصور من توب الملف) التي لبسناها في طنجة .

المدرسة الملكية الدولية الإيطالية :

هذا هو اسم المدرسة ، وشعارها « الاخاء الاجنبي » Fratre Exaovenis اي « ان كل الاجانب الموجودين بهذه المدرسة هم اخوة »

والمدرسة مربعة الشكل، طبقتها السفلية تحتوي على بيوت للدراسة وعلى قبة بمدخل الباب تعلو قاعة فسيحة لاستقبال الناس ، وقاعة فسيحة اخرى لجلوس التلاميذ وقت الراحة ، والطبقة العليا عبارة عن حجرات من الخشب هي بيوت لنوم التلاميذ الداخليين الاجانب مثلنا .

وهناك تعرفنا بعدد من الشبان جاءوا من امريكا الجنوبية ، ومن روسيا ، ومن المانيا ، ومن فرنسا ، ومن مصر ، والتحقت بنا البعثة الحبشية التي ارسلها الملك ـ ليقوس منليك ـ كما كان هناك وفد من بلاد البلقان من بينهم ابن اخ ملك الجبل الاسود (1) وهذه العائلة كانت لها مصاهرة مع البيت المالك من حيث تزوج ولي عهد ايطالية بهيلينة ابنة ملك الجبل الاسود .

وتعرفنا في هذه المدرسة بولي عهد مصر سمو الامير احمد فؤاد .

الدراسة وتوجيه الطلاب :

بدأنا في اول الامر بتعلم مبادىء اللغة العربية وذلك على يد استاذ لبناني يعرف بـ ـ دون ماركس ـ وبتعلم اللغة الايطالية على يد استاذ ايطالي ، واخذنا ننتقل من طبقة الى طبقة .

وفي السنة الثالثة استدعانا مدير المدرسة وقرا علينا امرا ورد من جلالة مولانا السلطان عن طريق نائبه بطنجة وسفير ايطالية .. واخبرنا ان مولانا يريد أن نتفرق على ثلاث فئات :

1 ـ فئة لدراسة تربية الجنود
2 ـ وفئة لتعلم علوم البحار
3 ـ واخرى لتعلم صناعة السلاح

وكذلك كان الامر ، فاختار الطلبة :

1 ـ احمد الجبلي العيدوني	الرباط	المدفعية
2 ـ محمد الحريري	الرباط	الخيالة
3 ـ علي السوسي	العرائش	المشاة
4 ـ الحسين الزعري (كاتب المذكرة) (2)	سلا	المشاة
5 ـ محمد الوزاع	الرباط	المشاة
6 ـ محمد التدلاوي	الرباط	المشاة
7 ـ محمد طجة	الرباط	البحرية
8 ـ محمد بن سالم	الرباط	البحرية
9 ـ محمد الشرقاوي البهالي	الرباط	البحرية
10 ـ محمد ولد الباشا	الرباط	البحرية
11 ـ التهامي امبيركو	الرباط	السلاح
12 ـ فضول بن صالح	العرائش	السلاح
13 ـ مصطفى الاوديي	العرائش	السلاح
14 ـ محمد البرجالي	العرائش	السلاح
15 ـ محمد بن اسماعيل	سلا	السلاح

---

(1) وهو جمهورية مستقلة من جمهوريات يوغوسلافيا.

(2) هو والد السيد مصطفى الزعري الموظف بادارة الامن واخيه الدكتور ادريس الطبيب الرئيس الاقليمي ببني ملال حاليا

16 ــ احمــد جرضان طنجــة السلاح

17 ــ العربي حركات ســـلا

(لكنه كان منصرفا الى النحو والشعر !)

18 ــ عبد الله التيال ســـلا

هو انجب الطلاب ، لكنه اصيب بمرض ومات هنـــاك

19 ــ محمد القجيري ســلا

كانت همته فقــط منصرفــة الى التسطيــر والتوريق

20 ــ مصطفى لحلو
فــاس قانون التجارة والحساب

21 ــ محمد القباج (1) قانون التجارة والحساب

تفقــد البعثـــة :

وصل الى ايطاليا وفد يتراسه عبد الســلام برشيد الشاوي وذلك خلال سنة 1892 بأمر مولانــا السلطان الحسن الاول . وكان يحمل هدية ثمينة الى ملك ايطالية تشتمل على انفس المصنوعات المغربية من الذهب والفضة مرقومة منقوشة ، مما جعل الصحف الايطالية تشيد بذلك مفتخرة . فلما عزم السيد عبد السلام برشيد علــى مبارحــة رومــة قدم الامبراطور هدية ثمينة فاخرة لمولانا الحسن وذكرت الصحف ذلك . وقال لنا مدير المدرسة ان الامبراطور نزع خاتما من اصبعه واعطاه للسيد عبد الســلام برشيد قائلا له :

ــ اجعل هذا في اصبع جلالة السلطان ملــك المغرب ، مغزى للمحبة والوداد اللذين بيننا . ثم اذن للسيد برشيد بالتجول في المدن الايطالية ، فلما وصل الى مدينة ميلانو اتصل تليفونيا بمدير المدرسة وطلب منه ان يأتي مصحوبا بكافة الطلاب المغاربة . وفعــلا ركبنا في الغد قطار السكة الحديدية ومعنا المديــر والاستـاذ مـدرس اللغــة العربيــة ــ مــاركس ــ وكان استقبالنا بأعظم فنـدق موجــود بساحــة ــ الدومو ــ ، واقيمت لنا مادبة فاخرة ، وزودنا قبل الافتراق بـ ــ لويز ــ ذهبي لكل واحد منا ورجعنــا الى اعمالنا وسافر السيد عبد السلام الى المانيا .

تعاون مع ايطاليا :

تعلمنا اللغة الايطالية ، وصرنا نتـذاكر بهـا في طلاقة ، وكان مدير المدرسة السنيور ــ دي قروصي ــ يحبني شخصيا ويضع ثقته في ، مما جعله يخبرنــي باسرار عديدة منها الحلف بيـن ايطاليـا ، والمانيـا ، والنمسا ، وما يمكن ان يستفيد المغرب بسببه. وفعلا تاسس بفاس معمل للسلاح كان مديره هو السنيـور ــ كافيني ــ كلونيـل في العسكريــة مــع المهنـدس ــ نطاري ــ فلما رجع الشبان الذين كانوا بمعمـل ــ بريشيـة ــ استخدموا فيه وكان امهرهم فضــول والمصطفى . كما تكلفت دار الصناعة بـ ــ ليفرنو ــ بصنع جوالات حربية لحراسة الساحل المغــربي وبصنع بواخر للنقل ، فالجوالة سميت بـ ــ البشير ــ وهذا الاسم اخذ من بيتيـن من الشعـر ارسلهمــا المخزن الى دار الصنعة ودار الصنعـة ارسلتهـما الى المدرسة ليستخرج منهما اسم الجوالة !

ولما رجع الشبان الذين كانوا بمدرسة البحرية ، بعد دراسة خمسة اعوام ،تعلما وتجـولا في البحار ، وظفهم المخزن الشريف ، وكانواذوي خبرة حيث انهم تخرجوا ضباطا صغارا Sotta officialé di marina كما ان العسكريين حيث رجعوا عملوا بالدائرة المخزنية وفي سنة 1900 الف منهم المخزن الشريف لجنـــة عسكرية مركبة من : السيد احمد الجبلي ، والسيد محمد بن عمر ، والسيد محمد التدلاوي ، والسيـــد الفقيه احمد التطواني امين (الصوائر) وارسلهـــم الى معمل السلاح دار (كروب) باسن في المانيا ، ومن هناك اشتروا مدافع جبلية وغير جبلية . وقد لقــوا عناية واكراما مدة اقامتهم والتقوا بوفد تركي فتعرفوا به وكان قصده شراء المدافع كذلك .

الرخص الصيفية لطلبة البعثة :

كنا نقضي مدة العطلة الصيفية ــ نحن الذين لا نستطيع العودة الى اوطاننا لبعد المسافــة بمنطقـــة ــ كافور ــ Gavour بجوار جبال الالب ناحيــة منفيرو ، وكنا دائما نتجول بين المناطق ونتفسح فيها ، ونصعد الى قمم الجبال المكسوة بالثلوج ، واغتنمــوا تلك المناسبات فصعدوا بنا الى القلاع السرية الموجودة

(1) مجموع ما ذكر الكاتب من قبل هو 24 طالبا وهو في هذه القائمة لم يذكر الا 21 طالبا ؟

على الحدود الايطالية ـ الفرنسية ؛ وهذه القلاع ممنوع دخولها حتى على الايطاليين ؛ لكن اذن لنا به ؛ وهكذا كنا نتجول ونمعن النظر في كيفية البناء والتحصين . وقد تحدث الكلونيل الذي كان مكلفا بالتجول معنا متمنيا ان نقيم مثل هذه القلاع في وطننا، وانه يسوغ لنا نحن طلبة البعثة الحسنية ان نطلع على اسرار الاستعدادات الحربية . لان كل ذلك مرخص به لنا من لدن الدولة الايطالية !

مشاريع مغربية اقتصادية :

ان من جملة الاخبار التي امدنا بها مدير مدرستنا ان جلالة سلطاننا عازم على فتح (بنك) وانه قد هيأ لذلك ضمانة قدرها ـ 20.000.000 ـ عشرون مليونا من القطع الذهبية، من ـ اللويز . والصبلون . والبندقي ـ هذا عدا القطع الفضية من انواع السكك التي كانت تروج في قطرنا وتعجب من ان ذلك وقع في ظرف ثلاثة شهور فقط . مما يدل على ان المغرب غني، ولما قلت له: ان ايطاليا اغنى من المغرب فاجاني قائلا : انكم اغنى من ايطالية من حيث انه لا ديون عليكم .

وزاد . فاخبرنا ان معملا ايطاليا تهيأ لضرب السكة الذهبية والفضية والنحاسية بالعاصمة : فاس . وان المانيا تكلفت ببناء قلاع للدفاع بمدن شاطيء البحر بالمغرب . وبشرنا ان الراية المغربية سترفرف في البحار كلها من قريب .

طمـوح صاحب المذكـرة :

انصرفت السنة الثامنة منذ حلول البعثة بايطالية . ورجع الى المغرب الضباط . والضباط العسكريون . وصانعو السلاح .. وتاخرت انا عن الرجوع ذلك لانني اخذت اتعاطى دراسة اللغات الاجنبية بترخيص من وزارة الداخلية الايطالية ، وهكذا انخرطت في المدرسة العليا بمدينة (طورينو)، وبقيت في ايطاليا حتى سنة 1898 الى ان حصلت على الشهادة التي كنت ارغب فيها .

وقد كان في نيتي ان انتقل الى مدينة ـ فلورانس ـ لتتميم دروسي في اللغات وخصوصا اللغة الالمانية مع دراسة (الحقوق الدولية) ، لكن الصدر الاعظم الفقيه السيد احمد بن موسى ارسل كتابا يامرني فيه بالرجوع الى المغرب . وكان رجوعي في شهر نونبر 1898 . فلم يبق من اعضاء البعثة بعدي سوى طالبين من طنجة ، وقد خسرت البعثة الطالبين عبد الله النيال ومحمد القجيري اللذين توفيا هناك رحمهما الله .

استقبال الطالب العائد من طرف المسؤولين :

في اوائل نونبر 1898 اقلعت الباخرة من جنوة وفي اليوم الرابع رست بركابها بطنجة ، وبمجرد نزولي قصدت في الحين دار النيابة وحييت الفقيه الغيور السيد محمد الطريس نائب الدولة هناك بما يليق بجنابه من التحيات ؛ فرح بي وسالني عن عدة اشياء فاجبت بما استطيع ؛ ثم امر (الامناء) ان ينفقوا على خياطة كسوة من الملف . وبعد 20 يوما رحلت بحرا الى الجديدة ومنها الى مراكش وبادرت الى دار المخزن حيث حضرت لدى الفقيه الوزير السيد احمد بن موسى . وقد طلب مني ان احضر الى منزله مساء نفس اليوم على الساعة الرابعة ؛ وفي مكتب خاص بمنزله استقبلني على انفراد واخذ يلقي اسئلة دقيقة عما وقع مع مدير المدرسة ومع وزير الخارجية ؛ واستمرت هذه الجلسة الاستخبارية الى الغروب .. وعاد فطلبني ان احضر مرة اخرى صباح الغد لدار المخزن بالصدارة على الساعة التاسعة صباحا، وودعني وودعته بما يليق بجانبه .

وفي الغد لما مثلت بين يديه في الوقت المعين امر ـ مخزنيا ـ ان يصحبني الى وزير المالية السيد عبد السلام التازي الرباطي . وقد احسن الامين (1) استقبالي واجلسني بقربه لما اتاه المخزني بملف يحتوي على مراسلات متنوعة وحوالات ودفعه الي طالبا مني ان انظم ما في الملف . وفي الحين انتقلت الى حجرة مجاورة وفتحت الملف واذا بجميع المراسلات باللغة الانجليزية فنظمتها كما يجب ، بحيث جعلت المراسلات التي اجيب عنها على حدة ، والتي لم يجب عنها على حدة ايضا ، كما فرزت الحوالات التي دفع واجبها من التي لم يؤد واجبها بعد ، وقد اعجب الامين بعملي وبلغ ذلك للصدر الاعظم فاستحسنه ايضا ووجهني الى وزير الحربية ـ العلاق ـ السيد سعيد، فوجدت معه الفقيه السيد محمد الجباص الذي اخبرني انه كان في بعثة قبلنا الى لندرة ، وجرت بيننا محادثة باللغة الانجليزية وعمل السيد محمد على

---

(1) ذكر الكاتب هذا المسؤول بلقب الوزير ثم بلقب الامين

تسجيلي في كناش خاص بصفتي عارفا باللغات الاجنبية ، وخصص اجرة شهرية قدرها 24 ريالا . واوصاني جناب الوزير السيد سعيد ان اتردد عليه، بل اسكنني بدار قرب داره، وذلك ليطلعني على مراسلات جلها فرنسية ، ومضمنها قواعد حربية وضوابط سياسية

العودة الى مسقط الرأس :

بعد مكثي بالعاصمة الجنوبية مدة ثلاثة اشهر ، امر باحضاري جناب الصدر الاعظم بين يديه ودفع لي ثلاث رسائل، احداها لسيادة باشا سلا السيد عبد الله بنسعيد والثانية لامين مرسى الرباط السيد عبد الخالق افرج والثالثة للعمال لاطلعهم عليها اثناء سفري واسرني ان اعود الى الحمراء بعد صلة الرحم مع والدي ومع عائلتي ، ذلك لانه ينوي ان يبعثني الى اروبا لاغراض وحاجات ابقاها بنفسه يود مني ان اقضيها هناك .

وبارحت مراكش في ببراير 1899 (1) وقد كانت رحلتي من مراكش الى سلا عبارة عن نزهة بسبب الاعتناء والبرور اللذين لقيتهما مراعاة لتوصية جناب الصدر الاعظم ولما حللت بسلا سلمت لباشا سلا رسالته ، كما مكنت امين المرسى من كتابه وقد امر بعد قراءته بان يدفع لي 100 ريال حسنية ، وقد تعرفت على موظف هو السيد عبد السلام الفاسي الذي اخبرني انه كان في البعثة الاولى بمدريد ولذلك تحادثنا باللهجة الاسبانية . وقبل ان انصرف اخبرني الامين بان المخزن اعزه الله امر لي ب 24 ريالا شهريا ما دمت في سلا .

وما مضى شهران حتى استدعاني امين المرسى السيد عبد الخالق افرج وقرا علي مراسلة يوافق فيها الصدر الاعظم على اقتراح الامين بان ابقى بجانبه لاكون واسطة بينه وبين المهندس الالماني – روطينبورغ Rotten Bourg المكلف ببناء برج الرابطة . وهكذا اصبحت موظفا بالرباط فالتقيت بالمهندس الذي سر سرورا كبيرا بمعرفتي اذ سيمكنه التفاهم بواسطتي مع الامين في كل ما يحتاج اليه ، وقد حصلت لي معه الفة ، فاطلعني على الاتفاقية المبرمة مع مدير معمل السلاح – كروب Krup بمدينة اشن، وانه بمقتضى هذه الاتفاقية صار المهندس مكلفا ببناء تسع قلاع بمدن الساحل ، كل قلعة تحتوي على مدفعين من ذوات القذف البعيد . وتسهيلا للاعمال تبرعت – دار كروب – بتاسيس سكة حديدية لنقل المعدات والاثقال من البحر الى مراكز القلع ، وتقرر ان تبنى القلاع الثمانية بعد بناء قلعة الرباط وتجربتها.

خلال هذه المدة كان الحاج محمد سباطة يدرب فرقة من الرجال ، ويعلمهم فنون حربية وكيفية تسيير حركة المدافع مع فنون الرماية . هذا عدا جماعة المدفعيين التي كانت قائمة بحراسة الابراج والقلاع القديمة وتتدرب على اطلاق المدافع . وبما كانت ايضا جماعة من المدفعيين تتدرب بالحسنات وبالمناسبة الى عيار المدافع وذلك تحت رياسة الباشا الحاج احمد زنيبر . وهنالك جماعة اخرى كانت بالعرائش ، واخرى – وهي اكبر – كانت بطنجة وجل افرادها من اهل سلا .

ملاحظات وآراء حول الظروف السياسية :

– وفي سنة 1901 و 1902 ظهر المارق ابو حمارة الجيلاني الزرهوني في نواحي تازة . وبما ان قضيته قد استفحلت فقد وجبت الخدمة العسكرية، ووجب قرض المال من الخارج – 11 الف ريال – من ابناك البلاد المنخفضة : هولندة – بلجيكة – والسويد.

– اضطر الركاب الشريف بسبب هذا الحدث الى الانتقال من مراكش في اتجاه العاصمة فاس . وقد كان النزول بالرباط لمدة تزيد على الشهر .

– كان قائد الجيش الاكبر هو الانجليزي ماكليين، وبعد وفاة الوزير السيد احمد بن موسى سمي القائد الاكبر واطلق على نفسه – الجنراليسم Généralisseme رغما عن وجود فرقة لتدريب العسكر بمراكش تحت قيادة الكومندان الفرنسي – فورني – وجل افراد هذه الفرقة من اهل الجزائر. وبتولية الجنرال ماكليين القيادة الكبرى على الجنود المغاربة عظم الخصام بينه وبين الكومندان الفرنسي. خصوصا وان الوزير المنبهي توجه الى لندرة وتعامل مع الحكومة الانجليزية صحبة الجنرال . وهكذا تغيرت السياسة واكفهر الجو .

– كان المهندس الالماني سائرا في اشغاله ، وكان له صديق بالدار البيضاء يتراسل معه بواسطة الحمام ، ومن الدار البيضاء كانت ترسل الاخبار والحوادث الواقعة بالمغرب الى دولتي المانية وانكلترة .

(1) هذا ما اثبته صاحب المذكرة وفيه التباس بالنسبة لتاريخ رجوعه الى المغرب .

ـ جاء الجنرال ماكليين الى المهندس الالمـــاني واخبره ان الكومندان الفرنسي اخبر جلالة السلطان بان البرج الذى بني بضاحية الرباط غير متين وانــه سيتهدم بمجرد اخراج الطلقة الاولى من المــدفع ، فرغب جلالة السلطان ان يقف على الحقيقة بنفسه ، وفعلا حضر الى القلعة فوجد هيئة المدفعيين حاضرة ومصطفة على احسن حال وحيوه باجلال وتعظيم ، وامرنا جلالته ان نطلق المدفع وبقي ينتظر خارج القلعة. وبعد اخراج طلقتين ووصول الطلقة الى داخل البحر، بمسافة 20 كيلومترا تفضل جلالته ودخل القلعــة ووقف بنفسه على كيفية اخراج الطلقة المدفعية للمرة الثالثة ، وبعد هذا اخذ جلالته يحضر كـل مســاء للبرج وينصب له المهندس مدفعا من العيار الصغير فيقوم ببعض الرماية.

ـ بعد نجاح التجربة ذهب المهندس الالماني الى ساحل سلا ورسم مركز القلعة الثانية على بعد مـن قصبة ـ سيدي موسى ـ واختار المكان وراء ربـــوة رملية لاخفاء القلعة عن مرمى العدو من البحر ، واخذ المهندس ينتظر الجواب للبدء فى العمل ، لكن جـاءه امر من سفارته بان يكف عن العمل نظرا للتـــوتر فى الجو السياسي . وهكذا لم تبن سوى قلعة واحدة من تسع قلاع كان من المقرر بناؤها .

ـ توالت الاضطرابات فى السياسة الخارجية، زيادة على الاهوال التى كان يعيش فيها المغرب بسبب ظهور ـ ابي حمارة ـ ، والتشويش فى احواز وجدة وتازة وايضا فى ناحية مراكش .

ـ وظهرت حوادث اخرى وانقلابـات فى جـو السياسة الخارجية بمجيء جلالة ملك المانية الى طنجة لزيارة ملكنا مولانا عبد العزيز ، وادت هذه السياسة الى اعلان رغبة ملكنا فى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء باسبانية سنة 1906 .

ـ انتهى ما كتبه السيد الحسين الزعري عضو البعثة المغربية الثانية الى ايطالية بتصرف . ـ

سـلا : الحاج احمد معنينو

.....





للأستاذ محمد بن أحمد شماعو

الضباط الفرنسيون يتقدمون ، ومن ورائهم ومن حولهم آلاف الجنود ، يذرعون الارض المغربية بقصد تكميل عملية الاحتلال ، وهي عملية ليست سهلة ، فالحروب بمعاركها الطاحنة ، وجثثها او اشلائها ، وزعقات قتلاها وآلام جرحاها ، لم يقل قائل يوما انها سهلة ويسيرة ، انما الذى يعطيها فرص الفوز والظفر ان يكون القادة محنكين ، والجنود بسلاء ، والزاد والعتاد فى وفرة كافية .

لقد تمت عملية احتلال السهول والوهاد بمقاومة، او بشيء من المقاومة ، او بدون مقاومة تذكر ، وبقيت منعرجات الاطلس وقممه مغالبة ، تحمى المقاومين الاطلسيين ، وتغريهم بالصمود ، خصوصا منهم الذين يوجدون تحت زعامة قوية جبارة من نوع زعامة البطل (حمو الزياني) .

ان منطقة (زيان) بقبائلها العديدة بلغتها كلها دعوة سيدي (حمو) لتقاوم خصوم الاسلام واعداء الوطن ، فاستجاب منهم من استجاب ، وانخدع من خدع واستسلم من غلب ، وبقي البطل الشيخ نفسه ثابتا ثبوت الصخور التى درج عليها ، وابى الاستسلام مطلقا .

واستعدت فرنسا للامر ــ وهي لم تجيء المغرب على غير استعداد ــ فتهيأت لملاقاته بكولونيل محنك على درجة كبيرة من الحزم والدهاء . وهذا الكولونيل بدا استعداداته من زمن بعيد فتعلم اللهجة البربرية وحذقها جيدا ، وعرف عن الاسر البربرية ما يجب ان يعرف عنها بتوسع ، وحفظ الاغاني والازجال ، ومارس الرقص الاطلسي ، ثم انكب بجد على ملف البطل (حمو الزياني) فدرسه بصبر ودقة ، وبذلك فهم خصمه كما يجب ان يفهمه، شخصيا وقبليا وعائليا وماليا وعقاريا .. كما تفهم الخصومات العائلية ، والنزعات الشخصية لهذا الرجل العظيم القيمة. ولم يفته قبل الحلول بأرض المعركة ان يدرس مع المسؤولين الكبار حدود التنازلات التى يمكن ان تمنح لهذا المقاوم لاغرائه بالاستسلام ، وافساح المجال للجنود الفرنسيين ومن والاهم باجتياز الاطلس الى ما وراءه ، وفعلا حصل الكولونيل على وعود لم تقدم لأي زعيم أو متزعم آخر !

وهكذا جاء الكولونيل عارفا بمواقع اقدامه ، ومدركا كل الادراك المهمة التي هو مقبل عليها ، وخبيرا بقيمة الرجال الذين جاء لمحاربتهم، انما هو من جهة اخرى واثق من نفسه وخبرته وشجاعته ؛ وطبيعي ان يثق بنفسه ما دام فرنسيا فجاء منحدرا من سلالة ابطال خدموا الامة الفرنسية باخلاص وشجاعة وثبات ... وما دام قد درس الفن العسكري دراسة متقنة ، وترقى فى المناصب العسكرية درجة درجة ، وخاض معارك عدة ، وهاهي النياشين على صدره ترمز الى عدد من الارواح التى ازهقها بمهارة وشجاعة !

ان تحت امرة الكولونيل اليوم ثمانية آلاف رجل، ضباطهم فرنسيون ، وباقي الجنود من اللفيف الاجنبي الشرس ، ومن ابناء افريقيا السوداء ، ومن

ابناء تونس والجزائر ، بل ومن ابناء المغرب ايضا !.. كلهم جاءوا طامعين في كسب العيش وفي الاسلاب ، وفي اللواتي يوقعن الاسر تحت ايديهم . ان الطعام في الحقيقة وافر ، والسكر والشاي لمن يريدونه وافر ايضا، وبراميل الخمرة يفوح منها ما يهيج النفوس ويحلب الاشداق ، وتحت الخيام الوبرية السوداء حسناوات بارعات الحسن مكتملات الانوثة .. ثم ان تحت يد الكولونيل صندوق النياشين الانيقة هو على استعداد لمنحها مقابل اي مجهود يبذل لكسر شوكة (حمو الزياني) ، فكيف لا يتفانى القوم ويتسابقون لاطاعة اوامره الصائبة .

ياتي عليهم الليل ، وقلما تستعر معركة بليل ، فيقبلون على المتع والملاذ : اكباش تشوى على اللهيب فتفوح رائحة شحمها الى ابعد الانحناء ، و(غلايات) تغلى وبتعالى بخارها الى الفضاء المظلم ، في انتظار ان تشحن (البراريد) سكرا وشايا ونعناعا فينصب ماؤها الحار ليخرج بعد ذلك شرابا لذيذا منعشا ، يجدد النشاط ، ويسكن النفوس، ويولد الرغبات ، ثم تكتمل السهرات بعزف على الناي ، او نقرات على (الكنبري) او ضربات على (البندير) .. قد يشارك الجنود الاوربيون في ذلك المحفل فيتناولون بمجامع اكفهم قطعا ناضجة من لحوم الاكباش المشوية ، ويقبلون على اكلها واقفين ، اذ هم يفضلون الجلوس على المقاعد ــ لا على الارض ــ حول موائد مربعة او مستديرة ، من حيث توضع قنينات الخمرة ، ويمضي العشاء بطيئا ، بطيئا جدا ، فالواحد منهم يستطيب كل لقمة على حدة ، وكذلك كل جرعة ، لكأن الواحدة منها لا تشابه الاخرى ! ويقوم احدهم بعزف مقطوعات على القيثار او (الاكورديون) الشجي ... ويطيب النوم بعد ذلك ولا يذهب الا بزعيق النفير المنذر بحلول وقت الاستيقاظ لنهار جديد ، قد يكون آخر نهار على وجه الارض .

والشيء الذي يبعث على مثل هذا التشاؤم هو ان ارض خنيفرة ــ حيث تنتظر المعركة ــ تربتها حمراء قانية ، يكاد الناظر يحسبها مرتوية بالدماء ، او لكأنها ارض مجزرة ما تزال تزخر بالذبائح ، وكما تطلى حيطان المجازر بالصبغة الحمراء فكذلك ترى بيوت خنيفرة وهي مطلية بالاحمر . لكم تنفر نفوس المحاربين الغازين من هذا الفال السيىء، ويودهم لو يكون لقاء المعركة على غير هذا الصعيد !.. لكن البطل (حمو) لا يريد اللقاء مع الاعداء الا في هذا الصعيد بالذات ، فعليه طالما تحققت الانتصارات ، وعلى ذلك لن تخلف

الارض وعدها .. انه هناك خلف التل يواصل استعداداته ايضا ، لقد توفر له ما يكفي ، ويزيد على الكفاية ، من الاسلحة النارية الفتاكة التي لا تقل جودة عما في يد الخصم ، وتمكن من الحصول على بعض المدافع ايضا ، ووقف مع الخبراء المغاربة على وضعها بكيفية تضمن تدخلها ومغالبتها عند التحام المعركة ، وقام بنفسه فاحصا كل حصان وفرس ، مداعبا اعرافها ورقابها وجباهها ، ومربتا بحنان على اردافها . وتأكد ان هناك ما يكفي من العلف تبنا وشعيرا لشهور عدة . والذين اعربوا له عن رغبتهم في استعمال السلاح الابيض بارك اذرعهم واكفهم التي تشد على الخناجر والمدى والسيوف !

ولتموين اجناده كما يجب اطلق ايدي رؤساء هؤلاء الاجناد في سخاء لذبح ما يكفي من الشياه والاكباش والابقار والثيران ، فقطعان البطل (حمو) لا يحدها حصر ، والبانها تتدفق انهارا ، وان كان ذلك لا يغني عن شرب الشاي الساخن الذي تهيم به قبائل زيان مثل القبائل المغربية الاخرى ، فلو قطع عنها لكان ذلك بمثابة قطع مياه الشرب الخالصة .. وفرنسا نفسها ادركت ذلك فاخذته في حسبانها جيدا فجاءت ببواخر معبأة بالسكر بنفس العدد الذي جاءت به من بواخر الجنود والعدة ، وهكذا تسلمت عدة قبائل قناطر من السكر والشاي فور استسلامها ، كما حجزت اكياس السكر وصناديق الشاي عن القبائل المقاومة امعانا في تفتيت معنويتها ، وكل هذا جعل المقاوم (حمو الزياني) ياخذ للامر عدته فاذخر ءالاف القوالب من السكر ومئات من صناديق الشاي الممتاز، وعقد الصفقات بسخاء لمده بالمزيد . تجنبا لوضعه ووضع المجاهدين معه من ناحية شراب الشاي في مآزق لا مخرج منها !! وتردد الرسول في أرض المعركة بين البطل حمو والكولونيل ، وكلهم رسل من ذوي الدهاء الواسع والمكر الكبير ، عيونهم تسحر قبل السنتهم ، والسنتهم احلى على السمع من رنين الذهب ... جاءوا يعرضون على الزياني الابي عدة ءالاف من الفرنكات يقضي بها كل اغراضه في الحياة، فأبى ، وعرضوا عليه اوسمة رفيعة ومقاما عسكريا ساميا ، فأبى ، ووعدوه بأن يبقى مطلق اليد في (ارض زيان) كلها مقابل ترك الجنود الفاتحة تمر ، فأبى، وقالوا له بأن قصرا جميلا سيكون تحت تصرفه وفي ملكه بفرنسا ، فأبى ، وضمنوا له رفاهيته واملاكه الواسعة مع امكانية الزيادة فيها حيث يشاء ، فأبى.. ومع ذلك لم ييأس الكولونيل الواسع الخبرة بالنفوس من رضوخه يوما بوسيلة او بأخرى !

والواقع ان الكولونيل لم ينس خبرته بالنفوس في اي موطن من المواطن وفي اي لحظة من اللحظات فهو لم يتسامح مع المقربين اليه في اية نقطة من نظام السلوك وآداب المعاملة اللائقة بالمقام ، ويتعمد مرارا ان يسير بين مختلف طبقات الجنود واجناسهم مسيرة الواثق من نفسه وسلطته وشجاعته ويمضي وهو يتلقى التحيات بضربات من كعوب الاحذية ، وبوضع الاكف عند الاصداغ .. بما في ذلك من نشوة ! انما هو يتوقع ان يرى الاطلسيون ذلك فيقع منه شيء في نفوسهم ، وقد يدفع بهم الاعجاب والتعجب الى التحدث به فيما بينهم ، او تبليغه الى اسماع الشيخ المقاوم الذى لا يقر له قرار ، متجولا في تواضع بين الخيام والحظائر ، وبين كبار الجنود وصغارهم ، بطل الحزم والعزم من بين عينيه ، ولا يفارق الاستبشار محياه الوسيم .

لم يدر احد على وجه التحقيق كيف جاءت الاخبار الى البطل (حمو) عن تهيئ الكولونيل للمعركة ؟ أتراه جنديا مسلما من السينغال ؟ ام واحدا من فصيلة (السبايس) الجزائرية ؟ ام هو مشارك مغربي اراد بتبليغه خبر الاستعداد ان يغسل عار المشاركة في جيش الاعداء ضد بلاده وبني قومه ؟ مهما يكن فلقد تأكد البطل المقاوم من الخبر بوسائله ، وفي سرية تامة ، وبذلك قضى الشطر الاول من الليل مع الجنود ، ثم نام الى ما قبيل الفجر ... وبمجرد ما استيقظ ارسل في طلب فرقة (الراية) وهم ذوو علامة خاصة ، ومهمتهم الاندفاع قبل بدء المعركة ، ومواجهة النيران او السيوف والانغمار في القتال بدون تراجع ، بقصد ايقاظ همة الجنود واشعال قوة حماسهم بحيث لا يترددون في الاندفاع من ورائهم ، وتلك مباغتة للاعداء لها قيمة كبرى !

وما كاد الفجر يطل بنوره المتصاعد من وراء النجود والوهاد حتى كان الجنود كعادتهم مقبلين على الصلاة واستمعوا بعد ذلك الى ترتيل سور من القرآن ، وفي آخر فاتحة نادى المنادي فيهم ان استعدوا ، وهزهم للفور هتاف (اصحاب الراية) وصلاتهم على النبي ، ثم اندفاعهم الى ارض المعركة فيما وراء التل ، وعندئذ تقوت معنوية الجميع ، وتسامت هممهم ، وتبعوا في اندفاع قائدهم البطل الشهم (حمو) واخذت جموعهم تطوق جنود الحملة ، وتمعن فيها قتلا وتمزيقا ، دون ترك منفذ للهاربين .

لم يعرف العدو من اين جاء هذا الهجوم الصاعق ، فخطته المحضرة باحكام كانت تقضي ببدء المناوشة عند الضحى ، واحماء المعركة عند الزوال ، وانهائها عند المساء ، بتدخل قوي من عناصر الحملة كلها ، خصوصا المدفعية الثقيلة الفتاكة ولكن ... ! بوغتوا حقا وهم يرون شحنات المدافع تفرغ بين جموعهم فتمزقها ، وفوجئوا بالبنادق تفرغ افراغا وراء الظهور وفي صميم الصدور فتبعثر الاشلاء هنا وهناك، وارعبهم ان السلاح الابيض صار اسرع من الطلقات النارية في محق الافراد . ووقع القوم في حيرة ، وسادهم الهرج والمرج ، بحيث بادر الفرسان الى تصويب المدافع وحاول الرماة ركوب الخيل ، وتمنطق المدفعيون بالسيوف ..!

وما ان حل وقت الضحى ، وهو الوقت الذى حدد الكولونيل المحنك للهجوم حتى كان جميع جنوده مجندلين ، فائين ، ممزقين شر ممزق . وامعنت شمس الضحى الساطعة في تنوير الميدان الرهيب ، العامر بالاشلاء والدماء والحرائق والدمار ، كل جثة شربت كاس الموت على هيئة من الهيئات ، هذه ممدة تمددا كاملا ، والاخرى منكفئة على الوجه ، والاخرى تلقته وهي متكئة كأنها تبغي استراحة الى حين . وشرب الكولونيل بدوره جرعة الموت المرة عند عجلات مدفع ، وكانت جرعة حامية فتت جسده تفتيتا ..

بلغ الجنرال قائد الحملة ما وقع بالكولونيل المحنك المقدام ، فاستاء ، واهتاج ، وعبر عن غضبه وسخطه من عجز الكولونيل الذى انزل به المقاوم الاطلسي الشيخ هزيمة منكرة ، لم تر اية بقعة من الارض المغربية مثيلة لها ، ولذلك قرر حجب كل تنويه عن الكولونيل ، واحتفظ له بلوم في ملفه الخاص . وبادر الى عقد اجتماع خارق للعادة مع الضباط المحنكين .

الرباط ــ محمد بن احمد اشماعو



بين العمل الأدبي والعمل السينمائي

للأستاذ مبارك ربيع

تعد السينما احدى وسائل الترفيه والتثقيف فى هذا القرن ، وان كان جانب الترفيه هو أول ما يلاحظ عليها ، ربما لانه كان غالبا عليها فى البداية ، او لان الترفيه هو ما يهم الرجل العادي . ومهما يكن فهناك رابطة وثيقة بين العمل السينمائي ، والعمل التثقيفي، يتجلى ذلك فى الاعمال الادبية الكبرى التي تخرج عملا سينمائيا على الشاشة ، ولعل مشاكل السينما لم توضع بالحاح وبحدة كما توضع اليوم فى العالم اجمع. ذلك أن ازدياد أوقات الفراغ ، بالاضافة الى تحسين التقنية السينمائية ، كل ذلك يدفع الى الاقبال على قاعات السينما ، ومشاهدة الافلام . والذي يلاحظ ان هناك تناسبا طرديا او جدلا متزايدا بين الاقبال على السينما من طرف الجمهور ، وبين عدد الافلام التي يتم انجازها كل سنة . ولكن هذا التناسب يصبح عكسيا اذا ما قارنا تزايد جمهور السينما ، وتزايد اقباله على مشاهدة الافلام ، مع ما يتم انجازه من الافلام الجيدة ، فالتناسب مطرد ما دمنا نتحدث عن الكم ، عن الكثرة ، ولكن بمجرد ما يصبح الكيف والجودة طرفا فى الموضوع فان التناسب يظهر على شكل تناقص فى انتاج الافلام الجيدة مقابل ارتفاع فى عدد الجمهور ، وفى حفلات العرض .

وعلى هذا الاساس تبدو مشاكل السينما سواء فى علاقتها بالتثقيف أو فى علاقتها بالتأثير فى المجتمع ، متشابهة لا تختلف من بلد الى بلد ، ومن شعب الى شعب ، الا انه فى الدرجة ، وحسب المعايير المجتمعة السائدة فى بيئة دون أخرى .

وفى المغرب ، نلاحظ بمزيد الامل أن العمل السينمائي ينشأ لاول مرة ، ويقام مهرجان سينمائي دولي ببلدنا لاول مرة ، وكل هذا شيء يستحق الفخر والاعتزاز ، ويدل على طموح كبير من جانب الفنانين والمنتجين على السواء . بيد أن هذا يتطلب ان نعرض لبعض مشاكل السينما التي قد تتولد عندنا بالضرورة، كما يتطلب مقارنتها بما فى البلاد التي سبقتنا فى هذا الميدان ، وسأحاول ان أعرض بعض هذه المشاكل بمقارنة مع مشاكل السينما فى فرنسا كما عرضها بعض النقاد (1) هناك وخاصة فى مجال الربط بين العمل الادبي أو الثقافي وبين العمل السينمائي . ويجب ان نقرر مبدئيا ان دور السينما فى بلدنا لا يقل عن دوره فى فرنسا او فى غيرها . فالاحصائيات أو على الاصح المشاهدات البسيطة تدل على وفرة الداخلين الى قاعات العرض السينمائي . ولقد أتيح لي مرة ان أحضر تجربة بسيطة كانت نحوا من أسئلة ، يجيب عليهابعض المرشحين ، ومن ضمن الاسئلة ، سؤال يطلب من المرشح أن يجيب بتعيين عدد المرات التي يشاهد فيها فيلما سنمائيا ؛ سواء فى الاسبوع أو فى الشهر . والمرشحون كانوا بين الخامسة عشرة والعشرين ومستواهم الثقافي بين الشهادة الثانوية والبكالوريا . والبيئة حضرية ، ولم يكن هناك من اجاب بانه لا يشاهد الافلام السينمائية ، واقلهم ترددا على صالات

(1 المقال كتبه Roger Régent فى La Revue des Deux Mondes, 1er août 1968, p. 450

العرض كان يشاهد فيلما سينمائيا واحدا في الاسبوع، اما اكثرهم ترددا عليها فوصل الى أربع مرات في الاسبوع، ويمكن ان تأخذ بعين الاعتبار ان المرشحين كانوا من بيئات مجتمعية متفاوتة في مستويات معيشتهـــا ، فبينهم المتوسط والفقير والغني . وبما انهم جميعـــا يترددون على قاعات العرض ، ولا يختلفون الا في عدد المرات ، فيمكن بالضرورة استنتاج ان العامل المادي له دوره في قلة التردد بصفة اكثر على قاعات العرض السينمائي ، ونتيجة هذا ان هؤلاء المرشحين ، فيما لو توفرت لهم جميعا ، فرص مادية حسنة ، لارتفع تبعا لذلك متوسط ، مرات التردد على مشاهدة الافلام . ولا يمكن أن يقال ان توفر العامل المادي ربما كان له تأثير معاكس ، بحيث سيتيح فرصا اخرى من الترفيه ، غير السينما ، اذ لوحظ اولا ان الجميع يتردد على السينما كما سبق ، ولوحظ ثانيا ان التردد على السينما يتزايد بتحسن الوضع المادي ، بحيث كانت نسبة التردد بين المتوسطين والاغنياء اكثر منها لدى الفقراء . وبالطبع فان هذه تجربة محدودة جدا وليست لها قيمة مطلقة ، لكن دلالتها لا تخفى ، وخاصة اذا تنبهنا الى اعتبار آخر وهو ان معدل المشاهدة السينمائية في هذه التجربة لم يدخل الافلام التي تشاهد على الشاشة الصغيرة أي على التلفزة ، فهذه أيضا من صميم التجربة وتكـون جزءا اساسيا من المشاهدة السينمائية .

لهذه الاعتبارات كلها نتيجة واحدة ، وهـي ان السينما عنصر مؤثر في حياة الافراد والجماعـات الحديثة ، ومن المشاكل التي يطرحها العمل السينمائي، جملة اسئلة كالآتي : كيف يمكن التوفيق بين القصـة الادبية الرفيعة وبين متطلبات الاخراج السينمائي ؟ وفي حالة اللجوء الى القصص الادبي القديم : كيـف يمكن اخضاعه لحاجات المخرج التقنية دون المساس بجوهر الموضوع الادبي ؟ وهل يفضل الاعتماد على الانتاج الادبي الوطني ام يلجأ الى الاقتباس ؟ والى أي حد يضر الاقتباس بالموضوع الاصلي ، ويدل علـى ضعف او انعدام التأليف الوطني ..؟ انها سلسلة اسئلة يتعرض لها Roger Régent في اقتضاب ، لكـن التفاصيل تبدو واضحة من خلال ايماءاته ، وخاصة بالنسبة للمبتدئين في ميدان السينما كبلدنا ، ولا يخفى كما لاحظنا سابقا أن السينما عندما تأخذ طريقها في بلد ما ، تصبح عجلة سريعة الدوران ، وفي اثناء ذلك تتضخم كل الاسئلة التي اتينا عليها .

ازمـــة مؤلفـــين :

واول المشاكل هي التي يعبر عنها صاحب المقال بأزمة المؤلفين : « لم نفتأ نردد منذ ان رشدنـا ، ان السينما تعاني من أزمة مؤلفين » والمؤلف السينمائي يختلف بعض الاختلاف عن المؤلف الادبي الخالص ومن هنا يجب ان ندقق في معنى المؤلف بالمعنيين . فاذا كان المؤلف الادبي ، مؤلف القصة مثلا ، من الوجهـة الادبية يتمتع بحرية كاملة في التعبير عن خواطره من خلال شخصياته ، فان حريته كمؤلف سينمائي ، تخضع لقيود في الحركة والتعبير ، وهي قيود ذاتية اي نابعة من العمل الادبي نفسه من حيث هو قد انقلب الى عمل سينمائي ، وتخضع كذلك لقيود أخرى خارجية ، نابعة من التقنية السينمائية ، اي لما تتطلبه آلات التصوير والمشاهد من مقتضيات ، وثمة ايضا عنصر مجتمعي آخر هام له دوره ، وهو الرقابة المجتمعية فهـي في العمل السينمائي أشد ، ويجب ان تكون أشد ما دام هذا العمل سيعرض على كل الناس في حركات حية ، وغالبا ما يتعدى نطاق البلد المنتج الى بلاد اخرى . ها هنا تبدو جليا صفة الحرية التي يتمتع بها المؤلف الادبي الخالص بالنسبة الى المؤلف السينمائي . ففي العمـل الادبي الذي يطبع وينشر تكون سلطة الرقيب اقل ، وقد تنعدم في احسن الظروف ، لان المطلع على هـذا العمل ، انما هو النخبة ، وليس الامر كذلك في العمل السينمائي ومن هنا يكون المؤلف السينمائي انما هو مؤلف جديد لعمل قد سبق تأليفه على الطريقة الادبية الخالصة ، او ان المؤلف الادبي يلتحم بالمؤلف السينمائي ليكونا واحدا وهذا ما يقول عنه ريجان في مقالـه « والمفهوم من المؤلف ، هو هذاالذي يتصور ويكتب حدثا Une histoire اي انه السيناريست أو هو صاحب الحوار Dialoguiste اذا سمحت المناسبة .

ازمـــة موضـــوع :

الموضوع في الحقيقة هو العنصر الذي قد يسمو بالعمل السينمائي او ينزل به الى الحضيض . ودوره هذا لا يقل عنه في العمل الادبي الخالص ، والملاحظ ان السرعة التي تتطلبها عجلة العمل السينمائي ، كثيرا ما تجعل اصحابه يقعون في الموضوعات المبتذلـة ، وذات الحبكة الضعيفة وبالضبط يقـول ريجـان « من المؤكد ان القاعدة التي يرتكز عليها فيلم ما اي الموضوع ونموه ، هي دائما النقطة الاشد ضعفـا في العمل السينمائي ، وخاصة بعد ان اصبح التقدم التقني

عمليا تحت تصرف الجميع » . والجملة الاخيرة في هذه الفترة تبين عن عنصر جديد من العناصر التي تكون مشكل العمل السينمائي ، وهو التقدم التقني الذي جعل كثيرا من الاعمال السينمائية تخرج الى الجمهور، خالية من كل محتوى ، معتمدة فقط على التبرج واستخدام التقدم التقني ، من تلوين ، وسرعة في التصوير وغرابة في المشاهد .. الى آخر ذلك ، من الحيل السينمائية ، ويمكن ان يقال بالنظر الى الناحية التقنية في العمل السينمائي ، ان اقل ما يطلب في الفيلم الحديث هو ان يكون متقنا من هذه الوجهة ، وذلك لتوفر الوسائل . ومن هنا تبقى الازمة هي كما سبق، ازمة تاليف ، وازمة موضوع في العمل السينمائي . وامام ازمة ، او ازمات من هذا النوع ، فان مشكلة جديدة تطرح : لماذا لا يقوم المخرجون السينمائيون نفسهم بالتاليف في ميدانهم الذي هم ادرى الناس به ؟ لا شيء يمنع من ذلك . وبالفعل فان هذه الظاهرة قد انتشرت وشاعت في المخرجين السينمائيين من الشباب خاصة ، ولعل لهذه الظاهرة حسنات لا تخفى اهمها ما يورده « ريجان » من ان مثل هذا العمل — اقبال المخرجين السينمائيين على التاليف بانفسهم — يضمن عوامل النجاح للفيلم او هذا ، يبدو لاول وهلة، لان العمل السينمائي في مثل هذه الحال ، يتوفر على الوحدة ، فليس هناك فصل بين المؤلف الادبي الخالص وبين التقني السينمائي ، بل هما شخص واحد . وهذا يضمن ايضا عنصر « الانسجام الكامل Homogénéité complète » . لكن هذا انما هو محصل النظرة السطحية ، اما عند التعمق وربما بمجرد التامل المتأني فتبدو اخطار هذه الظاهرة ، فاذا كان بامكان المخرجين الشباب ان يتقنوا بسهولة نسبية او بموهبة خاصة هي الاجتهاد في اتجاه تقني معين ما يتطلبه العمل السينمائي من مهارة آلية، اذا كان بامكانهم ذلك، فليس بالامكان قطعا ان يتزلقوا من ذلك الميدان الى ميدان التاليف الادبي بسهولة ، وربما كان ذلك مستحيلا عليهم « فاذا كان هؤلاء الشباب المخرجون يستطيعون ان يستوعبوا بسهولة كبيرة ، مع قليل من التطبيق ، تقنية العمل السينمائي ، واذا كان بامكانهم ان يصبحوا بسرعة فنيين فليس بامكانهم بمثل تلك السهولة ان يصبحوا مؤلفين » . وهذا جد معقول ما دام الابداع الادبي موهبة من نوع آخر او هو اقرب ما يكون الى الموهبة .

ملامح المشكلة عندنا :

ان لنا من واقع العمل السينمائي الناشيء ومن واقع العمل الادبي المتعرض على الدوام لعراقيل مادية ومعنوية بعضها يتصل بنفسية الاديب وبعضها يتعلق بالناشر ، وبعضها الآخر يرتبط بالقارىء ، ان لنا من هذه الوقائع ما يجعلنا نعتقد مبدئيا ان المشكلة التي الح عليها « ريجان » في الفقرة السابقة ستتضخم ، فنحن ننتظر ان يقوم المخرجون عندنا في غالب الاحيان بعملية التاليف ، نظرا للوضع الذي لا يزال عليه التاليف الادبي عندنا . لكن بالرغم عن جميع العقبات ،والاعتبارات المعوقة ، فبالامكان ان يتحول العمل السينمائي عندنا لخدمة العمل الادبي ، بسبب العوائق التي يواجهها نشر الكتاب عندنا . فما دام المؤلفون يجدون كل الصعوبة في اخراج ما عندهم مطبوعا الى السوق ، فلنا ان نتساءل : هل بامكان العمل السينمائي أن يفتح بابا لترويج الاعمال الادبية ؟ فالاديب في هذه الحال بالرغم عن عجزه عن طبع الكتاب سيجد الامر هينا عليه بعض الشيء اذا ما قام بمحاولة تحويل تاليفه الى عمل سينمائي ، او على الاقل ، اذا سمح لغيره ان يمارس هذه العملية على تاليفه ، وبالطبع هذا يتوقف مبدئيا على ان تكون ثمة ثقة من جانب المؤلف في العمل السينمائي ، وفي القائمين به . وعلى هذا الاساس ، يبدو من الضروري ان يبحث المسؤولون الفنيون في العمل السينمائي على مؤلفين وعلى مؤلفات ، اننا نعتقد لحد الآن، والعمل السينمائي لم يسر بعد ، خطوات طويلة عندنا ، نعتقد ان الصلة لا تزال مقطوعة بين المؤلف الادبي الخالص وبين التقنيين من رجال السينما ، فيجب فتح الطريق . والذي يجعلنا نلح على فتح الطريق بين المؤلف الاديب ، وبين رجل السينما ، هو ما رايناه من تهاون او اهمال في هذا الجانب بالنسبة الى مسرحنا ، فبالرغم من ان المسرح عندنا يوجد منذ سنوات ، وتخصص له اعتمادات ان لم تكن كافية ، فهي على الاقل تدعو الى الاقبال على هذا الميدان ، بالرغم عن ذلك ، لا يزال مسرحنا لم يحقق الهدف من وجوده سواء في تربية المجتمع وتوجيهه ، او في تنشيط الحياة الادبية ، فالمؤلف المسرحي عندنا هو رجل المسرح بالمعنى التقني ، هو المخرج المسرحي في غالب الاحيان ، وهو الممثل ايضا وبالنظر الى السبب الذي اتينا عليه بالنسبة الى السينما وهو استحالة توفر رجل التقنية السينمائية على موهبة المؤلف الادبية ، كذلك يستحيل على رجل المسرح التقني ان يتوفر على موهبة المؤلف.

ونظرا لسوء الفهم الحادث في هذا المجال ، فان المسرح عندنا لا يزيد ما يؤديه على المشاهد الاستعراضية ، والهزلية ، وفي أحسن الظروف يعمد البعض الى الاقتباس وهو بدوره مشكلة رئيسية ، سواء في العمل السينمائي أو المسرحي . وكما يقول « ريجان » « المفارقة الكبرى هي اننا فقط حين نتوجه لنشاهد سينما مؤلفين ، ندرك الى اي حد تعاني السينما من ازمة المؤلفين » .

مشكلة الاقتباس :

هذه المشكلة تتشابه في معالمها البارزة عندنا ، مع ما يشهد به النقاد للسينما الفرنسية ، ولعلها كذلك بالنسبة لكثير من الدول ، مع الفارق النسبي طبعا . وهذا الفارق النسبي هو الذي يجعل المشكلة عندنا اصعب واشد تعقيدا ، لماذا يتجه البعض الى الاقتباس؟ اما بالنسبة لنا فللفقر الموجود في الانتاج الادبي اللائق. او لانعدامه ، اما بالنسبة لغيرنا ، كفرنسا مثلا ، فان الاقتباس يتخذ فقط شكل رجوع الى المؤلفين القدماء. فهو اقل خطرا من اقتباسنا . فالفرنسي السينمائي في سنة 1968 عندما يعود ، الى فيكتور هيجو أو الى موليير وغيرهما ، ويمارس عملية الاقتباس ، أو عملية تحويل العمل الادبي الى عمل مسرحي او سينمائي ، انما يقوم بذلك وهو مطمئن الى ان القضايا التي يتعرض لها ، قضايا تمس المجتمع الفرنسي . اجل ، انه يعني ان مشاكل المجتمع الفرنسي في القرن العشرين ليست هي مشاكل العصر الذهبي للادب الفرنسي ، وان أدب الشارع الشائع اليوم ، وما يعرض له من قضايا ، يخالف تمام المخالفة لادب الصالونات التليد . نعم ، لكن بالرغم عن كل هذا ، تبقى ثمة صلة وثيقة بين ذلك الادب وبين قضايا اليوم ، واذا وجدت العبقرية الصالحة ، ففي امكان نفس الموضوع القديم ، ان يعالج بطريقة حديثة ، ويعرض باسلوب ملائم ، ليعالج قضايا مجتمع اليوم . فالاقتباس اذن هو من مجتمع فرنسي الى مجتمع فرنسي آخر لا يفصلهما الا فارق زمني . لكن الاقتباس عندنا هو من جهة تحويل جذري للادب الاجنبي وقضاياه ، ومن جهة اخرى فان قضايا مجتمعنا بدورها لا تدخل في العمل المقتبس الا على نحو يفقدها كل اصالة .

ويقول صاحب المقال عن الاتجاه الى الادب الكلاسيكي من قبل السينمائيين الفرنسيين : « وهكذا اصبح كبار المؤلفين السينمائيين هم .. تولستوي .. « جاريف .. سوفوكل .. » لكن بالرغم عن القيمة الادبية الخالصة لهؤلاء المؤلفين الكبار ، فان سؤالا هاما يستمر قائما وهو : كيف يمكن معالجة هؤلاء المؤلفين ؟ او على الاصح كيف يمكن اخضاع الاختيارات الادبية الخالصة لمقتضيات الفن السينمائي ؟ هنا بالطبع تعمل عبقرية التقني ومهارته . والشروط الاساسية تتلخص في محاولة الاحتفاظ بالقضايا الاساسية للعمل الادبي الاصلي . وهنا يحدد « ريجان » طريقين في نظره ، لا محيد عن سلوك واحد منهما بالنسبة للمقتبس : اما ان يخرج العمل على حقيقته ، فيصور اشخاصه كما هم في الاصل ، بنفسياتهم المناسبة لعصورهم ، واما ان يعمد المخرج المقتبس الى أن يمارس نوعا من التحويل الزمني ، فيعرض العمل الادبي ، القديم كعمل معاصر ، فهو هنا يقوم بزحزحة زمنية للتاريخ ، وعلى هذا النحو يمكن مثلا أن نشاهد « البخيل » او « أوديب الملك » ... بلباس عصري ونفسية مناسبة لزمننا . ومن الواضح ان لكل طريق من هذين ، يسلكه السينمائي اخطاره ومصاعبه . ولكن الواضح ايضا ان صعوبات الطريق الاول ، محدودة او طبيعية معقولة، لانها تنحصر في انجاز العمل في صورة طبق الاصل مما اخذ عنه ، بحيث لا يكون ثمة تصرف في الموضوع والحدث ، الا بمقدار ما يتنافى ذلك مع مقتضيات وامكانيات التقنية السينمائية . اما الطريق الثاني فمتعدد الصعوبات ، متشابك العناصر ، انه يتطلب عملية تأليف من « الدرجة الثانية » كما يقولون ، لان اسقاط مشاكل العصر السابق استيعابا كاملا، يساوي استيعابه لمشاكل عصره هو ، كل هذا علاوة على المهارة التقنية التي هي حليف السينمائي في كل عمل - ولعل السينما التي ضربت رقما قياسيا في تقديم الاعمال الادبية لكبار الروائيين هي السينما السوفييتية كما يلاحظ كاتب المقال من تحليل للنماذج التي شاركت بها هذه السينما في المهرجانات الدولية . فقد عرضت على الشاشة اعمال تولستوي ودستوفسكي وغوركي.. وغيرهم . ولكن السؤال اصبح قائما بصدد هذه الظاهرة ولهذا يتساءل الناقد : اين نحن من « الحرب والسلم » و « عند ما تمر اللقالق » ، و « الام » ؟ اين نحن من تلك الضجة الفنية التي احدثتها تلك الاقلام ومشابهاتها اين نحن من المتعة والروعة التي يخرج بها المشاهد من تلك الاعمال ولا يمل تكرار المشاهدة ؟ لقد بدا وكأن السينما السوفييتية تراجعت عما كانت متجهة اليه . وذلك بالطبع ناتج عن الاهتمام بموضوعات المجتمع الحاضر ، وهكذا نعود مرة اخرى الى كلمة عن الموضوع الذي سبق ان قلنا انه احد عناصر الازمة في العمل السينمائي.

الحب والابتذال السينمائي :

ان أزمة المؤلفين وازمة الموضوع ، تتركز لتتجلى عند العمل السينمائي في تكرار ممل لقضايا مجتمعية باهتة . وهذا ما يجعل السنوات تمر احيانا دون ان يشاهد المرء عملا سينمائيا بمعنى الكلمة . ويلاحظ الناقد ان جل الاعمال التي تشارك بها الدول في المهرجانات السينمائية ، وهي خير الافلام ، واحسن ما تتوفر عليه الشعوب ، يلاحظ الناقد ان الموضوع الرئيسي الذي تطرقه هو الحب وقد يكون ذلك كما يقول « ريجان » في كلمة اقتبسها لان « الحب هو الالم، والالم هو الحياة » واذا كان النقاد السينمائيون يذهبون الى ان عنصر الحب اساسي في العمل السينمائي ، او على الاقل ، هو عامل مرغوب فيه ، فان كثيرا من الطرق التي تعالج بها مسائل الحب ، هي اقرب ما تكون الى الابتذال . ويبدو الغرض واضحا في جل الحالات ان المقصود بكلمة حب في هذه الافلام ليس تربويا ولا تحليليا اجتماعيا ، وانما هو لارضاء غرائز الجمهور وفي بعض الاحيان لاثارة هذه الغرائز، وافساد السليقة الخلقية في الاجيال الناشئة خاصة ان موضوع الحب بالرغم عن كل العيوب التي قلنا هو موضوع غني ، ولكن السرعة التي تتطلبها «التجارة السينمائية» هي التي تذهب بروعة الموضوع ، وجماله ، ولهذا اصبح مجرد العلم بأن موضوع فيلم ما هو الحب ، علامة سابقة على فشله وابتذاليته .

كلمـــة اخيـــرة :

لعلنا نخرج ، سواء من تحليلنا لبعض ما جاء في كلام الناقد للعمل السينمائي الفرنسي ، أو من عرضنا لبعض الملامح العامة للمشكل عندنا ، نخرج من كل ذلك بأن المنعرجات التي من شأنها ، أن تعوق عملنا السينمائي عن السمو الى المكان اللائق ، في البداية كثيرة ، ويحتاج التغلب عليها الى تخطيط محكم ، وتعاون وثيق بين رجال الادب والثقافة ورجال السينما ولعلنا اذا طرحنا كل ما قيل عن أول فيلم مغربي عرض في مهرجان طنجة الاول اخيرا ، سواء ما يتعلق منه بالممثلين أو بالموضوع او بالتصوير ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ، الفترة الزمنية التي تم فيها تحقيق الفيلم ، والطاقات المعنوية والمادية التي خصصت للمشروع ، وهي لابد ان تكون في بداية الامر محدودة ، لا يسعنا الا ان نقر بشيء واحد هو صفة الطموح التي يتميز بها رجال السينما عندنا . وهذه الصفة ضمانة كبرى لانجاح اي عمل وتطويره ، لكنها لا تكفي ولا تستمر ضمانة الا في بداية الامر ، ولهذا نتمنى ان تكون بعض الملاحظات التي اتينا عليها ، عاملا على الفات النظر الى أهمية الموضوع ، وخاصة من زاوية التعاون بين الاديب ورجل السينما ، وهو فيما يبدو لنا الكفيل بالخروج بعملنا السينمائي الناشيء من « ازمة المؤلفين » و « ازمة الموضوع » ليمكن توجيه الجهود الى ازمات اخرى تعالج بالطرق المناسبة لها .

الرباط : م . ربيع

•.•.•.•.•





كتاب « المساواة في الاسلام » يعتبر من اهم الكتب التي تتطرق لقضايا الاسلام بشكل صريح ومبسط ، واذا كان مؤلف هذا الكتاب قد عودنا في كتبه الاقتصادية نوعا من التفكير المتحرر ، المعتمد على الاخذ بالنظريات العلمية الحديثة ، فاننا وجدناه في كتابه الاخير ينقد كثيرا من النظريات التي يوجد عكسها في الشريعة الاسلامية ، وبذلك يكون كتابه هذا ثورة على الانظمة الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها عالمنا هذا والتي يطلب تعويضها بما في الاسلام من نظريات ونظم .

والكتاب على الرغم من صغر حجمه (130 صفحة) فان المعلومات التي احتوى عليها والموضوعات التي شملها تعتبر خطوات جبارة سلكها المؤلف في تزويد القارىء بأحسن النظريات الاسلامية مقارنة بالنظريات الحديثة .

فاول ما يطالعك في الكتاب الآية القرآنية الكريمة من (سورة الحجرات : 13) :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

وكذلك قول الرسول الجليل في خطبة الوداع :
« لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لاحمر على أبيض ، ولا لابيض على احمر الا بالتقوى الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » .

ولعل في هذا بيان صريح من كون الاسلام يقوم على المساواة المطلقة لا يفرق بين هذا وذاك .

— 1 —

مساواة الاسلام بين الناس في القيمة الانسانية المشتركة .

بدا المؤلف يتساءل عن معنى المساواة فقال بأنها تتمثل في الاعتقاد بأن الناس جميعا متساوون في طبيعتهم البشرية ، وأن ليس هناك جماعة تفضل عن الاخرى بحسب عنصرها الانساني . فالتفاضل بين الناس انما يقوم على امور اخرى خارجة عن طبيعتهم في الكفاية والعلم والاخلاق والاعمال .

فالاسلام كان حريصا على أن تكون المساواة في اكمل صورها فقرر أن الناس سواسية في الحقوق والواجبات فلا فضل لاحدهم على الآخر الا في الاعمال. فيقول الله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ويقول تعالى في سورة آل عمران تاكيدا للمساواة الانسانية « فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض» وعندما نقول المساواة تكون العبارة شاملة في مدلولها ومعانيها يعني مساواة الفقير والغني الابيض والاسود القوي والضعيف ... فقد سمع الرسول الامين ، أبا ذر الغفاري يحتد على بلال وهو يحاوره قائلا له : يا ابن

السوداء . فغضب عليه السلام غضبا شديدا وانتهر ابا ذر وقال (طف الصاع طف الصاع) اي أن الامر تجاوز حده « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو عمل صالح » فوضع أبو ذر خده على الارض وأقسم على بلال ان يطاه بحذائه حتى يغفر الله له زلته ويكفر ذنوبه (1) .

— 2 —

موازنة بين عقيدة الاسلام والعقائد والشرائع الاخرى .

تحت هذا العنوان حلل الكاتب عدة جوانب مسهبا في طريقة الموازنة بين الشريعة الاسلامية والشرائع الاخرى ولاسيما عند الهنود واليونان والعبريين والعرب في الجاهلية وهكذا نجده يقول : « فالكتب المقدسة للهنود البرهميين تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ونشأتهم الاولى . فتذكر ان براهما قد خلق فصيلة البراهميين Brahmames من فمه ، وفصيلة الكشتريين Kchartiya من فخذه ، وفصيلة السودرئين او المنبوذين Soudras, Sadras من قدمه ولما كان أشرف الاعضاء واطهرها هو ما علا السرة ، واشرفها واطهرها جميعا هو الفم ويليه في ذلك الذراع . ولما كان احط الاعضاء هو ما كان اسفل السرة وأحطها جميعا هو القدم لذلك كان اشرف الناس جميعا واطهرهم بحسب العنصر والنشأة الاولى هم الذين انحدروا من فم براهما وهم البراهميون ، ويليهم في الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم الكشتريون ، وكان احط الفصائل الانسانية الذين انحدروا من فخذه وقدمه وهم الفيسائيون والمنبوذون ، واكثرهم رجسا ونجسا هم المنبوذون المنحدرون من قدم براهما » (2) .

ولم تنشأ التفرقة في العنصر البشري وحده بل تقوم التفرقة عند الهنود البراهميين حتى في مجال الشغل وممارسة طقوس الدين ، وهكذا تقسم الاسفار والوظائف بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة فللبراهميين أرقى الوظائف الدينية فهم وحدهم الذين يعلمون الناس أسفار الفيدا (Védas) (3) ويشرفون على المذابح والضحايا وهم وحدهم الذين لهم الحق في « المنع والقبول » او « العطاء والاخذ » وللكشتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والعمل على استتباب الامن ، وللفسائيين القيام بتربية الانعام وفلح الارض وشؤون التجارة ، واما السودرا او المنبوذين فلم يعطهم السيد الا وظيفة واحدة وهي أن يكونوا خدما للطبقات السابق ذكرها ، وهم فوق ذلك رجس ونجس فلا يصح لمسهم ولا مصاهرتهم ولا الارتباط بهم باية علاقة غير علاقة السيد بالمسود (4) .

اما اليونان القدامى فقد اعتقدوا انهم شعب مختار قد خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التي خلقت منها الشعوب الاخرى التي كانوا يطلقون عليها اسم البربر وانهم وحدهم كاملوا الانسانية مزودين بجميع ما يمتاز به الانسان عن الحيوان من قوى العقل والارادة في حين الشعوب الاخرى ناقصة الانسانية لا تختلف عن فصائل الانعام وقد عبر عن ذلك كبير فلاسفتهم ارسطو في كتابه السياسة .

وقد اعتقد الاسرائيليون انهم شعب الله المختار ايضا ، وأن الكنعانيين شعب وضيع قد خلقه الله ليكون رقيقا للاسرائيليين ، ورجع تفكيرهم هذا الى ما ورد في سفر التكوين الذي جاء فيه أن نوحا قد شرب مرة نبيذ العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصيته المسكرة ففقد وعيه ، وانكشفت سواته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه وحمل الخبر الى اخويه سام ويافث . ولكن هذين كانا اكثر ادبا منه ، فحملا رداء وسارا نحو أبيهما ، حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان بن حام ، ودعا عليه وعلى نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد سام ويافث (5) .

على هذا الاساس انعدمت المساواة في الشرائع القديمة ولاسيما عند الامم التي تقدم الحديث عنها .

---

1) راجع الصفحتين 11 و 12 من كتاب « المساواة في الاسلام » الطبعة الثانية لدار المعارف العربية ابريل سنة 1965 .
2) انظر نفس المرجع ص 13 .
3) اسفار الفيدا هي الاسفار المقدسة للبراهميين .
4) انظر مواد 31 ، 87 — 119 من الكتاب الاول من قوانين مانو ومواد الكتاب الرابع .
5) سفر التكوين ، الاصحاح التاسع ، فقرات 20 — 29 .

ولم يكن العرب في جاهليتهم يتوفرون على مبدأ المساواة حتى جاء الاسلام ، ولكن مع ذلك كانوا يعتقدون بأنهم شعب كامل الانسانية وان الشعوب الاخرى (6) شعوب وضيعة ناقصة الانسانية ، وبسبب هذا التفكير كان العربي لا يقبل ان يزوج ابنته من اعجمي مهما كان عظيما ويرى في ذلك امتهانا لشعبه وانسانيته وانسانية ابنته ، ويذكر المؤلف أن كسرى ابرويز احد ملوك الفرس خطب حرقة بنت النعمان بن المنذر ، فرفض النعمان مصاهرته خضوعا لهذه التقاليد مع ان النعمان كان من ولاة كسرى ومن الخاضعين لسلطانه (7) .

— 3 —

مساواة الاسلام بين الناس

وبخلاف الشرائع السابقة فان الاسلام قرر أن يعامل الناس على قدم المساواة في الحقوق والواجبات ففي الحقوق المدنية لهم حق التعاقد والتملك ، وفي الحقوق العامة لهم حق التعليم والتثقيف والعمل .

وهكذا يقيم الاسلام المساواة ويحترمها ، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع ، غني وفقير ، قريب وبعيد مسلم وغير مسلم ، ولا بين رجل وامراة ، فالشريعة الاسلامية لها ميزان واحد يطبق على جميع الناس .

والذي يؤكد هذه المساواة النص القرآني الصريح الذي ننقله من سورة النساء (8) « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله اولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

والقرآن الكريم يتضمن آيات كثيرة كلها تحث المؤمنين على مبدأ المساواة فيكفي الرجوع الى سورة المائدة والنساء ، فقد خاطب الله رسوله في هذا الباب بقوله : « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما .. »

وحتى الرسول كان دائما يحث على ان تسود المساواة جميع افراد الامة الاسلامية وغيرهم فقد قال عليه السلام « لا تفلح امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي » . ولم ينته امر المساواة بانتهاء الوحي أو بموت الرسول بل استمر هذا المبدأ شعارا لمن يتولون شؤون المسلمين ، ولا ادل على ذلك من كون الخليفة الجليل ابو بكر الصديق (ض) قد حث في أول خطاب له على ذلك بقوله « الا ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له واضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه » ، ونجد عمر (ض) يخاطب الناس بنفس المعنى قائلا : « أيها الناس ! انه والله ما فيكم احد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه » .

واذا استمررنا في عرض الآيات والاحاديث المتعلقة بهذا الموضوع فقد لا يسع هذا العرض الوجيز لذكرها في صفحة أو صفحات ولذلك نكتفي بما تقدم حتى يمكننا اعطاء بعض الامثلة التي اوردها المؤلف فمن ذلك ما حدث في عهد الرسول بشأن فاطمة المخزومية التي كان وجب عليها حد السرقة لسرقتها قطيفة وحليا . فقد جاء اسامة بن زيد — وكان احب الناس الى الرسول — يشفع فيها ويرجو ان تغفر لها زلتها ولا يقام عليها الحد مبررا شفاعته بانها تنتمي الى بطن من اشرف بطون قريش وهو بطن بني مخزوم ولكن الرسول انكر عليه شفاعته وانتهره قائلا : « اتشفع في حد من حدود الله». ثم خطب في الناس « انما اهلك الذين من قبلهم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه . واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد . وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وكلنا يعرف الرواية المشهورة المتعلقة بالخليفة المأمون بن هارون الرشيد الذي جلس يوما للمظالم فكان آخر من تقدم اليه امراة عليها ثياب رثة . فوقفت بين يديه وافضت اليه بأن لها شكوى من خصم ظلمها فسألها : اين الخصم ؟ فقالت الواقف على رأسك يا امير المؤمنين واومأت الى العباس ابنه . فقال يا احمد ابن ابي خالد خذ بيده فأجلسه معها فجلس الخصم فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها احمد بن ابي خالد : يا امة الله انك بين يدي امير المؤمنين ، وانك تكلمين الامير ، فاخفضي من صوتك ، فقال المأمون : « دعها

6) كان العرب يطلقون على غيرهم اسم الاعجام تمييزا لهم عن غيرهم من الاجناس .
7) راجع ص 16 من الكتاب الذي نتولى عرضه الطبعة الثانية 1965 .
8) آية 135 من سورة النساء .

يا احمد ، فان الحق انطقها واخرسه » ثم قضى لها بزد مظلمتها واحسان معاملتها وامر لها بنفقة (9) .

— 4 —

هل المساواة بين المسلمين فقط أو المسلمين وغيرهم ؟

لقد أجاب المؤلف عن هذا السؤال بأن الاسلام سوى في تطبيق هذا المبدا بين المسلمين وغير المسلمين فيقرر أن الذميين في بلد اسلامي او في بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق عامة وعليهم ما للمسلمين من واجبات ، ويجب على الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن رعاياها المسلمين ، وان الحاكم المسلم لمطالب فوق ذلك بالمجاملة وحسن المعاملة ولعل هذا واضح في قول الرسول (ص) « من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار » ويقول أيضا « من آذى ذميا فقد آذاني » .

وقد بالغ الاسلام في تسمحه مع الذميين والمعاهدين واحترام حوزتهم ولو كانوا غير مؤمنين بين ديار المسلمين وديار اعدائهم . فاين من هذه المبادىء الاسلامية السمحة مما تقرره اسفار اليهود بصدد التفرقة بين الاسرائيلي وغيره وبين اليهودي وغير اليهودي ؟ فقد سبق أن ذكرنا موقف الشريعة اليهودية من الشرائع الاخرى ، ومدى التفرقة التي تخلقها هذه الشريعة ومن ذلك أن الاسرائيلي لا يجوز أن يتعامل مع الاسرائيلي بفائدة اما غير الاسرائيلي فمباح ان يتعامل معه بابشع انواع الربا الفاحش (10) .

فاين المبادىء الاسلامية السمحة التي سبق ذكرها مما تسير عليه معظم الامم المتحضرة التي تدعي الديموقراطية ، حيث نراها تفرق بين الابيض والاسود من أبناء شعبها في شتى انواع الحياة واصناف المعاملات؟ فحتى التعليم يشمله الميز العنصري ، فمن ذلك ان فتاة سوداء من ولاية « الاباما » تدعى « اوثرين لوسي» رفضت جامعة الولاية المذكورة قبولها لسواد لونها فلجأت الفتاة الى المحكمة الفيدرالية في برمنجهام فقضت المحكمة بقبولها واصدرت امرا بذلك سنة 1955 ولكن ما ان علم طلاب الجامعة والكليات بذلك حتى استنكروا هذا الاجراء القضائي فنظموا مظاهرات عنيفة شارك فيها نحو سبعة آلاف طالب خرجوا الى الشوارع هاتفين بموت الفتاة الزنجية او شنقها ، ولم يكتفوا بذلك بل صنعوا تمثالا لها وحرقوه في الميدان وقد قامت جماعة من الطلبة البيض بالاعتداء على الطالبة الزنجية فرموها بالاحجار والخضر ولما رات الفتاة المسكينة ان الجامعة أصدرت قرارا يوم 6 فبراير بطردها اضطرت أن تجلس بمنزلها هروبا من ثورات الجماهير وابقاء على حياتها (11) .

وفي اتحاد جنوب افريقيا لا زالت نظم الميز العنصري تسود هذه المنطقة بشكل فظيع ، مجافية لمبادىء حقوق الانسان ، فكلنا يعرف واقع روديسيا وسيطرة الاقلية البيض على السكان الشرعيين ، اجل ! ما أعظم الفرق بين ديموقراطيتهم المزعومة التي تبيح هذه الاعتداءات الصارخة على مبادىء الاخلاق والعدالة ، وبين تعاليم الاسلام السمحة التي تعمل على تقديس كرامة الانسان وحقوقه بقطع النظر عن جنسه وشعبه ولونه ودينه ووضعه الاجتماعي .

— 5 —

الاسلام والمساواة بين الرجل والمراة

الاسلام لم يقم التفرقة بين الرجل والمراة فقد سوى بينهما في المسؤولية والجزاء في الدنيا والآخرة . وهذا مبدا صريح في القرآن طبقا لقوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » (12) ويقول « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (13) ويقول « والسارق والسارقة فقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله (14)

---

9) هناك من الكتاب من يزيد في شرح هذه الرواية ويجعلها في صيغة مخالفة للواقع والمتفق عليه فيمعظم أمهات الكتب .

10) راجع تعليقنا على كتاب الربا والفائدة للدكتور علاء الدين خروفة (دعوة الحق عدد (6 + 7) المشترك — السنة العاشرة 1967) .

11) انظر الصفحة 36 من الكتاب الذي تولى تقديمه الطبعة الثانية 1965 دار المعارف التي تضمنت تفصيلات اكثر عن هذه الفتاة .

12) الآية 97 من سورة النحل

13) الآية 2 من سورة النور .

14) الآية 38 من سورة المائدة .

والمساواة في الاسلام بين الرجل والمراة تتجلى في حق كل منهما في التعليم والزواج والعمل والتجارة والوظيف وسائر الاعمال المشروعة لا فرق في ذلك بين رجل وامراة ابيض واسود غني وفقير : فقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وفي باب العمل كانت اسماء بنت ابي بكر تخدم الزبير خدمة البيت كله وكانت تسوس فرسه وتعلفه وتحتشي له وكانت تسقي الماء وتحمل النوى على راسها من أرض له على ثلثي فرسخ ، بل لقد اضطلعت المراة المسلمة ببعض شؤون الحرب فلم تخل غزوة من غزوات الرسول الا وكان النساء يقمن بمساعدة الرجال وباسعاف الجرحى ومن بين هؤلاء من حفظ لهم التاريخ مواقف خالدة كالسيدة امينة بنت قيس الغفارية التي اكبر الرسول (ص) حسن بلائها في غزوة خيبر فقلدها ما يشبه اوسمة الحرب في عصرنا .

فهذه المساواة التي اقامها الاسلام بين الرجل والمراة لم تصل الى مثلها شريعة من الشرائع السابقة للاسلام ، ولم تستطع القوانين الحديثة رغم رقيها ان تضمن للجنسين مبدا المساواة بشكل نزيه فالشريعة اليهودية تجرد المراة من معظم حقوقها المدنية وتجعلها تحت ولاية ابيها واهلها قبل زواجها وتحت ولاية زوجها بعد زواجها (15) .

وتقضي الشريعة البرهمية الهندية على ان المراة تظل حياتها تحت سيطرة الرجل ومنفذة لاوامره وليس لها الحق في اي تصرف قانوني (كما ورد في المادتين 147 ، 148 من قوانين مانو) .

وكذلك الامر عند قدامى الرومان واليونان حيث جرد القانون المراة الرومانية من معظم الحقوق المدنية في مختلف مراحل حياتها فقبل زواجها تكون السيطرة المطلقة لرئيس الاسرة Pater familias وسيطرته تكون في كافة الحقوق عليها حتى حق الحياة والموت وحق اخراجها من الاسرة وبيعها بيع الرقيق . واذا كانت قوانين اثينا من ارقى قوانين اليونان ديموقراطية فانها مع ذلك لا تتيح فرصة الثقافة والتعليم الا للاحرار من ذكور اليونان بينما توصد هذه الحرية في وجه النساء (16) . وبالنسبة للقوانين الوضعية الحديثة نجد المراة في فرنسا كانت الى عهد قريب اشبه شيء بحالة القصر المدني فقد جردها القانون من صفة الاهلية في كثير من الشؤون المدنية ، فالمادة 217 من القانون المدني الفرنسي (قانون نابليون) تقرر : « ان المراة المتزوجة ، حتى لو كان زوجها قائما على اساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها ان تهب ، ولا ان تنقل ملكيتها ولا ان ترهن ، ولا ان تملك بعوض او بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد او موافقته عليه موافقة كتابية » وبالرغم من بعض التعديلات التي ادخلت على هذه المادة فانّ كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المراة الفرنسية المتزوجة من الناحية القانونية الى وقتنا الحاضر ، اضف الى ذلك ان المراة الغربية بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم اسرتهاوتحمل اسم زوجها واسرته .

واذا كان بعض المسلمين قد اتخذوا من عادات الغرب وتقاليده قانونا لحياتهم حيث نجد بعض الازواج يرغمون ازواجهم على حق التصرف في اموالهم او ان يحملوا اسماءهم ، فان هذه الامور مخالفة للدين الاسلامي ومنافية لما يأمر به من تعاليم سمحاء .

— 6 —

مساواة الاسلام بين الناس في شؤون الاقتصاد

لقد خصص المؤلف الجزء الكبير من كتابه للموضوع المتعلق بالاقتصاد مبرزا أهمية الاقتصاد الاسلامي والتناقضات الموجودة في النظم الاقتصادية الحديثة المطبقة في العالم ولا سيما المذاهب السائدة وعلاقتها بانواع الملكية والحقوق والواجبات المترتبة عنها .

واذا سبق ان قلنا بأن الدكتور علي عبد الواحد وافي ، يشغل منصب استاذ الدراسات الاقتصادية بجامعة القاهرة ، وله تاليف في الاقتصاد واهمها « الاقتصاد السياسي » ، علمنا ايضا مدى تخصصه في هذا النوع من الدراسات ، ولذلك يعتبر بحثه في هذا الباب من اهم البحوث التي تناولها الكتاب بعناية وتجرد وسوف نقف في هذا العرض على اهم الموضوعات التي تتفق واهداف هذه المجلة الزاهرة وما يرجوه قراؤها من فائدة علمية واخلاقية .

تختلف النظم الاقتصادية التي تسير عليها المجتمعات في الوقت الحاضر ، والتي سارت عليها من قبل ، تبعا لاختلاف موقفها حيال الملكية وانواعها

---

15) الفقرات 7 — 12 من الاصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج .

16) لقد جاء في كتاب « السياسة » لارسطو قوله : « ان الطبيعة لم تزود النساء بأي استعداد عقلي يعتد به ولذلك يجب ان تقتصر تربيتهن على شؤون تدبير المنزل والحضانة والامومة » .

وحقوقها وواجباتها .. فالملكية تنقسم الى قسمين : ملكية فردية وهي التي يكون المالك فيها فردا معينا بذاته او افرادا معينين بذواتهم ، وملكية جماعية وهي التي لا يكون المالك فيها فردا معينا بالذات ولا افرادا معينين بذواتهم ، وانما يكون شخصا معنويا كالاســـــرة او العشيرة او القبيلة او النقابة او الجمعية او الامة او الدولة او الحكومة او هيأة من الهيآت .

ويقول المؤلف « ان نظام الملكية الجماعية معترف به في جميع النظم والشرائع فليس ثمة شريعة انسانية لا تقر الملكية الجماعية في صورة ما وليس ثمة امـــة قديمة ولا حديثة لا يوجد فيها مظهر ما من مظاهر هذه الملكية .. وانما الخلاف بين الامم والشرائع في هـــــذه الناحية ينحصر في موقفها حيال الصورة الثانية مـــن الملكية . وهي الملكية الفردية » (17) .

واذا كانت الملكية الفردية تمنح صاحبها حقوقا كثيرة كحق الدوام Perpétuité وحق حرية التصرف Libre disposition اما حق الدوام فمعناه بقاء الملكية ما بقيت العين مملوكة . اما حق التصرف فمعناه ان يكون للمالك الحق في ان يفعل في ملكه ما يشــاء بالبيـــع او الاســتغلال او الهبة ..

غير ان حق الملكية الفردية مقيد في بعض الشرائع ومطلق في البعض الآخر فشرائع توسع من نطاقـــــه وشرائع تضيقه .. وهكذا حصر المؤلف اصحاب النظم الاقتصادية التي تهتم بنظام الملكية في خمسة انواع حسب المذاهب الاقتصادية الحديثة وهي (18) :

1 — نظام يلغي رأس المال الفردي والملكية الفردية (وهو النظام الشيوعي) .

2 — نظام يطلق العنان لراس المال الفردي (وهو النظام الراسمالي)

3 — نظام متطرف الى اليسار ولكن مع ذلك يقر راس المال الفردي ولكن يمعن في اضعافه (الاشتراكية المتطرفة) .

4) ونظام متطرف الى اليمين وقريب من النظام الذي يقر الملكية الفردية غير انه يجنح الى تخفيف رقابته على راس المال الفردي (الاشتراكية المعتدلة) .

5 — نظام وسط بين النظامين الاخيرين (19) (وهو النظام الاشتراكي الوسط)

— 7 —

مــا المقصود بالمســاواة في الاقتصاد ؟

ليس المقصود هنا ان يكون الناس سواسية في الحياة يعيشون بشكل متشابه ، لان هذا لا يمكـــن تحقيقه في ظل اي نظام اقتصادي ولا في اي مجتمع او عصر ، اذ يستحيل أن توجد امة افراد شعبها ياكلون طعاما واحدا ويلبسون ثيابا واحدة ويمتلكون املاكا باقساط واحدة ، فما دام الناس لم يخلقوا على غرار واحد بل هم مختلفون في مواهبهم وكفاءاتهم وقدراتهم الجسمية والعقلية وفيما يستطيع أن يحققه كل واحد منهم لنفســه ولغيره من منفعة ، فانه لا يتصور ان تتحقق بينهم المساواة الاقتصادية ، فحتى الانظمة التي تمحي الملكية من الوجود تقرر بأنه يعطي كل فرد بحسب حاجاته او بحسب كفاياته وما يقدمه من عمل وخدمات ؛ فالمقصود بالمساواة في الاقتصاد تحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فينال المجتهد جزاء اجتهاده وثمرات اعماله وبذلك يتحقق التوازن الاقتصادي وتنمحي الفـــروق الطبقية ويحصل التقارب بين مختلف الطبقات حتى لا تتضخم الثروات وتتجمع في ايد قليلة ، ولعل هـــــذه المساواة هي التي ينشدها الاقتصاد الاشتراكي .

فهل الاقتصاد الاسلامي يهدف الى ما تهدف اليه النظم الاقتصادية الاشتراكية ام يمتاز عليها باشيــاء كثيرة ؟ ..

ان النظام الاقتصادي في الاسلام ياخذ بمميزات مختلف الانظمة الحديثة فهو ليس اذن نظاما شيوعيا لانه يقرر الملكية الفردية ويحميها ، وليس نظاما راسماليا، لانه لا يطلق العنان لراس المال ، بل يحرص علـــى تجريده من وسائل السيطرة والنفوذ ، وليس من النظم الاقتصادية المتطرفة الى اليسار ، لانه لا يمعـــن في اضعاف راس المال الفردي فهو يفسح له المجـــال للقيام بوظيفته في حدود الصالح العام بوصفه عامــلا هاما من عوامل الانتاج وليس من النظم الاشتراكيـــة المتطرفة الى اليمين لانه لا يجنح مثلها الى تخفيـــف رقابته على الملكية الفردية وراس المال الفردي (20).

17) انظر ص 60 من نفس المرجع الذي نتولى تقديمه .
18) راجع الصفحة 64 من نفس المرجع .
19) يذكر المؤلف بان ما ذكر يعتبر مجرد تعاريف اوردها لتعريف الحقائق الى الاذهان لا اقل ولا اكثر .
20) راجع ص 68 من كتاب المساواة في الاسلام ، كما يمكن الرجوع الى تعليقنا عن كتاب « الوعـــي الاسلامي » الذي نشرناه بمجلة الايمان في شهر مارس 1968 .

فالاقتصاد الاسلامي منفرد بصفاته وخصائصه عن النظم الاقتصادية السائدة في الوقت الحاضر لا يوازيه نظام منها في سموه ودقته ومبلغ تحقيقه لخير الافراد . فالاسلام أقام بنيان اقتصاده على دعائم سنة تعمل متضافرة لتحقيق المساواة بين الافراد والجماعات واهم هذه الدعائم هي : تضييق نطاق الملكية الفردية لخير الجماعة وفي سبيل الصالح العام وهكذا يحرم الاسلام الملكية الفردية للاشياء الضرورية لجميع الافراد وادخالها في نطاق الملكية الجماعية او اذا كانت الكسب بطرق غير مشروعة فانه يجعل الربا والفائدةمن وجعلها ملكية جماعية واذا قلنا بأن الاسلام يحرم الكسب بطرق مشروعة فانه يجعل الربا والفائدة من بين الاموال المحرمة وتشارك الاسلام في هذا التحريم جميع الشرائع والمذاهب والكنائس من يهودية ونصرانية (21) .

فالاسلام يحرم في باب الاقتصاد استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ويحرم كذلك جميع المعاملات التي تنطوي على الغش أو الرشوة او أكل أموال الناس بالباطل وفي هذا يقول الخالق تعالى : « ولا تأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون» (من سورة البقرة) . وفي مجال نزع الملكية اجاز الاسلام للمسؤلين نزع الملكية الفردية وتعميم الانتفاع بها لجميع الناس او لبعض الطبقات منهم اذا كانت الحاجة العامة تدعو الى ذلك وبشكل لا محيد عنه .

والى جانب الامور التي ذكرناها بشأن جعل الملكية الفردية في نظام متزن حتى لا تطغى وتصبح في ثروة مكدسة اوجد الاسلام نظم الميراث والوصية يتكفل النظام الاول بتوزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا يحول دون تضخم الاموال وتجميعها في ايد قليلة ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات حيث تقسم التركة بين اقرباء الهالك ، فتوسع بذلك دائرة الانتفاع من الملك الذي كان فرديا فأصبح جماعيا وكل هذا طبقا لنظام محكم . وكذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يمكن لصاحب المال ان يوصي بجزء من ماله لاحد ولكن للوصية شروط خاصة ، وأمر الاسلام ايضا بالزكاة والصدقة حتى يأخذ الفقير نصيبه في مال الغني وفي هذا حد لتصاعد الملكية ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توضح بأن الاسلام ينظر الى التملك على انه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه وفي هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » . (22)

وفي الاخير اختتم هذا العرض بفقرات من خلاصة هذا الكتاب المفيد التي يقول فيها المؤلف : « مما تقدم يتبين لنا ان شريعة الاسلام قد وصلت في مبلغ حرصها على تقرير المساواة بين الناس في شؤون الاقتصاد الى شأو رفيع لم تصل الى مثله ولا الى ما يقرب منه اية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه . وان النظم التي وضعها الاسلام في شؤون الاقتصاد نظم مثالية حكيمة فهي تقرر الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحماية وتذلل امام الفرد سبل التملك والحصول على المال ، وتشجع على العمل وتعطي لكل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، وتفسح المجال امام المنافسة والرغبة في التفوق والطموح ، فتحقق بذلك تكافؤ الفرص بين الناس في هذه الميادين . ولكنها من جهة اخرى تقلم اظفار رأس المال وتجرده من وسائل السيطرة والنفوذ ، بدون ان تشل حركته وتعوقه عن القيام بوظيفته بوصفه عاملا هاما من عوامل الانتاج وتعمل على استقرار التوازن الاقتصادي وتقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض، وتحول دون تضخم الثروات ودون تجمعها في أيد قليلة (23) ..

مما تقدم يظهر لنا أن الاسلام قد قرر مبدأ المساواة بين الناس في اكمل صوره وامثل اوضاعه واتخذه دعامة لجميع ما سنه من نظم لعلاقات الافراد بعضهم مع بعض وطبقة فجميع النواحي التي تقتضي العدالة الاجتماعية وتقتضي كرامة الانسان .

تلك هي موضوعات كتاب « المساواة في الاسلام» لمؤلفه الدكتور علي عبد الواحد وافي . فيجدر بك ايها القارىء الكريم أن لا تضيع فرصة مطالعته والاستفادة من غزارة معلوماته .

الرباط : عبد الرحيم بن سلامة

---

(21) راجع تعليقنا على كتاب « الربا والفائدة » للدكتور علاء الدين خروفه (دعوة الحق عدد (6 + 7) المشترك من السنة 10 دسمبر 1967) .

(22) الآية 7 من سورة الحديد .

(23) راجع الفصل 18 من الكتاب الذي نتولى عرضه ص 121 .



المغـــرب :

* اصدرت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في هذا الشهر نص المحاضرات الدينية التي القيت في شهر رمضان من السنة الماضية بالضريح الحسني أمام حضرة صاحب الجلالة والمهابة امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده .

وعنوان الكتاب ((الدروس الحسنية)) . وقد صدرته الوزارة بنص المحاضرة الدينية الجامعة التي القاها سيد البلاد صاحب الجلالة أمير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله أمام علماء الاسلام الذين حضروا الدروس الدينية حيث تناول حفظه الله في درسه القيم ، الجامع المانع ، شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : « كم من رجل لو أقسم على الله لابره » ، كما قدم الكتاب معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد احمد بركاش بكلمة تناول فيها مظاهر التجديد الذي ادخله صاحب الجلالة على هذه السنة الكريمة ..

والكتاب يشتمل على المحاضرات التي القاها حضرات الاساتذة العلماء السادة : علال الفاسي — احمد عبد الرحيم عبد البر — محمد حماد الصقلي — ابراهيم القطان — عبد الهادي بوطالب — المكي الناصري — محمد الفاضل بن عاشور . عبد الرحمان الدكالي — الرحالي الفاروقي — عبد الفتاح ابو غدة — محمد التائب السعيدي — عبد عبد الوهاب بنمنصور .

ويضم الكتاب عدة صور جميلة ، ويشتمل على 340 صفحة ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بهذه المناسبة تشكر ادارة الاذاعة الوطنية وموظفيها الذين أمدوها بالمحاضرات التي القيت بالضريح الحسني ، وزودوها بجميع الوسائل التي سهلت طبع الكتاب وانجازه .

* يقوم الاستاذ سعيد أعراب والاستاذ محمد بن تاويت والدكتور عبد السلام الهراس بتحقيق الجزء الرابع من كتاب ازهار الرياض ، للمقري . وهو يبلغ حوالي 700 صفحة ، وقد طبعت بعض الملازم منه وينتظر أن يرى النور خلال هذه السنة .

* يحقق الاستاذ سعيد أعراب والكتور عبد السلام الهراس «درر السمط في اخبار السبط» لابن الابار ويتوفران على عدة نسخ من مخطوطته .

* سافر الاستاذ عباس الجراري الى القاهرة لتقديم اطروحته لنيل الدكتوراه عن الادب الشعبي المغربي ، فتهانينا للاخ عباس وفقه الله .

* وجه اتحاد كتاب المغرب الى كل الكتاب المغاربة الذين توجد عناوينهم المضبوطة لدى كتابة الاتحاد رسائل يطلب فيها الادلاء بمعلومات عنهم وعن انتاجهم قصد تكوين جزازات مرتبة ترتيبا دقيقا يحتفظ بها ضمن وثائق الاتحاد حتى يكون لكل كاتب مغربي جزازة خاصة به في مقر الاتحاد وملف يتضمن المعلومات الضرورية التي قد تنفع الباحثين ، هذه الفكرة سيستفاد منها لمجلة ((آفاق)) حيث سينشر هذه الجزازات تباعا .

* شهدت دار الفكر يوم الجمعة 18 — 10 — بداية موسم 68 — 69 بعرض للسيد عبد الكريم غلاب رئيس الاتحاد ضمنه الخطوط العامة للموسم الحالي ، ثم بدات المناظرة التي نظمها الاتحاد في مستهل الموسم تحت عنوان ((الادب العربي الحديث بين القومية والكونية » تولى السيد محمد برادة القاء عرض توطئة للمناقشة التي كانت حية خصبة ثم تولى السيد مبارك ربيع جمع خيوط

المناقشة واقترح ان يكون موضوع الجلسة : ((مظاهر القومية ومظاهر الكونية في الادب العربي الحديث)) .

* القى الاستاذ محمد عبد العزيز اسحق المستشار الثقافي بسفارة الجمهورية العربية المتحدة بالرباط محاضرة في دار الفكر تحت عنوان ((اللغة العربية لغة القارة الافريقية)) وقد كانت محاضرة قيمة تبعها نقاش تمخض عن فكرة عملية هي انشاء جمعية للدعوة الى حشر اللغة العربية في افريقية، وقد سجل كثير من المثقفين أسماءهم في لائحة المتطوعين للعمل في هذه الجمعية وسيعقدالاجتماع الاول قريبا في دار الفكر .

* يعتزم الكتاب والادباء في تونس تكوين اتحاد يضمهم ويسهر على اعمالهم ويرعى مصالحهم .

* سيعقد في تونس فيما بين 24 و 28 ديسمبر 68 ملتقى لكتاب القصة في المغرب العربي تحت اشراف المركز الثقافي الدولي ، وبعد مراسلات بين المركز والاتحاد مباشرة أو عن طريق وزارتي الخارجية والثقافة تقرر بعد دراسة المسألة من مختلف جوانبها ارسال وفد عن الاتحاد الى الملتقى المذكور يتركب من رئيس الاتحاد والانسة خناثة بنونة والسادة عبد المجيد بنجلون ومحمد بيدي ومبارك ربيع .

سيعد كل واحد من أعضاء الوفد دراسة عن تجربته القصصية سينجزها قبل 20 نوفمبر الحالي.

* القى الدكتور سامي حنا استاذ دراسات شمال افريقيا محاضرة باللغة العربية في موضوع « الاحتراف في أميركا » ، وذلك في قاعة المركز الثقافي الاميركي بالرباط .

* أقيم مهرجان كبير في العرائش احياء لذكرى موقعة وادي المخازن .

* عقد بمدينة شفشاون مهرجان الشعر الرابع .

* يصدر قريبا للاستاذ مبارك ربيع كتاب يضم مجموعة قصصية .

* « النار والاختيار » مجموعة قصصية تصدرها القاصة الآنسة خناثة بنونة ، صاحبة كتاب «ليسقط الصمت» .

* ستصدر وزارة الثقافة والتعليم الاصلي مجلة ثقافية شهرية وستصبح مجلة «البحث العلمي» التي كانت تصدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي ، تابعة لها ، بالاضافة الى مجلة «ايسبريس تمودة» التي كانت تصدر عن نفس المركز .

* الاستاذ عبد الكريم غلاب ، سيصدر له كتاب يشتمل على مجموعات مقالات أدبية واجتماعية ، وذلك عن الدار التونسية للنشر .

* زار المغرب اخيرا الدكتور مصطفى محمود ، وأجرى معه التليفزيون المغربي حديثا ، كما اهتمت الصحافة المغربية بزيارته .

* نظم الشرفاء الادارسة احتفالا كبيرا بموسم مولاى ادريس الثاني مؤسس مدينة فاس .

* عين الاستاذ محمد داود مؤرخ تطوان ، محافظا على الخزانة الملكية .

* احرز الاستاذ محمد البرنوصي ، مدير الخزينة العامة على الدكتوراه في الحقوق من كلية الحقوق بليون .

* اعتزم التعاون الوطني احداث مركز للتكوين المهني خاص بأبناء الشهداء ، ودار للاطفال تابعة للجمعيات الخيرية للاهتمام بالذين تجاوزوا سن الدراسة .

* تستعد الكاتبة رفيقة الطبيعة لاصدار مجموعة قصصية .

* صدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية : الجزء الثالث من كتاب «المدارك» للقاضي عياض ، من تحقيق واشراف الاستاذ عبد القادر الصحراوي.

* انتخب الاستاذ العميد المغربي محمد عزيز الحبابي عضوا في المجلس الاعلى للجمعية العالمية للفلسفة في المؤتمر العالمي الذي انعقد في سبتمبر الماضي بمدينة فيينا (النمسا) .

وقد نوه هذا المؤتمر بمجلة « دراسات فلسفية وادبية » التي تصدرها الجمعية المغربية للفلسفة.

* حضر الاستاذ محمد الفاسي ، وزير الثقافة والتعليم الاصلي الحفلة التي اقيمت بالقاهرة بمناسبة نقل معابد أبي سنبل في السعيد المصري الى مكان آمن من مياه النيل ، وقد ساهمت حوالي 150 بلدا في انقاذ معابد أبي سنبل التي تضم

رمسيس ، ونفرتيتي . وهي من الآثار التي تعود الى ما قبل 4 آلاف سنة .

* احتفل المغرب بيوم الطفولة العالمي . وبهذه المناسبة اصدرت وزارة البريد ثلاث طوابع بريدية للامير سيدي محمد ، ولي عهد المملكة المغربية ، والاميرتين للا مريم ، وللا اسماء .

* أقيم لاول مرة في المغرب مهرجان السينما ، وذلك في مدينة طنجة ، حضرته شخصيات لامعة في السينما .

* يصدر السيد زين العابدين الكتاني كتابا عن : « الصحافة المغربية نشأتها وتطورها » .

* من بين الاعمال الثقافية التي سيقوم بها اتحاد كتاب المغرب ، تنظيم اربعة مواسم لادب المغرب العربي الكبير . بحيث سيخصص موسما لتونس ، وآخر لليبيا ، والثالث للجزائر ، والرابع للمغرب . كما سيقوم بندوة حول « أدب المعركة الفلسطينية » الى جانب مسامرات أخرى وندوات حول الراحلين من الادباء والشعراء كالاخطل الصغير ، والزيات ، والشهابي رحمهم الله .

* ستستأنف مجلة « آفاق » لسان حال اتحاد كتاب المغرب ، صدورها في الايام القريبة بحلة جديدة .

* يسافر وفد مغربي لحضور مهرجان للسينما بقرطاج .

* افتتح جلالة الملك المعظم ، السنة القضائية الجديدة بالمجلس الاعلى للقضاء .

* زار المغرب مؤخرا السيد احمد سيالة ، وكيل وزارة الشباب الليبية .

* اصدرت وزارة البريد طوابع جديدة خاصة بالازياء المغربية .

* صدرت بمدينة الدار البيضاء جريدة بعنوان « فلسطين » ، وهي اسبوعية تعنى بالقضايا الفلسطينية .

* زار المغرب الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة مدير الدار التونسية للنشر ، لاجراء اتصالات مع الادباء المغاربة ، لطبع انتاجهم في الدار التي يديرها وقد قام بالقاء عدة محاضرات حول الثقافة التونسية في بعض المدن المغربية . كما اجرى اتصالات مع المجلس التنفيذي لاتحاد كتاب المغرب.

* افتتح صاحب الجلالة الملك المعظم حملة الدخول الى الكتاتيب القرآنية في مهرجان كبير بعمالة الرباط بمناسبة دخول ولي عهد المملكة المغربية الامير سيدي محمد الى الكتاب . وقد ارتجل صاحب الجلالة كلمة سامية عبر فيها عن أهمية التعليم الاسلامي ، والتربية الاسلامية في البيت والمدرسة. وعن الاهمية الكبيرة في حفظ القرآن الكريم . وعهد الى وزيره في التعليم الابتدائي ، لتطبيق حفظ القرآن لجميع الاطفال الذين يبلغون الخامسة من عمرهم . واصدر امره بأن تكون الاولوية في الدخول الى التعليم الابتدائي للطلبة الذين يجتازون سنتين في الكتاب .

* « العصف والريحان » كتاب جديد للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون يوجد تحت الطبع بمدينة تطوان . وينتظر أن يصدر قريبا .

* يستعد الاستاذ السيد عبد المجيد بن جلون لطبع الجزء الثاني من كتابه « في الطفولة » . وقد صدر الجزء الاول منه منذ اكثر من اربع سنوات .

* يدفع الاستاذ السيد احمد عبد السلام البقالي مجموعة قصصية جديدة للطبع . وللسيد البقالي مجموعة قصصية صدرت منذ اكثر من عشر سنوات .

* الاستاذ عبد الرحمان الفاسي ، بعدما عاد الى المغرب من مهمة السفارة ، يعكف على مراجعة مجموعته القصصية التي ينوي طبعها قريبا .

* ينظم اتحاد كتاب المغرب ، في اطار نشاطه الثقافي للموسم الحالي جلسات عمومية في مقره بدار الفكر وفي مختلف الفروع لمناقشة ما يصله من انتاج الادباء الشباب برعاية اعضاء الاتحاد كل حسب اختصاصه كما تنظم مباريات بين الادباء الشباب تمنح بمقتضاها جوائز قيمة كل ثلاثة اشهر .

* قام الاستاذ محمد الفاسي وزير الثقافة والتعليم الاصلي بزيارة لباريس للحضور في مداولات منظمة اليونيسكو السنوية .

* اعلنت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي عن تنظيمها مسابقة لنيل جائزة المغرب لسنة 1968 . وخصصت هذه المسابقة للمؤلفات التي تعالج مواضيع متصلة بحضارة المغرب من النواحي الآتية :

— الآداب

— العلوم الانسانية والاجتماعية

— العلوم البحتة

وتقفل باب المسابقة فى 30 نوفمبر من هذه السنة.

* يلقي الدكتور عبد العزيز سعيد ، مدير مركز العلاقات الدولية محاضرة فى المركز الثقافي الاميركي بالرباط بعنوان « سنة الانتخابات الرئاسية بأميركا » .

* تحت اشراف جمعية آباء وأصدقاء الاطفال المتأخرين عقليا ، قدمت السيدة شابوان دوبرى الوزيرة الفرنسية السابقة فى الصحة بقاعة كلية الآداب محاضره تحت عنوان : « هؤلاء الاطفال الذين يشبهون الآخرين » .

الجزائر :

* نظمت اليونيسكو حلقة تدريبية اقليمية في مدينة الجزائر ، لاعداد امناء المتاحف والتقنيين الذين يعملون بها . واشترك فى هذا الاجتماع تسعة خبراء اقبلوا من بلدان عربية ، وستة مستشارين من بلدان أوربية . وانضم اليهم ممثل لمركز الدراسات الدولي من اجل صيانة وترميم التراث الثقافي .

تونس :

* فاز الشيخ الطاهر بن عاشور ، وحسن حسني عبد الوهاب الباحثان التونسيان المعروفان بجائزة الرئيس بورقيبة ، تقديرا لجهودهما المبذول فى خدمة الثقافة التونسية . وستقدم هذه الجائزة كل سنة فى تونس .

* تعلن هيئة النادي الثقافي (ابو القاسم الشابي) انها كلفت لجنة خاصة بالنظر فى القصص التي تقدم بها اصحابها للمشاركة فى مسابقة القصة التي نظمها النادي بين كتاب بلدان المغرب العربي (تونس — الجزائر — ليبيا — والمغرب) للاحراز على جائزة (ابي القاسم الشابي) لسنة 1968 .

وقد اتفقت اللجنة على عدم استحقاق أي قصة من القصص المقدمة للفوز بالجائزة .

وبناء على ذلك فقد قرر النادي الثقافي (ابو القاسم الشابي) تنظيم مسابقة جديدة للقصة الطويلة بين كتاب المغرب العربي لسنة 1969 حسب الشروط التالية :

1 — أن تكون القصة باللغة العربية الفصحى فى اي مشروع يختاره الكاتب .

2 — ان تقدم فى خمس نظائر مرقومة ، غير موضوع عليها اسم المؤلف ومصحوبة بظرف يذكر بداخله الاسم والعنوان مع بيان عنوان القصة المعروضة .

3 — ان توجه فى اجل اقصاه موفى شهر يوليوز 1969 باسم السيد رئيس (النادي الثقافي ابو القاسم الشابي) حي الوردية — تونس عن طريق البريد المضمون الوصول .

4 — ان لا تكون القصة قد نشرت أو اذيعت .

الجائزة الموصودة : 1.000 دينار تونسي .

والملاحظ ان مقدار هذه الجائزة وضعته الشركة التونسية للتوزيع على ذمة النادي قصد تشجيع الانتاج القصصي وهي تتعهد بنشر القصة الفائزة مع ضمان حقوق التاليف لصاحبها .

ليبيا :

* عقد فى طرابلس مؤتمر الادباء والكتاب الليبيين. وقد كان اهم موضوعات المؤتمر بحث ومناقشة : نضال ليبيا واثره فى الادب الليبي المعاصر، ومشاكل الادب الليبي . وقد افتتح المؤتمر رئيس وزراء ليبيا ومن بين الموضوعات التي بحثها المؤتمر دراسة واعداد مؤتمر أدباء المغرب الغربي الذي تقرر ان ينعقد فى يناير 1969 .

* قام عاهل ليبيا الملك ادريس السنوسي بوضع الحجر الاساسي لاكبر مدينة جامعية ستقام بمدينة البيضاء ، وتحتوي الجامعة الاسلامية على ثلاث كليات يدرس فيها 576 طالبا اجنبيا قدموا من آسيا وافريقيا واوربا .

* « الاسس النفسية لرعاية الشباب » عنوان كتاب صدر للاستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني .

* « سبب بسيط » مجموعة مسرحية من النوع القصير صدرت للاستاذ عبد الحميد المجراب .

الجمهورية العربية المتحدة :

* « الصحافة الادبية في مصر واثرها على الادب الحديث بين الحربين العالميتين » . موضوع الرسالة التي نال بها السيد محمود عبد ربه فياض درجة الدكتوراه . ومما اثبته في البحث : ان الصحافة الادبية كانت اعلى منابر التعبير عن اماني الشعب.

* الدكتور احمد كمال زكي ، اصدر كتابا بعنوان « اسامة ابن منقذ » في سلسلة « اعلام العرب » .

* اصدر الاستاذ محمد عمارة المجموعة الكاملة لآثار جمال الدين الافغاني في كتاب واحد بعنوان «الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني» .

* كتاب جديد اصدره المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة عن قضية فلسطين وتاريخ اليهود باللغات العربية والفرنسية والانجليزية . وقد تقرر ارسال هذا الكتاب الى كافة جامعات العالم .

* خصصت جريدة « لوموند » في احد ملاحقها الاخيرة صفحة كاملة عن الادب المصري . كتبه القاص عبد الرحمان الشرقاوي .

* صدرت للاديب فتحي الابياري دراسة نقدية تحليلية « الرواية المصرية ، والبناء الثوري » . والدراسة تتناول الرواية المصرية التي كتبها تيمور ، وفتحي غانم ، ونجيب محفوظ ، وعبد الحليم عبد الله ، ويوسف ادريس ، وعبد الحليم جودت السحار ، وعبد المنعم الصاوي ، وثروت أباظة ، ويوسف السباعي ، واحسان عبد القدوس .

* صدر بالقاهرة كتاب عن « ابن سناء الملك » لمؤلفه محمد ابراهيم نصر ، وهو دراسة مستفيضة عن الشاعر الذي سجل انتصارات صلاح الدين الايوبي وبطولاته .

* « تطور الحركة الوطنية » من 1918 الى 1936. صدر هذا الكتاب للاستاذ عبد العظيم محمد رمضان .

* مرت في هذه الايام الذكرى الخمسينية لوفاة الكاتبة العربية ملك حفني ناصف ، وهي كريمة الشاعر حفني ناصف من مؤلفاتها كتاب «النسائيات» و «حقوق المرأة» الذي لم يمهلها الموت لاستكماله.

* «نحو الاشتراكية» صدر هذا الكتاب باشراف «بيري اندرسون» ، ومن ترجمة عبد الكريم احمد.

* صدر للدكتورة بنت الشاطىء كتاب بعنوان : «تراثنا بين ماض وحاضر» .

* تصدر قريبا للقصاص المصري عبد الحليم عبد الله رواية تحت عنوان : « للزمن بقية » .

* اكتشف في مصر قبر الامام الطبري .

* « النقد الادبي الحديث في العراق » عنوان كتاب صدر حديثا عن معهد البحوث والدراسات العربية التابع للدول العربية .

* اصدر الدكتور يوسف خليف استاذ الادب العربي بجامعة القاهرة ديوانه الاول بعنوان : «نداء القمم»

* « اغنيات للحب » ديوان جديد صدر للشاعر ابراهيم محمد نجا .

* اصدر مركز المكفوفين بالقاهرة قاموس عربي انجليزي بطريقة بريل .

* قام الدكتور سعيد عاشور استاذ تاريخ القرون الوسطى بجامعة القاهرة بشرح وتحقيق مخطوطة « غاية الاماني في اخبار القطر اليماني »

« غاية الاماني في اخبار القطر اليماني » لصاحبه يحيى بن الحسين .

* صدرت للقاص المصري محمد عبد الحليم عبد الله مجموعة قصصية بعنوان « اسطورة عن كتاب الحب » .

* «رحلة الادب العربي في اوربا» اسم كتاب صدر للاستاذ محمد مفيد الشوباشي .

لبنان :

* اقيم في لبنان مهرجان لتابين الشاعر الكبير الاخطل الصغير الذي ولد ببيروت سنة 1885 .

* «نساء وافاعي» اسم اوبريت صدرت للشاعر اللبناني وديع ديب .

* عن دار الشرق ، صدرت رواية للاستاذة البارونة اوركزي بعنوان : «الملقة الحمراء» وقام بترجمتها الى العربية الاستاذ ميشال ابو صعب .

* صدر كتاب « الاجماع في التشريع الاسلامي » وهو من تاليف الشيخ محمد صادق الصدر .

* « تهذيب المقدمة اللغوية » تاليف عبد الله العلايلي صدر اخيرا .

* صدر للشاعر اللبناني الكبير كتاب بعنوان : « من شرفتي » يتضمن انطباعات عن القرية اللبنانية.

* اجرت مجلة «الصياد» البيروتية استجوابا مع الع شعراء لبنان ، لخلافة الاخطل الصغير فى امارة الشعر العربي . واغلب الشعراء رفضوا ان يكون للشعر امير .

سوريــــا :

* المؤتمر العاشر لاتحاد المحامين العـرب ، عقـد بدمشق .

* « نجمان يهويان » كتاب يشتمـل على مجموعـة قصصية من تأليف مصطفى الخشن . صدر اخيرا.

* « شعراء سورية » دراسة فى كتاب ، يصدر قريبا، وهو من تاليف الدكتور سامي الدهان ، يتناول فيه بالدراسة عددا ، من كبار شعراء سوريا .

* ديوان شعري للاستاذ محمد عمران صدر فى هـذه الايام تحت عنوان : «اغان على جدار جليدي» .

الاردن :

* قررت امانة العاصمة الاردنية اطلاق اسم جلالـة المغفور له محمد الخامـس على احدى الحدائـق العامة فى العاصمة الاردنية تخليدا لذكرى جلالتـه وتعبيرا عن التقدير الذي يكنه الشعب الاردنـي لنضال جلالته فى سبيل استقلال بلاده .

* «مختارات من شعر المقاومة فى الارض المحتلـة» صدر فى هذا الاسبوع فى عمان ، وهو من اعـداد الاستاذين ابو شريف وعادل زواتي .

* نعت عمان حرم سماحـة الحاج امين الحسينـي. تغمدها الله برحمته .

* «جنان الاردن» كتاب يعكف على تحريره الاستـاذ محمود أبو غنيمة .

* «درتان فريدتان فى العلوم اللغوية والعلوم الخلقية» كتاب صدر بالاردن ، وهو من تأليـف الاستـاذ حبيب الخوري .

الكـويـت :

* صدر حديثا للشاعر الكويتي محمد الفائز ديـوان بعنوان «قصائد من الخليج» .

العـــراق :

* انتهت لجنة المصطلحات الطبية فى المجمع العلمـي العراقي من طبع قائمة بهذه المصطلحات .

* منعت وزارة الثقافة والارشاد العراقية تداول كتاب «من النكسة الى الثورة» .

* اصدر الدكتور يوسف عز الدين الامين العام للمجمع العلمي العراقي كتابين بعنوان : «فى الادب العربي الحديث» و «نصوص ووثائق» .

* «جواد السحب الداكنـة» رواية صدرت فى هـذه الايام للاستاذ عبد الجليل المياح .

* اصدر الاستاذ محمد المهدي الحسيني الشيـرازي كتابا بعنوان : «هؤلاء اليهود» .

* اصدر المجمع العلمي العراقي كتـاب «مخطوطـة عربية فى مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية» للدكتور يوسف عز الدين . كما صدر عن نفس المجمع الجزء الاول من كتاب «أطلس الخط العربي» وهو مـن تاليف ناجي زين الدين المصرف .

* أصدرت وزارة الثقافة بالعراق كتاب «مثال فى الشعر العراقي الحديث» وهو من تأليف عبد الجبار داود

* أعد الاستاذ ناجي معروف كتابـه «دور الضـرب البغدادية» فى العراق .

* « سلامة بن جنبل » اسم ديوان لشاعر من شعراء العصر الجاهلي ، صدر . وهو من جمع وتحقيـق الدكتور فخر الدين قباوة .

* « فلسفة الاخلاق » كتاب صدر للاستاذ محي الدين ابن العربي .

* قام الاستاذ احمد عبد الله حسو بتحقيق مخطوطة « ذيل تاريخ دول الاسلام» للسخاوي .

المملكة العربية السعودية :

* انتهت وزارة الحج والاوقاف من اعادة فرش المسجد النبوي الشريف فى المدينة المنورة بالسجاد الايراني

الفاخر . وقد أشرف مهندس ايراني على وضع كل سجادة من السجاجيد 600 في موضعها حسب القياسات التي صنعت بموجبها .

* صدر للشاعر السعودي سعد البواردي مجموعة شعرية بعنوان : «صفارة الانذار» .

* قررت وزارة المعارف السعودية ارسال مجموعات من الكتب الاسلامية والتربوية الى وزارة معارف ليبيا .

* خصصت الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة 280 منحة دراسية جديدة لابناء المسلمين في شتى اقطار العالم لهذا العام الدراسي .

افغانستان :

* تم الكشف في افغنستان عن اقدم عمل اثري في فن النحت حتى يومنا هذا . ولعله اقدم الاعمال في آسيا قاطبة . هو تمثال لرأس رجل يبلغ طوله 6،30 سم ، وعرضه 3،20 سم . وهو منحوت في الصخر الجيري .

روسيا :

* عقد المجلس الدولي للمتاحف ندوة دولية للخبراء في لينينجراد ، وموسكو ، تناولت بالبحث دور المتاحف التربوي ، وذلك استجابة لدعوة المتاحف السوفييتية . وقد جمعت الندوة عددا من امناء المتاحف وعلماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، ومتخصصين في التربية أو التعليم الشعبي ، وفدوا من عشرين بلدا مختلفا . وكانت افريقيا وامريكا وآسيا ممثلة في هذه الندوة بالاضافة الى اوربا .

فرنسا :

* اوضحت مداولات مؤتمر اليونيسكو بباريس حول مكافحة الاميين في العالم ، أن عدد الاميين البالغين في العالم أصبح يناهز 750 مليون رجل وامرأة. وفي الهند مثلا 520 مليون ساكن لايعرف القراءة والكتابة . ومنهم 390 مليون امي . ومما يبعث على القلق أن عدد السكان يزداد بنسبة أعلى من نسبة الذين يخرجون من مرحلة الامية في نطاق برنامج مكافحتها .

* القى الدكتور المهدي المنجرة ، من ديوان مدير اليونيسكو محاضرة في قاعة اليونيسكو . واقترح أن تلقى كل أسبوع محاضرة من طرف المفكرين العرب في باريس باسم اليونيسكو .

* صدر بالفرنسية بباريس كتاب « الشعر العربي المعاصر » للشاعر المهجري جورج صيدح .

* «مسامرات الاموات» و «استفتاء الاموات»، كتابان صدرا عن منشورات اليونيسكو بعنوان «الروائع الانسانية» . والكتابان المذكوران للوقيانوس السمياطي وقد نقلهما الى العربية الاستاذ الياس سعد غالي .

* بمناسبة الذكرى الخمسين بعد المائة لولادة كارل ماركس ، نظم المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الانسانية ، وكذلك المجلس الدولي للعلوم الاجتماعية برعاية اليونيسكو ندوة حول «دور كارل ماركس في تنمية الفكر العلمي المعاصر» .

* استعملت اللغة العربية لاول مرة في تاريخ منظمة اليونيسكو في دورتها الحالية الى جانب اللغات الاربع التي كانت مستعملة حتى الآن وهي الفرنسية والانجليزية ، والاسبانية ، والروسية . وكان اول من تدخل في المناقشات متحدثا باللغة العربية الدكتور فؤاد صروف عضو المجلس التنفيذي ورئيس الوفد اللبناني .

فهرس العدد الاول

صفحة

3 صادق الحب يملي صادق الكلم — دعوة الحق

6 عيد الاستقلال

7 خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورة الملك والشعب

12 نص الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه صاحب الجلالة بمناسبة افتتاح عملية الكتاتيب القرآنية

21 جلالة الملك يدشن بدار الشرفاء بالقصر الملكي العامر عملية الكتاتيب القرآنية

24 كلمة معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في موضوع عملية الكتاتيب القرآنية

دراسات اسلامية :

26 حاجتنا الى ثقافة أصيلة تستفيد من النصوص، والى قدوة صالحة تستولي على النفوس — للعميد الرحالي الفاروقي

29 حاضر العالم الاسلامي — للاستاذ انور الجندي

32 مشاهد القيامة في الحديث — للاستاذ المرحوم محمد السائح

35 الشخص في الاسلام — للعميد محمد عزيز الحبابي

39 اثر الاسلام في الحضارة العربية — للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

ابحاث ودراسات :

48 نظرة في منجد الآداب والعلوم — للاستاذ عبد الله كنون

50 نظرات في مجلة مجمع العربية — للدكتور مصطفى جواد

57 تقويم اللسانين — للدكتور تقي الدين الهلالي

61 عرض تاريخي لايران منذ أقدم العصور الى اليوم — للاستاذ محمد بن تاويت

72 احمد شوقي شاعر الاسلام — للدكتور زكي المحاسني

76 نظرة على أحوال المسلمين ببعض اقطار افريقيا الغربية — للاستاذ ابي بكر القادري

79 تأملات في استعمال اللغة العربية ونحوها — للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي

82 زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي — للاستاذ محمد بنعبد الله

91 قضية البحث العلمي في المغرب — للاستاذ حسن السائح

92 بين مهمتين في افريقيا — للاستاذ عبد اللطيف خالص

96 الشعر والترجمة — للاستاذ عيسى فتوح

99 الابداعية في الفن المعاصر — للاستاذ محمد احميداش

ديوان المجلة :

102 دعوة الحق — للدكتور زكي المحاسني

104 نداء — للشاعر علال الهاشمي الفيلالي

106 انطلاقة النور — للشاعر محمد محمد العلمي

108 المسجد الاقصى لنا — للشاعر محمد العربي الشاوش

111 هي الاوطان في يوم انعتاق — للشاعر محمد بن علي العلوي

113 في مروج « وريكة » — للشاعر المدني الحمراوي

115 بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج — للشاعر محمد العلمي

دراسات مغربية :

117 المولد النبوي الشريف في المغرب المريني — للاستاذ محمد المنوني

132 من مصادر العصر الموحدي — للاستاذ سعيد اعراب

135 من اعلام البربر في الاندلس — للدكتور عبد السلام الهراس

140 البلوي صاحب كتاب « ألف باء » — للاستاذ عبد القادر زمامة

143 مذكرة طالب مغربي ارسل في بعثة مغربية الى ايطاليا منذ ثمانين سنة — للاستاذ الحاج احمد معنينو

قصة العدد :

149 البطل حمو — للاستاذ محمد احمد اشماعو

ادب وفكر :

152 بين العمل الادبي والعمل السينمائي — للاستاذ مبارك ربيع

معرض الكتب :

157 المساواة في الاسلام — تاليف الدكتور عبد الواحد وافي، عرض وتقديم : الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

164 انباء ثقافية